سُنُوحَاتُ دُمَى القَصرِ

فِي مُطَارَحَاتِ بَنِي العَصرِ

دَرْوِيش مُحَمَّد بن أَحْمَد الطَّالُوِيّ الأُرْتُقِي الدِّمَشْقِيّ
٩٥٠هـ - ١٠١٤هـ

تحقيق
الدكتور محمد مرسي الخولي

عالم الكتب
بيروت

سنحات الحور ومنى القصر

في

مطارحات بني العصر

درويش محمد بن أحمد الطالوي الأرتقي الدمشقي
٩٥٠هـ - ١٠١٤هـ

تحقيق

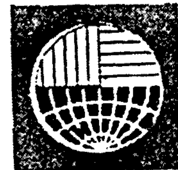
الدكتور محمد مرسي الخولي

الجزء الثاني

عالم الكتب
بيروت

١٩٠

الطبعة الاولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م



بيروت - المزرعة بناية الايمان - الطابق الاول - ص.ب. ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً : نابعلبكي - تلكس : ٢٣٣٩٠

ح

نخبات دمية القصر

في

مطارحات بني العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة
الدكتور مروان العطية

الجزء الثاني

يتضمن:

أ- زيارته لمصر والتقاؤه بعلمائها والأخذ عنهم.

ب- العودة إلى تركيا والعمل في الديوان وما قاله من قصائد في السلطان ورجال الدولة.

جـ- العودة إلى موطنه دمشق واشتراكه في الحياة العامة ومدافعته ظلم الولاة والحكام عن الشعب.

زيارته لمصر والتقاؤه بعلمائها

★

يصف مشاعره حين نزل القاهرة

ولما انخت بربوع القاهرة المعزية، أنضاء مطايا الهمم المهرية، بعد أن أخذ السير من جن نشاطها[١]، مطنبا خيام الإقامة بفناء فسطاطها، رأيت بها ما يملأ العين قُرة، ويسلي عن الأوطان كل غريب، بادرت لوفاء نذر وجب علي كفرضِ عَين، من زيارة قُطّانِ سفح المقطم وسكان القرافتين، والتشبث بطراز ذيل ذلك العارض، مرقد العارف بالله سيدي عمر بن الفارض، لا برحت تحايا الإله تُعَاهد مثواه:

ولا زال خفاق النسيم مرقرقاً   عليه وأنواء السماء تصوب

ولم أزل أطوف حول ربوع هاتيك الديار، وأسرح طرفي بين تلك المعالم والآثار، حتى وقفت بساحة القصرين، مكفكفاً فيها غروب المدامع من العين، قضاء لحقّ عُمَارة اليمنّي ذلك الفقيه الأريب[٢]، حيث وقف

---

(١) الأنضاء جمع نضو وهو الدابة المزيلة المتعبة، والهمم جمع همة وهي العزم القوي والمهرية: إبل تسبق الخيل منسوبة لقبيلة مهرة بن حيدان، وجن نشاطها: أي أوله وشدته وعنفوانه.

(٢) هو عمارة بن علي بن زيدان الحكمي المؤحجي اليمني، أبو محمد، نجم الدين، مؤرخ ثقة، =

آمراً بالبكاء فيها، ومقسماً بقوله على كلّ أديب:

بالله قف ساحةَ القصرين وابكِ معي   عليهما لا على صفيْنِ والجملِ

ملمحا فيه لأمرٍ خطبهُ فادح، ووقوع مثله في الإسلام قادح، فما برحتُ واقفاً بها أبكي لذاك ملياً، نازحاً أسْجال الدمع فيها من العين رُكِيّا[1]، إلى أن نضبتْ مياهُ شُؤوني، خاطبتُها بقول أبي طالب المأموني[2]:

يا ربع لو كنت دَمْعاً فيك منسكِباً[3]   قضيتُ نحبي ولم أقضِ الّذي وَجَبا

لو أفضتُ دموعي حَسْبَ[4] واجبها   رفضتُ من كلّ عضوٍ مَدْمعا سَرَبَا

= وشاعر فقيه أديب، قدم إلى مصر برسالة من القاسم بن هشام أمير مكة إلى الفائز الفاطمي سنة ٥٥٠ هـ فأحسن الفاطميون إليه وبالغوا في إكرامه فأقام عندهم ومدحهم حتى زالت دولتهم وملك السلطان صلاح الدين مصر، فرثاهم عمارة واتفق مع بعض المصريين على قتل صلاح الدين، فعلم بهم وقبض عليهم وصلبهم بالقاهرة ومن جملتهم عمارة سنة ٥٦٩ هـ.

انظر وفيات الأعيان ٣٧٦/١، ومفرج الكروب ٢١٢/١، وفيه البيت الوارد هنا ضمن قصيدة طويلة في رثاء الفاطميين أولها.

رميت يا دهر كف المجد بالشلل

(١) الأسجال جمع سجل وهو الدلو العظيمة مملوءة أو فيها ماء قل أو كثر، والركى جمع ركية وهي البئر.

(٢) هو عبد السلام بن الحسين المأموني، أبو طالب، أديب شاعر، يتصل نسبه بالمأمون العباسي، ولد وتعلم ببغداد، وسافر إلى الري فامتدح الصاحب بن عباد، وأقام عنده مدة في أرفع منزلة فحسده ندماء الصاحب وأخذوا يسعون فيه إليه بالأباطيل، فأحس بهم أبو طالب فاستأذن من الصاحب في السفر فأذن له، وفي بخارى التقى ببعض أولاد الخلفاء فأخذ يمني نفسه باستعادة الخلافة، ولكنه مات قبل أن يحقق حلمه ولما يبلغ الأربعين، وذلك سنة ٣٨٣ هـ.

فوات الوفيات ٢٧٣/١، يتيمة الدهر ٨٤/٤ - ١١٢.

(٣) في ب: لو كنت ربعاً فيك منكباً.

(٤) فضت: أسلت.

ابن غانم المقدسي

ثم أُبتُ بعدما ارعويتُ إلى صحنِ جامعها الأزهر، وقد أقمر ليلُ مُناي وأزهر، فلقيتُ به من سادة أعلام الأئمة وقادة علماء الأمة، الجامعين بين المعقول والمنقول، والقارعين ذرى التحقيق في الفروع والأصول، من أفاضل العلماء الراسخين وأئمة الدين، ومشايخ الفقهاء المجتهدين، وأكابر المحدّثين، ممن تُشَدُّ الرِّحالُ إليهم، والأخذ منهم، وتنضى نجب الآمال لرؤيتهم، والرواية عنهم، كالمحقق العلامة شيخ الإسلام، والمدقق الفهامة قدوة الأنام، وكشاف أسرار حقائق التنزيل، مصباح أنوار دقائق التأويل، شمس العلوم والمعارف، بدر الفهوم واللطائف، قرة عيون أصحاب أبي حنيفة، والراقي من مدارج التحقيق أعالي الرتب المنيفة، من بحسناته، يغفر ذنب الزمان المسيء شيخ الكل في الكل علي بن غانم المقدسي[1]، أمتع الله أفاضل الطلاب بوجوده، وأفاض عليه سجال كرم وجوده، حضرت مجالس درسه بالجامع الأزهر، وقد أنار من سنا علومه وأزهر، مع الملازمة الكلية أيام دروسه لها بالمدرسة السليمانية، ودار إقامته بالقاعة الأشرفية، وقد كتب لي بمشيخته

---

(١) هو علي بن محمد بن علي بن خليل، ابن غانم المقدسي الحنفي، نور الدين، يتصل نسبه بسعد ابن عبادة نقيب الخزرج، ولد بمصر سنة ٩٢٣ هـ، وأخذ عن علماء عصره وتفوق في كل علم وكانت إليه الرحلة من الآفاق وانتفع به الجم الغفير من أهل زمانه.

ولى المناصب الجليلة فكان إليه الافتاء وإمامة الأشرفية ومدرستها ومدارس أخرى كثيرة، حج مرتين ورحل إلى القدس ثلاث مرات.

وألف التآليف النافعة في الفقه وغيره مثل شرح الكنز الذي سماه: الرمز، وشرح الأشباه والنظائر.

توفى سنة أربع بعد الألف، ودفن بين القصرين بتربة المجاورين قبلي مدفن السراج الهندي.

انظر البدر الطالع ٤٩١/١، خلاصة الأثر ١٨٠/٣، ريحانة الألبا ٥٢/٢.

ثبتاً بخط يده، وأجاز لي أن أروي عنه ما جاز له وعنه روايته، عن مشايخ عصره، وأساطين علماء مصره، منعماً متفضلاً، دام جنابه لوارد العلوم منهلا، وسأورد إن شاء الله تعالى عن كثب صورة ما كتب، سيما على الرسالة المسماة بالأرتقية بما أثبته العلماء وقالوا، في نسب أمراء آل طالو.

شمس الدين النحراوي

وممن لقيت من أولئِك الأعلام، وأخذت عنه من مشايخ الإسلام، قطب دائرة أفق التحقيق، مركز إحاطة سماء التدقيق إمام الأئمة وشيخ العلوم، الجامع بين المنطوق والمفهوم، مُعْلي منار أصول الشرائع، بفصول بدائعه الروائع، الراقي من مدارجِ الأصلين، معارج أعالي الذروتين، سراج المذهب، وطراز خُلّته المُذَهّب، قُرة عين الإمام الأعظم أبي حنيفة وحاجبيه، من انتهت رياسة الحنفية بالقاهرة إليه، المكاشَفُ بحقائق أسرار الكتاب، المطلع على مزايا دقائق الخطاب، بقوة حَدْسه الصائب وصفاء سريرته، حيث أضيف نور بصره الثاقب، لأنوار بصيرته، ألا وهو العالم العامل الرباني الذي لا يدانيه فيها قَطّ مُدَاني، فضلاً عن المُسَاوِي، الأستاذ شمس الملة والدين محمد النَّحراوي، لا برحتْ بقاع الأزهر بمصابيح تقريراته منيرة الأرجاء، وأروقته بزواهر نجوم تحريراته مستنيرة الأنحاء، ما وخَدَتْ مطايا الهمم للأخذ منه، وارتوت من روايا الكرم بالرواية عنه، تشرفت بحضور دروسه السنية بالجامع الأزهر والمدرسة السنانية، صقيبة داره ولصيقة جواره[1]، مقتبساً من أنوار غرر

---

(١) الصقيبة: المواجهة والمقاربة، يقال: جار مصاقب إذا كان تجاهك، وفي ب: لصقية بدل لصيقة.

فرائِده، مقلداً أجياد الطلب درر فرائده، برهةً من الدهر ونُهْزة[1] من العمر إلى أن قُوضّت أطناب الاقامةِ من الفسطاط، وأعددت للسير من الخيل الرباط، ووجهت وجهي تلقاءَ مدين ديار الأحباب، أعني دمشق مغنى الأحبة ومغاني الأتراب:

مواطنُ أفراحي ومَرْبى مـآربي وقِبلـةُ أوطـاري ومأمنُ خِيفتي

استجزت[2] منه فيما له من رواية ودراية، ومشيخة هي لهذا المرام أشرفُ غاية، فأجاز لي بكل ذلك متفضلاً منعماً مشهداً بذلك عليه أجلة أصحابه ومعلماً، بعد أن أمر بعض الأفاضل من خواص حاشيته، أن يكتب ثبتاً بذلك موشحاً بدر نظام مشيخته، وسأورد صورة ذلك كما ثبت لك هنا غير أرقام أولئِك الأشهاد، والله ولي السداد.

شمس الدين الرملي

وممن لقيت من أساطين العلماء وأعلام المشايخ ونحارير الفقهاء، أولي القدر الشامخ، والمجد الباذخ، علامة المحققين على الإطلاق، فهامة المدققين بالاتفاق، بقية السلف الصالحين، أستاذ الخلف من أئمة الدين، شيخ مشايخ الإسلام، محيي سنن سيد الأنام، رافع لواء مذهب الإمام محمد بن إدريس، والراقي في أصحابه على التاج من الرئيس، مظهر الفرق من وجوه الخلاف بالقول الراجح الصحيح، مُعْلقُ الحق من قديم القول وجديده بقوة الترجيح، عمدة أرباب الخلاف، قُدوة أصحاب الاختلاف، العالم بدلائل الأصوليِّين شيخ وإمام الحرمين، من كادت

(١) النهزة: الفرصة، وفي ب: ونزهة.

(٢) في ب: استخرجت.

الأيام عنه تكتب ما يلي، إمام الأئمة وسراج الأمة، شمس الملة والدين محمد الرملي[1]، أعز الله الإسلام بطول بقائه، ومتع الأنام بطول نعمائه، تشرفت بحضور مجالس دروسه العامرة، واكتسبت من أنوار فوائده الغامرة، بمنزله مَعْلم العلوم ومربع الفضائل، ومترع الهمم ومحط رحال الأفاضل، وكذا بالمسجد الجامع الأزهر، حيث أضاء بمصباح علمه الأزهر، حضرت فيه وقد خُتم عليه قراءة شرحه على المنهاج، وقد فتح لطلابه من مقفلات أبوابه كل رتاج، فمما وقع في بعض تقريراته، من بدائع روائع تحريراته لفظ الفرصاد[2]، بعد أن روى بعذب ألفاظه كلَّ قلبٍ صَاد، على أنه التوتُ الأبيض، فأوردتُ عليه أثناء التقرير، قول جرير:

قـد أترك القرن مصفَرّاً أنامله كـأن أثوابـه مُجَّـتْ بفِرْصَادِ[3]

فأطرق ملياً واستدرك، وقال لعله من المشترك، إلى غير ذلك من فوائِد جمة، ومسائِل مهمة، وسأرسم صورة أرقامه، واثبـت رشحة أقلامه، على الرسالة الأرتقية، والنسبة الطالوية، حيث وشحها بلآلىء كلمه، ورشحها لمواطىء قلمه، أبقاه الله للدين ركنا، وللإسلام معقلاً وحصناً.

---

(١) محمد بن أحمد بن حمزة، شمس الدين الرملي، نسبة إلى الرملة إحدى قرى المنوفية، فقيه الديار المصرية في عصره ومرجعها في الفتوى، كان يقال له الشافعي الصغير، وقد ولي إفتاء الشافعية، وصنف شروحاً وحواشي كثيرة منها «نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج»، وفتاوى شمس الدين الرملي، وغيرها، ولد بالقاهرة سنة ٩١٩ هـ، وتوفي بها عام ١٠٠٤ هـ.

انظر خلاصة الأثر ٣٤٢/٣، الأعلام ٢٣٥/٦.

(٢) الفرصاد: التوت الأبيض، وصبغ أحمر، ونوى العنب.

(٣) ديوانه.

محمد بن سراج الحانوتي

ومن تشرّفت بطلعة لقائه، من مشاهير مشايخ الأزهر وعلمائه، وجماهير أئمته وفقهائه، ممن جمع العلم وصالح العمل في قَرَن، وأخلص لربه عز وجل في سره والعَلَن، علّامة علماء عصره، فَهّامة فضلاء مصره، بل شيخ القاهرة المعزية، ومن له في العلوم سِيّما الفقه أعظم مزية، قرة عيون أصحاب أبي حنيفة النعمان، والمشار إليه في التحقيق بالبنان، حَلّالُ المشكلات في الفروع والأصول، كشاف معضلاتِ المعقول والمنقول، بسحر بيانه الهاروتي، شمس الأئمة محمد بن سراج الحانوتي[1]، متع الله الأفاضل بطول بقائِه، وصرف السوء عن حوبائِه[2]، حضرت دروسه الفقهية، واقتبست من أنواره المضية، وذلك بالجامع الأزهر بالجانب الغربي من رواقه، لا زال منيراً بأنوار إشراقه، مع الملازمة والمثابرة مدة إقامتي بالقاهرة، أدام الله رفعته وحرس مهجته آمين.

شحادة الحلبي

ومن أجل ما لقينت بالدِيار المصرية، ممن سكن القاهرة المعزية، وحيد عصره، وعميد مصره، شيخ جامعها الأزهر ومشكاة مصباحه الأنور،

---

(١) محمد بن عمر (سراج الدين) الحانوتي، المصري، الحنفي، شمس الدين، الفقيه الأديب، ولد بالقاهرة في ١٩ صفر سنة ٩٢٨ هـ وتوفي عام ١٠١٠ هـ، وكان والده شيخ الإسلام سراج الدين عمر الحانوتي إماماً في الفقه الحنفي وله كتاب الفتاوى المشهورة فيه، ودرج ابنه على منواله في التأليف ومن آثاره فيه: «إجابة السائلين بفتوى المتأخرين» في مجلدين، وكتاب «مناقب الشعراء».

انظر خلاصة الأثر ٤/٧، وريحانة الألبا ٢/٥٩، ومعجم المؤلفين ١١/٧٨.

(٢) الحوباء: النفس.

من خُصّ بدقائق العلوم وحُبي، الشيخ العلامة شحادة الحلبي[١]، ضمتني معه عدة مجالس، ملقياً فيها من أبحاثه النفائس، وما تَغَار منها آذان الأفاضل، وتحار أذهان الأماثل،فكم أدار عليّ منها بسُلاف لفظه الرقيق، ما يقوم مقام سُلاف الرحيق، فكان مما عليه أداره، ما يحتمل التشبيه والاستعارة طارحاً ذلك مطرح الاستفهام، والقصد إثارة البحث بطريق الإبهام، فلم نزل نتجاذب أطراف الكلام، وفضل الري في ذلك بالأوام، تارة بالنقض وأخرى بالإبرام، إلى أن ظهر الحق وبان المرام، فوجدته في تلك الأبحاث ليث علم لا يجارى، وغيث فضل لا يبارى، وقد كانت الأسماع تشنف من قبل بأخباره، فتشوفت الأبصار لرؤيته بعد قرب مزاره.

حتى اجتمعْنا فلا واللهِ ما سمعتْ أذْني بأحسنَ مما قد رأى بَصَري

كثّر الله فوائده وأجزل من الفضل عوائده، ما زَهَر الأزهرُ بمصابيح ذكائه، وأشرقت ساحاته بنور ذُكائه، فمن قطرات يراعته ورشحات براعته، ما وشح به أعطاف الرسالة الطالوية، بزواهر فِقَرٍ تُخجل الدّراري المضيّة، وستبدو لك محاسن طلعتها عند اجتلاء[٢] صورتها.

بدر الدين القرافي

ومن لقيت بتلك الديار من محققي علمائها الراسخين، ومدققي

---

(١) شحادة بن ابراهيم الحلبي الشافعي، نزيل القاهرة، وكان علامة في الأصول والفروع الفقهية ووحيد عصره في المنقول والمعقول، أخذ عنه كثير من فضلاء عصره منهم ابراهيم المأموني والشهاب القليوبي والمؤلف، توفى عام ١٠١٠ هـ.

انظر خلاصة الأثر ٢/٣٢٠.

(٢) في ب: جلاء.

فقهائها أئمة الدين، المحقق العلامة والمدقق الفهامة، بدر العلوم الشارق، وبحرها العذب الرائق، رئيس السادة المالكية وشيخ القاهرة المعزية مهذّب مذهب إمام دار الهجرة الأصبح مالك، ومن أصبح لأزِمّةِ الخلاف دون أصحابه مالك، والذي غدا مشربه من العلوم سائغ صافي، ورداؤه من الفضائل سابغٌ ضافي، سيدنا العلامة بدر الدين القرافي[1]، لا برح جيد الزمان حالياً بعقود مفاخره، ولسان العصر والأوان تالياً لذكر مآثره، فلما تشرفت مسعداً بلقياه، وأشرقت عليّ كالشموس أنوار محياه:

رأيت به بدراً أضاء بطلعةٍ ... لبهجتِها[2] كلُّ البدورِ استَسَرَّتِ

فيا له من فقيه مالكيٍّ المذهب جليله، لا يضاهيه فيه من أصحاب مالك غير خليله[3]، فهو الجواد الذي لو جاراه أشهب العلوم[4] لكبا عن

---

(1) محمد بن يحيى بن عمر بن أحمد بن يونس، المالكي، المصري، ولي قضاء المالكية فيها، له كتب منها: توشيح الديباج وحلية الابتهاج وهو ذيل على الديباج المذهب/ لابن فرحون، وشرح الموطأ في الحديث، وله نظم ونثر، توفي عام ١٠٠٨ هـ.

انظر خلاصة الأثر ٢٥٨/٤.

(2) في ب: لطلعتها.

(3) يعني به الشيخ خليل بن اسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي، الفقيه المالكي المشهور صاحب كتاب المختصر في الفقه المالكي وقد ترجم إلى الفرنسية، تعلم في القاهرة وولي الإفتاء على مذهب مالك، وله مؤلفات عديدة في الفقه والتراجم، توفي عام ٧٧٦ هـ.

انظر: الدرر الكامنة ٨٦/٢، وحسن المحاضرة ٢٦٢/١، الأعلام ٣٦٤/٢.

(4) يعني به عالماً آخر من كبار علماء المالكية وهو أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي العامري الجعدي، أبو عمرو: فقيه الديار المصرية في عصره وصاحب مالك، قال عنه الإمام الشافعي: ما أخرجت مصر أفقه من أشهب...، وقد ولد أشهب عام ١٤٥ هـ، وتوفي بمصر عام ٢٠٤ هـ.

انظر تهذيب التهذيب ٣٥٩/١، وفيات الأعيان ٧٨/١.

مجاراته، أو باراه بهرام النجوم[1] نبا عن مباراته، هذا إلى عاطر سجايا كَفَاغـمَة الرياض[2] من النواضر، وباهر مزايا تحار فيها الأعين والنواظر:

فكأنمـــا زهرُ الرِّيَـــا	مِن تَفَتَّقـــتْ عنـــه الكِمَـامْ
أو ثغرُ باســـةِ الأقـــا	حِ من الحَيَـا فيـه ابْتِسام
أو شَرْخُ مُقْتبـــل الشَّبَـــا	بِ سَقَى معاهـــدَه الغَمَـامْ
وشَدَت بألحـــان الغَرِيـ	ـضِ ومعبـد [3] فيـه الحَمَامْ
قـد كـان لي في الظِّـلِّ من	أفيـــاءِ سرحتـــه مُقَـام
وَلَّـــى وأعقـــبَ حسرةً	وفراقُ من تهوى الحِمَـــام
فعليـــه بعـــد فراقـــه	منِّي التحيـــــةُ والسَّلَام

فهو الذي أقام سوق الأدب بشوارع مصره، بما أحياه من سُنَن شرائِعه، وحطّ عن بنيه ما تَحْمِل من أثقال إصره، بما أبداه من سَنَن بدائعه، أبقاه الله لبنى الآداب، أروى منهل وأخصب جناب، فكم جلا من عرائِس أفكاره الغُرّ، وأوانس أبكاره الزُّهْر، في مطارف وَشْي بديع، يخجل ديباجُه وشْي الربيع، ويُزري سماعه بسقاط كأنه جنا النحل مَمْزُوجاً بماء الوقائع[4]، أو سقيط الطلِّ من حُسّانــةِ الجيدين وفتّانة العينين، تُخَال في مَها الصَّريم أمَّ طلا وأختَ الرِّيم، من نثرٍ كأنّه سنن الفريد، وهي من نحر حُسّانة الجيد، ونظم تغار منه درر الأسلاك، وتغور

(١) بهرام النجوم: المريخ.
(٢) فاغمة الرياض: رائحته.
(٣) سبقت ترجمتها، وفي ب: القريض وهي تحريف.
(٤) ماء الوقائع: ما تمسكه الروضة من الماء.

لحسنه دراريّ الأفلاك ، فمنه ما وشّح به أعطاف رسالة النسب الطالويّ ، وحلّى منه أجياد الحسب الأرتقي البهي ، وسأوردك من كلٍّ صفوٍ نميرَه ، وأنهلُك من مطاف غديره ، فما وشائع حلل الربيع ، ومطارف وشيه البديع ، سوى ما حكته لنا في الطروس وشائع أرقامه ، أو حاكته من حِبَر الكلام فيه صنائع أقلامه ، لا برح الأدب غَضًّا بروائه ، ممتعاً بدوام بقائه ، آمين.

[السادة البكرية]

ومن لقيتُ من علماء هاتيك الديار ، وسادة أفاضلها وفقهاء تلك الأقطار ، وقادة أماثلها ، من الجامعين لأنواع العلوم والمعارف ، والحائزين من شرفيها التليد والطارف ، الثلاثة أئمة ، أعلام الدين وهداة الأمة ، شموس أفلاك التحقيق ، بدور منازل التدقيق ، من أصبحت لهم في العلوم الحقيقية الرتبة الشامخة ، والمعارف الإلهية القدم الراسخة ، فروع أغصان الدوحة البكريّة المثمرة بأنواع العلوم ، وأفنان الشجرة الصديقيّة ، المزهرة بأزاهر المنثور والمنظوم ، فهي الثلاثة التي أشرقت الدنيا ببهجتها ، وطفقت ألسن الأنام تثني عليها بصدق لهجتها ، تفقّه كلٌّ وتصوّف ، فأصبح كالروض المُفَوّف ، بعد ما افترع من ذروة الفصاحة أشرفها وأعلاها ، وارتقى من هضبة البلاغة أرفعها وأسناها ، متشحاً رداء العلم وحلة الفضائل ، ساحباً ذيلها على هام الأواخر والأوائل ، هذا إلى طاهر نسب كعمود الصباح ، وظاهر حسب كضوء المصباح :

نسبٌ كأن عليه من شمس الضحى   نُوراً ومن فَلَق الصباح عمودا

ونضارة أدب خمائل السّحر من نفحاته تفوح، وغضارة حَسَبٍ مَخَايلُ السِّحر من صفحاته تَلُوح:

أدبٌ يروقــــك نُضْرَةً ... فكأنه شَرْخ الصِّبا
أو زهرُ روضٍ بالحِمـــى ... قــد فَتَّحتــه يــدُ الصَّبـا

من تَلْقَ منهم تَقُلْ لاَقَيتُ سَيِّدهُم ... مثلُ النجوم التي يُهْدَى بها السَّاري

هم إنسانُ عينِ الزمان، وبهم يفخر العَصرُ والأوان، كما قال علىٌّ[1] المقال:

يا أسرةَ الصِّدْقِ والصِّديق إنكمُ ... في كلِّ عصرٍ لعين المجد إنسان

زين العابدين البكري

أقاموا بمصر الفضائِل دعائم فسطاطها، وحلُّوا منها محلة شهب النعائم[2] دون مناطها، فالعلوم اللدنية تؤخذ من أفواههم، والمعارف الإلهية تقتبس من أنوارهم، سيما طراز حلة فخرهم[3]، وضياء نور فجرهم[3]، لسان الحقائق، ومرشد الخلائق، قطب زمانه ونادرة عصره وأوانه، سيد العارفين وسند الواصلين، سيدنا الشيخ زين العابدين[4]،

---

(١) في ب: على المقال.

(٢) النعائم: منزلة من منازل القمر، صورتها كالنعامة.

(٣) العبارة ساقطة من ب.

(٤) هو زين العابدين بن محمد بن علي البكري، الصديقي، الشافعي، عالم في العربية والتفسير واللغة والبلاغة، من تآليفه: رسالة في الأترج، وله شعر، توفى عام ١٠١٣ هـ.
انظر في ترجمته خلاصة الأثر ١٩٦/٢ - ١٩٩، وريحانة الألبا ٢٢٢/٢.

حضرت مجالسه الشريفة أيام وعظه، وقد أدار فيها سلاف المعاني في كاسات لفظه، فأسكر القوم بعد صحوه، وأثبته في عين محوه، وخصوصاً لياليه المقمرة بسناء معارفه، المشرقة من صفاء مظارفه، أبقاه الله تعالى ذَرَّاف[1] المعارف، ومد ظله الوارف، على قوابل فيضه من المسعدين، إلى يوم الدين.

أبو السرور البكري

وثاني اثنين أفنان شجرة الصديقَ، وأغصان دوحة مجدها العتيق:

ثـاني اثنـين من أتـت في أبيه   آيـةُ المَـدْح في كـلام البـاري
هي قولُ الإلـــه فيـــه تعـالى   ثانِيَ اثنـين إذْ هُمَـا في الغَارِ

فهو ريحانةُ روضها الأنيق، ونُوارة غصنها الوريق، شيخ المعارف والعلوم، وإمام المنطوق والمفهوم، الجامع بين علوم الشرائع والآداب، والسالك من نهجتها مسالك الصواب، محيي رِباع الفضائِل ومعالم التنزيل، مُجدِّد رسوم العلوم ومعاهد التأويل، من بِفَرْقِ رُوَائه طهرت الأصول، وزَكَت الفروع، وبفرق آرائه ظهرت الأصول وبدت الفروع، طلعت شُموس علومه في سماء القاهرة، فاختفت نجوم فضائلها والأشعة قاهرة:

هو الشمسُ علماً والجميـع كواكبُ   إذا ظهرتْ لم يَبْـدُ منهنَّ كوكبُ

أخرس بفصاحته بلغاءَ العرب بأنْحائها، بعدما هدرت شَقَائِقُها في

(١) الذراف: السريع، والسيال، وفي ب: دارف.

سُرَّة بَطْحائها، وبدَّد بمنطقه الأواخر والأوائل، وأسحَبَ به ذيلَ العيِّ سحبان وائِل، ألا وهو العالم الذي لم تسمح بمثله الأزمان والعصور، ولم يأت بنظيره تتابع الأعصار والدهور، مَنْ حَظُّهُ من العلوم موفور، وسعيه فيها مشكور، علامةُ عصره، وفهَّامة مِصره، شمسُ فلك الكمال، بدر أفق الجمال، محمد أبو السرور[1]، لا برح الفُسطاط مُخَيِّم فضائله وعلومه، والروض تُزهي بزهر منثوره ومنظومه، فكم ضَمَّني وإياه عدة مجالس، وأسمعني فيها من أبحاثه النفائس، سيما مباحث تتعلق بدقائق التفسير، فقد أبان فيها عن كامل فضل وعلم غزير، وأما مؤاخذته للإمام الفخر فقد جَرَّ بها على عُلماءِ مصره ذيل الفخر، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وهو الَّذِي أنزل السَّكِينة﴾[2] الآية فهي آية، لرتبة إعجازه في التفسير وأي آية، دعاني يوماً لمغنى كمغاني الشِّعب طيباً، ومعاني الشمس فخراً ونسيباً، مشرفٌ من سمائه على بِركة الفيل، وقد أشرقتْ من آفاقه كواكب النيل:

بأمواهٍ تَصِلُ بها حصاها صليل الحَلْي في أيْدي الغَوَاني

فلم نزلْ نتفيَّأُ ظلال ذلك المقيل إلى أن جرى على لُجين الماء ذهبُ

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد، أبو السرور، زين العابدين ابن أبي المكارم البكري، مفتي السلطنة في مصر، كان آية في علم التصوف ولذا سمي تاج العارفين، وأول من أطلق عليه اسم مفتي السلطنة في الديار المصرية.

من تآليفه: تفسير القرآن من أربع مجلدات، وتفسير سورة الانعام في مجلدين، وتفسير سورة الفتح.

انظر خلاصة الأثر ١٥٢/٤، الأعلام ٢٦٠/٧.

(٢) سورة الفتح الآية.

الأصيلَ، في هواء راق[١] كأيام الهوى، وماءٍ رَقَ[٢] كدمعة السرور بعد النَّوى، كما وصف بعضُ شعراءِ الصَّاحِبِ[٣] دارَه، وقد جلس فيه كبدرٍ ونحنُ له دارة[٤]:

هواءٌ كأيّــام الهوى فرط رقة وقد فقد العُشّاق[٥] فيها العَواذلا
ومــاءٌ على الرضراض يجري كأنه صفائــح تبْرقـد سُبِكْن سَلَاسلا
كـأنّ بهـا من جرية الماء جنّةٌ وقــد ألبستهن الريــاح سلَاسلا

فما زال مفيداً لنا سحابة يومه، إلى أن استيقظ راقد الليل من نومه، ثم رحنا عبق المسك بالأردان، نتهادى ما بين صاح ونشوان، وقد تشنفت الأسماع بلآلىء فوائده، وتحلت الأجياد من جواهر فرائده، دامت معاليه، وطابت أيامه ولياليه.

أبو المواهب البكري

وثالثُ نَيِّرِي فلك الفضل والكمال، وقري منازل السعد والإقبال، ريحانةُ روضِ بَنِي الصِّدِّيق ووردتُها النابتةُ مع الشقيق:

نور العــدارة نورهـا ونسيمهـا نشر الخزامي في أخضرار الآس

طراز حلة مجدها، وطلّاع ثنايا نجدها، ومخزن أسرار علومها، ومطلع أنوار فهومها،

---

(١) في ب: راض.
(٢) في ب: مارق.
(٣) في ب: شعر الصاحب.
(٤) الدارة: هالة الضياء التي تحيط بالقمر، أو بغيره من مصادر الضوء.
(٥) في ب: العذال.

شَمْسُ ضُحاها هلالُ ليلتها دُرُّ مقاصيرها زَبَرْجَدُها

علّامة مصر القاهرة وشيخ أفاضلها، والعالم بدقائق علومها وجلائلها، الفائز من العلوم الإلاهِيَّة بأعلى المراتب، والحائز في المعارف الربانيّة أسنى المناقب، فخرُ بني الصديق وآل الحسن، المؤيَّدُ بفصاحة النطق وحلاوة اللَّسَن، المستعدُّ لفيض ذي المواهب، الشيخ الأجل سيدي أبو المواهب[1] تلفَّع بُرد شبابه الأفواف، وطَرَّزه بحواشي الصون والعفاف، إلى حسن سجايا وطيب شمائل، كزَهْر الرياض ونور الخمائل، وأدب يرفُّ كماء الشباب في محيا وسيم، إذا رأيته تعرفُ فيه نَضْرَة النعيم:

أدبٌ يروقك نظرةً فكأنّه عصرُ التَّصابي
أو شرخُ أيام الصِّبا في ظل أفياءِ الشَّباب

فهو لعمري قيد النواظر، وشَرَك الخواطر، أضحكُ من الرياض بكْتها الغمائم، وناحت لغير الحُزْن فيها الحمائم، فكم أجنى يدي من باكورة ثماره، بأحلى من جني النحل أتيح لمشتاره، مما لا تتمكن منها الأطماع، ولا تتحكم فيها يد الطباع، فكأنها التي أعدت للمتقين، في ربوة ذات قرار ومَعِين:

---

(١) هو محمد أبو المواهب بن محمد بن محمد بن علي البكري الصديقي، المصري الشافعي، من شيوخ الصوفية البكرية بمصر، وكان في بداية أمره مائلاً إلى الخلاعة ومجالسه مشحونة بأنواع الطرب والملاهي، ثم آلت إليه مشيخة المشايخ بعد وفاة أخيه أبي السرور، فعاد إلى مسلك أسلافه وتصدر للتدريس وإملاء التفسير، ولد بالقاهرة سنة ٩٧٤ وتوفى بها عام ١٠٣٧ هـ.
من آثاره ديوان شعر سماه ترجمان العوارف وبستان المعارف، أخرجه بعد كتابيه « مبتدأ الخلاعة وأنيس الجماعة »، و« سلسال الذهب وعنوان الطرب ».
انظر خلاصة الأثر ١/١٤٥، ريحانة الألبا ٢/٢٢٣، الأعلام ٧/٢٩٢.

لهـــا ثمرٌ تشيرُ إليـــك منـــه   بأشربـــةٍ وقفْنَ بـــلا أواني

وسأجنيك من وشيم ثمارها[1]، وأحييك بشميم عُرارها، وذلك مما رصّع به كلٌّ من تاج تلك الرسالة الطالويّة، وكساها من ديباج براعته بها الثياب المروزية، من بدائع فِقَر كعقود الجمان، وروائع درر كلآلىء المرجان، كيف ولا هم الثلاثة الأعيان وأئمة الفضائل وأهل العرفان:

ثلاثـــة تشرق الدنيـــا ببهجتهـــا   شمس الضحى وأخوها البدر والقمر

لا زال مخيم الفسطاط مضروب الطناب بطويقائهم أبداً حيث القباب.

الشمس الميموني

وممن لقيتُ من أعلام علماء القاهرة، ممن له صولة لأبيات العلوم قاهرة، شيخ جامعها الأزهر، ومصباحه المنيرُ الأزهر، مالك أزمّة علمي المعاني والبيان، والمشار إليه فيهما بالبنان، فهو العالم الذي سرى ذكره في الآفاق، مسير الصَّبا حيث جاذب ذيلها النسيم الخفاق، الذي أطلع شمس التحقيق من أفق بيانه، وأظهر بدر التدقيق من نسق تبيانه، أخذ معاني الكلام بأطرافه، فوشح أعطافه من درر أصدافه، وتوغل في طرق البلاغـة سالكاً مضيق شعابها، وتوقل ذرى الفصاحة قارعاً طريق هضابها، بعد أن رفع الأستار عن وجوه إعجازه، وميز فيه بين حقيقته ومجازه، فلهذا عقدت عليه الخناصر من علماء عصره، وانعطفت إليه الأواخر من فضلاء مصره، فلا يضاهيه في ذلك أحد في زمانه، ولا ينسق

---

(١) وشيم الثمار: أول ما ينبت منها، وفي ب: وثم.

ما نسقه من دره ومرجانه، فهو المعوّل عليه في مشكلات العلوم، معقولها ومنقولها، خيم فناء الفسطاط داراً، واتخذها لعُلُومِهِ مِدْرَاراً، فزهتْ به تلك الرُّبَى والمعالم، وأذعن لفضله فيها كلُّ عالم، كيف لا وهو قُرّة عين أصحاب الإمام محمد بن إدريس، ودرة تاج جوهرها الغالي النفيس، ألا وهو العالم العامل، والفاضل الكامل، من إذا ذُكِرت مباحثُ تحقيقه، أو ألَمّ به طيفٌ من سُلافة رحيقه، كادت تأخذني لذلك هزة أو تعروني، شمس الملة والدين محمد المَيْموني[١]، طال ما شرفني بمجالسته، وأورد عليّ من رحيق مُدارسته:

فَسَكِرْتُ من رَيَّا حواشي بُرْده وسَرَتْ حُمَيَّا البُرءِ في أَدْوَائي

وذلك بمنزلي بالمكان الموسوم، بقرب الأزهر بزُقاق حَالُوم، وقد حللتُ عنده ما كان أشكل، من دقيقات أبحاث المطوَّل سيما أحوال المسند إليه، إذ كان المعوَّلُ فيها عليه، مع المُمَاشاة معه في شرح المحقِّق الجَلَالِ المَحَلِّي[٢]، حيث كان في حلبة الأصول هو المجلِّي، وهو الشرح على جمع الجوامع، فتارة وأخرى أكون فيها السامع، إلى أن قَوّضتُ من الفسطاط طُنُبَ الإقامة، ميمِّماً حِمى دمشق الشام دار المقامة:

---

(١) هو محمد بن عيسى المصري الشافعي، شمس الدين الميموني، عالم فاضل، ولد نحو سنة ٩٣٠ هـ وتوفي سنة ١٠٢٣ هـ.

ترجمته في خلاصة الأثر ١٠٥/٤، وقد ذكر المؤلف هنا ترجمته بأوفى مما ذكر هناك.

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد المحلي المصري (جلال الدين)، كان مبرزاً في التفسير والفقه والأصول والبلاغة والمنطق، ولد بالقاهرة عام ٧٩١ هـ، وتوفي بها عام ٨٦٤ هـ. من تصانيفه: شرح جمع الجوامع للسبكي في أصول الفقه، ومختصر التنبيه للشيرازي في فروع الفقه الشافعي، وشرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك في النحو، وشرح الشمسية في المنطق، وتفسير القرآن بالمسمى بالجلالين بالاشتراك مع جلال الدين السيوطي.

انظر ترجمته في شذرات الذهب ٣٠٣/٧، حسن المحاضرة ٢٥٢/١.

فودَّعتُ منه طَودَ عِلمٍ رِعَانُهُ[1] لدى حادثاتِ الجَهْل حِصنٌ ومَعْقِلُ

عبد الله الشنشوري

ومن لقيتُ من أعيان العلماء العاملين، وأشراف الفضلاء أعلام الهدى والدين، ممن جمع الحلم والعلم والصلاح، وسلك مسلك الزُّهد وطريقَ النجاح، العالم العامل، والفاضل الكامِل، مُهذِّبُ مذهبَ الشافعي، بنطقه الشافي العي، عمدة فقهاء المذهب وأرباب الحديث، المُعَوَّلُ عليه في الترجيح بين القديم والحديث، شيخ المسجد الجامع وخطيب أزهره، من كادت تُزْهِرُ - وقد مسّها - أعوادُ منبره، العالم بفروض الكتاب وسُننه، الذي حاز نصف العلم وبه تملّا، بعد أن ملكه وفاز فيه بالقِدْح المُعَلّى، وتملكه فكم راض بفكره الرائض، من مشكلات أبيات الفرائض، وحل من مسائل الحساب، ومشكلاتها الصعاب، فأعجز عن إدراكها القوم، من بدء الإسلام إلى اليوم، مع المثابرة على مذاهب الصحابة الأربع هداة الناس، عليٍّ أمير المؤمنين وابن مسعود وزيد وابن عباس، عالماً بمواضع خلافهم واختلافهم، ومواقع رفاقهم واتفاقهم، مع رغبته عما يرغب في الدنيا والدرهم، وزُهْدٍ في متاع الفانيةكزُهْد ابن

(١) الرعان: أنوف الجبل الطويلة الشاخصة.

أدهم[1]، فلهذا تراه مهما تراه وَرِعاً في مسلك الثّوري[2]، إمام الأزهر وشيخ علومه عبد الله الشُّنْشَوْري[3]، لا برحت مسائلُ الروضةِ الفَرْضيّةِ وسيلةً لمنهاجه، ومشكلات السِّراجية منيرةً من ضوء سراجه، فهو وسيلة العلم وفيه الكفاية، ومنه المعونة وبه العناية، حضرتُ مجالس درسه مع الأصحاب، وأخذت عنه الفرائض والحساب، وذلك بمنزله قرب الأزهر أشرف مكان، مما يلي السبيل حوضَ السلطان، فمما قرأت عليه: أحد

---

(١) يعني به ابراهيم بن أدهم بن منصور، التميمي البلخي، أبا إسحاق، الزاهد المشهور، كان أبوه من أهل الغنى في بلخ، فتفقه ورحل إلى بغداد وجال في الشام والحجاز وأخذ عن كثير من علماء الأمصار، وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم، وجاءه عبد لأبيه يحمل إليه عشرة آلاف درهم ويخبره أن أباه قد مات في بلخ وخلف له مالاً عظيماً، فأعتق العبد ووهبه الدراهم، ولم يعبأ بمال أبيه، وكان يلبس في الشتاء فرواً لا قميص تحته، ولا يتعمم في الصيف ولا يحتذي. توفي مرابطاً في سوقن (حصن من بلاد الروم) عام ١٦١ هـ.

انظر حلية الأولياء ٧/ ٣٦٧، و ٨/ ٣، وانظر الأعلام ١/ ٢٤ والمراجع عنه فيه.

(٢) سفيان بن سعيد الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، أبو عبد الله، كان يسمى أمير المؤمنين في الحديث، وكان ورعاً تقياً، راوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم فأبى، وخرج من الكوفة سنة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة، ثم طلبه المهدي فتوارى، وانتقل إلى البصرة وعاش فيها مستخفياً حتى توفي عام ١٦١ هـ، وله مؤلفات طيبة في الحديث.

ترجمته في الفهرست ١/٢٢٥، وطبقات ابن سعد ٦/ ٢٥٧، وحلية الأولياء ٦/٣٥٦ ثم ٧/٣، وانظر الأعلام ٣/١٥٨.

(٣) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله العجمي الشنشوري نسبة إلى شنشور من قرى المنوفية بمصر، فرضي من فقهاء الشافعية، كان خطيب الجامع الأزهر، وله كتب كثيرة منها: فتح القريب المجيب، جزءان من الفرائض (المواريث)، والفوائد الشنشورية في شرح المنظومة الرحبية من الفرائض أيضاً، وبغية الراغب شرح مرشدة الطالب لابن الهائم في الحساب، وشرح تحفة الأحباب في معرفة الحساب لسبط المارديني، ولد سنة ٩٣٥ هـ وتوفي ٩٩٩.

انظر هدية العارفين ١/٤٧٣، وإيضاح المكنون ذيل كشف الظنون ١/١٨٧، والأعلام ٤/٢٧٢، ومعجم المؤلفين ٦/١٢٨.

شروحه على الرحبيـة مقتبساً من لوامع أنواره المضيَّة، مع سماعي لكتاب النُّزهة عليه، وحل بعض مشكلاته لديه، وبعضاً من شرحه لترتيب المجموع[1] الذي هو في الفن أعذبُ ينبوع، للشيخ بدر الدين محمد سبط المارديني[2] العلّامة، أحلّه اللهُ من فضله دار المُقامة، وغير ذلك مما له من تآليف شريفة، وتصانيف لطيفة، وأجاز لي أن أروي عنه خاصة، وما يرويه عن مشائخه عامة من الكتب المُعتبرة، والوسائل المُحَبَّرة، كما رسم بخطِّه، وأثبته في قِسطِّه[3]، مدَّ الله وريف ظلالـه بمحمد وآله.

وممن لقيت من أئمة أصحاب التحقيق، وأعيان الفضلاء وأرباب التدقيق، الحَبْرَ العلَّامة، والبحرَ الفَهَّامة إمام أئمة الفروع والأصول، شيخ مشائخ المعقول والمنقول، عُمْـدَة الفقهاء والمحدِّثين، قـدوةَ العلماء أئمة الدين، المتفرد في علوم الحديث بعلو الإسناد المنفرد بصحيح الرواية عن الجمع وترك الآحاد، من علت في علوم الآثار روايته، وخفقت في عصره رايته، عمدة الفقه وقُرَّة عين الأصحاب، وشيخ اللغة والنحو والإعراب، فهو سيبويه العصر وثاني الخليل نحواً وعروضاً، ومعتمد أصحاب الشافعي

---

(١) هو كتاب ترتيب المجموع للكلائي (محمد بن شرف) في علم الفرائض، وما زال مخطوطاً.

(٢) محمد بن محمد بن أحمد الغزال الدمشقي، بدر الدين الشهير بسبط المارديني، عالم بالفلك والرياضيات، أصله من دمشق، ومولده بالقاهرة عام ٨٢٦ هـ وتوفى بها عن ستة وسبعين عاماً سنة ٩٠٧ هـ، وكان موقتاً بالجامع الأزهر، ولكنه كان عالماً بارعاً في التأليف وترك منها العديد، منها: جداول رسم المنحرفات على الحيطان، وحاوي المختصرات في العمل بربع المقنطرات، وتعليق على لامية ابن الهائم في الجبر والمقابلة، وغيرها كثير.

ترجمته في الضوء اللامع ٣٥/٩، والبدر الطالع ٢٤٢/٢، ثم انظر الأعلام ٢٨٢/٧ ومعجم المؤلفين ١٨٨/١١ وما ذكراه من المراجع عن مؤلفاته.

(٣) القط بكسر القاف: الكتاب.

مسنوناً ومفروضاً، من كان إليه تبكري وتغليسي[1]: الشيخ شهاب الدين أحمد البرليسي[2] إمام عالم بأس التنزيل، همام عارف بمعاني التأويل، تهادته الأرواح من ربوع القاهرة فرمت به في رياض دمشق الناضرة:

بـــــين روضٍ وغَدِير ولمـــــى[3] ظـــــلٌ ظليــــل
ربوةٌ ذاتُ قرار ومعــــــينٌ سلسبيــــــل

فعلا منها تلك القصور، ولم يسند إليه في علمه قصور، فأقام بها وشباب الزمان مقتبل، وعذاره من ندى الطل ما بقل، وتبوأ صحن جامعه داراً، واتخذه لأفلاك علومه مدراراً[4]، فقامت به سوق الأدب على ساق، وجرى في ميدان العربية فأحرز السباق، وأنجب فيها تلاميذ أفاضل، وألحق الأواخر بالأوائل، بعد أن جالس من أساطين علمائها الفحول، ونحارير فضلائها من يعول عليه في المعقول والمنقول، كعلامة محققيها، وخاتمة مدققيها، العالم الذي لم تسمح به الأدوار، ولم يأت بمثله الفلك الدوار، إمام علمي المعاني والبيان، والمشار إليه فيهما بالبنان، شيخ علمي التفسير والحديث على الإطلاق، في الديار الشامية والحجاز والعراق، المنفرد بعلم عقائد الإسلام، والمخصوص بديار العرب بمعرفة

---

(١) التغليس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء النهار.

(٢) في ب: البرسيلي وهو خطأ، فهو الشيخ شهاب الدين أحمد البرلسي المصري الشافعي، الملقب بعميرة، الإمام العلامة المحقق، أخذ العلم عن الشيخ عبد الحق السنباطي والنور المحلي، وكان عالماً زاهداً ورعاً حسن الأخلاق، يدرس ويفتي، وانتهت إليه الرياسة في تحقيق المذهب، من مصنفاته حاشية على شرح جمع الجوامع للسبكي.

انظر شذرات الذهب ٣١٦/٨، إيضاح المكنون ٣٦٦/١.

(٣) لمى الشجر: أسود ظله.

(٤) في ب: مدراراً.

فن الكلام، إمام النحاة والأصوليين، صدر المناطقة والمتكلمين فخر الملة والدنيا والدين، الشيخ علاء الدين بن عماد الدين[1]، الشافعي مذهباً الأشعري مشرباً تغمده الله بغفرانه، وأسكنه فسيح جنانه.

وكالعلامة المشهور عالم الربع المعمور، من أصفقت عليه كبار الأمة وأجمعت لديه أكابر الأئمة، وقد ظهرت بعض آياته الباهرة بأنه المجتهد على رأس المائة العاشرة، بدر العلوم الباهرة، وقطرها الهامي الهامر، طلع في سماء الفضايل بدر أنار بطلعته، فاختفت بدور الآفاق واستترت لطلعته، إمام المنثور وشيخ المنظوم، والمخترع لتفسير المنظوم الذي أتى فيه وهو الأخير زمانه، بما لم تستطعه الأوائل، وأدرج فيه من فنون البلاغة ما أسحب به ذيل العيِّ سحبان وائل، الإمام المعتبر الجليل العالم بأسس التنزيل، ومعاني التأويل، من خَاطَبه لسانُ زمانه، دون أهل عصره وأوانه، أنت ذخري وكَنْزي، وبك فخري وعِزِّي، شيخ العلوم والمعارف بدر الملة والدين بن الشيخ رضي الدين العامري الغزي[2] مد

(١) سبقت ترجمته.

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله العامري، أبو البركات الغزي، بدر الدين، الفقيه المفسر المقرىء المحدث، الأديب، ولد بدمشق عام ٩٠٤، ولزم في الفقه والعربية والمنطق والده رضي الدين، ثم رحل مع والده إلى القاهرة فأخذ عن القاضي زكريا الأنصاري والبرهان بن أبي شريف والقلقشندي وغيرهم.

وقد درس وهو ابن سبع عشرة سنة وشيوخه أحياء، كما تولى بعد ذلك المناصب الدينية كمشيخة القراء بالجامع الأموي وإمامة المقصورة، ودرس في العديد من المدارس كالعادلية والمقدمية والتقوية، وانتفع به خلق ورحل إليه طلاب العلم من الآفاق.

ثم لزم العزلة عن الناس في أواسط عمره، وتوفي عن ثمانين عاماً سنة ٩٨٤ هـ.

من تآليفه: تفسير منظوم للقرآن سماه التيسير في التفسير، والدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد، وشرح جمع الجوامع للسبكي في أصول الفقه وغيرها.

انظر في ترجمته تراجم الأعيان ١٧٦/١، شذرات الذهب ٤٠٣/٨، البدر الطالع ٢٥٢/٢.

الله ريق ظله على الإسلام، وأمتع بحياته الأنام، ما انتظمت سُبْحَةُ الليالي في سلسلة الأيام، ولم يزل برهة من الدهر، ونُهْزَة صالحة من العمر، يستكشف منه مشكلات تفسيره، ويستوضحه من معضلات تحريره، تارة بالمدرسة التقوية جوار جامع بني أمية، وأخرى في بقعة الجامع قرب الكاملية، إلى أن قوض خيام الإقامة من دمشق الشام، ودعت لمخيَّم فسطاطه داعية غرام:

فسار مسير البدر يطوي منازلا　　إلى مصر حتى حلَّ في أهلها عَمْطا
ثَوى فيهمُ كالشمس يُعْطِي ضِيَاءَهُ　　وليس كمثل البدر يأخذُ ما أعطى

ولما ألقيت بمحروسة القاهرة عصا التسيار، ودمنت منها رسوم تلك الديار، وذلك عام ثمان وتسعين وتسعمائة[1] لقيته في بعض شوارع مصره، وقد عُرِّي كابنِ دَأْيَةَ[2] في وكره طائرُ نَسْرِهِ:

رأيت منه شُويخاً لست أعرفه　　وكنت أعهده من قبل ذاك فتى

قد اتخذ المُؤَيَّدة دار هجرته، وانزوى منها وسط حجرته، واستأنس فيها بوحشة من الناس، حتى عن مشتهى الروضة والمقياس، فأنست به أنس الروض بنسيم أسحاره، ومنجد بفاغمة شميم عراره، بعدما أَلِف منزلي بمُعَرَّس الفسطاط، ومخيمي إلف قواطن مكة من وُرْق الحِمى، فدعتني لأخذ علوم الأثر عنه همة علية، فسَرَدْتُ عليه شرح الألفيّة

(١) هكذا في ب، أ وفيه نظر فبدر الدين توفى عام ٩٨٤ أو ٨٥ هـ، ومن المؤكد أن صحة هذا التاريخ هو ثمان وسبعين وتسعمائة.

(٢) ابن دأية: الغراب، والدأية في الأصل: الموضع الذي تقع عليه ظلفة الرحل في البعير فتجرحه، ولما كان الغراب كثير الوقوع على هذا الموضع فقد سمي ابن دأية.

لشيخ الحديث في القديم والحديث العراقي[1]، واستمحته سَجْل معانيه فأتْرَعَنيه إلى العَرَاقيّ[2]، فعند ذلك استبنتُ ما فيه من قوادمه إلى خوَافه، في مدة دونها ليالي[3] الميقات مرتين، وكانت كليالي حبيب بالرقمتين[4]، بحيث صارت إليّ علومُ الأثر بحمد الله هي العينُ بعد الأثر، فلم يزل مدة إقامتي بالقاهرة يخصني كلَّ يوم من فوائده بنادرة، إلى أن وقفتُ بِثَنِيَّةِ الوداع، وهم قلبي بالإقلاع، فخرج معي للتشييع، ووقف كل منا هنالك وقفة التوديع:

نسرقُ الدَّمعَ في الجيُوبِ حَيَاءً وبنا ما بنا من الأشواقِ

ثم أثنيتُ عنه ثناء الروض على الأمطار[5]، وسرتُ وسار والقلبُ فيه أوار:

---

(١) يعني به عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، الحافظ العراقي، أبا الفضل، وهو من كبار حفاظ الحديث، ولد سنة ٧٢٥ هـ في إربل وتحول صغيراً مع والده إلى مصر فتعلم ونبغ فيها، ثم قام برحلة إلى الحجاز والشام والعراق وعاد إلى مصر، وتوفي بها عام ٨٠٦ هـ.

من مؤلفاته الشهيرة ألفيته في مصطلح الحديث وقد شرحها في كتاب سماه فتح المغيث كما شرحها الكثير من العلماء، وله: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج أحاديث الإحياء للغزالي، والتحرير في أصول الفقه، وألفية في غريب القرآن، ونظم الدرر السنية في سيرة الرسول الكريم، وغير ذلك كثير.

انظر ترجمته في الضوء الطالع ١٧١/٤، وغاية النهاية ٣٨٢/١، وحسن المحاضرة ٢٠٤/١.

(٢) السجل: الدلو العظيمة، والعراقى: جمع عرقوة وهي الخشبة التي توضع معترضة على فم الدلو.

(٣) في ب: الليالي.

(٤) الرقمتان: تثنية الرقمة وهو مجتمع الماء في الوادي، أو الروضة، والرقمتان: روضتان بناحية الصمان، ذكرهما زهير في شعره، انظر معجم البلدان ٨٠١/٢.

(٥) في ب: ثم انثنيت عنه ثنيا الروض.. الخ.

وكانـت لوعـةٌ ثم اطمأنـت[١]　　كـذاك لكـلّ سائلـةٍ قَرارُ

داود الانطاكي

ومن لقيتُ بالديار المصريّة من أساتذة العلماء وأكابرها، وجماهير الفضلاء ونواردها، الأستاذ رأس الحكماء ورئيس الأطباء، متقن قوانين الحكمة والطب في عصره، والمُعَوَّلُ عليه فيهما في مجموع البسيطة سِيَّما مصره، من أصبح قانون طبه شفاء الأسقام، والنجاة من شُبَهِ الشكوك والأوهام، فالحكمة الإشراقية لا توجد إلا في مُطَارَحَاته، ومباحثها لا تُؤخذ إلّا من إشاراته وتلويحاته، وسنا حكمة الإشراق إنما تُقْتَبس من رموزه اللاَّهوتية، وهياكل النور إنما تشرق من أنواره الملكوتية، فهو الحكيم الفاضل، والفيلسوف الكامل، مهذِّبُ حكمةِ يونانَ من أوهام الشكوك وأكدار الطبيعة، المتمسك من علوم الشرائع والنواميس بأقوى ذريعة، رئيس أفاضل يونان، نادرة العصر والأوان، أبقراط وقته وأوانـه، جالينوس عصره وزمانـه، الواقـف عـلى أسرار الطبائـع والأعشاب، والداخل على سر الصناعة من كل باب، فخر فلاسفة الإسلام، رئيس أطباء الانام، ثاني رَهْنِ المِحْبَسَيْن[٢]، ثالث الشَّيْخَيْن بلا مَيْن[٣]، ذو الخِيم الأطيب الزاكي، الشيخ داود بن عمر الأنطاكي[٤]،

---

(١) في ب: أطماس.

(٢) في ب: دهر المحتسبين، وثاني رهن المحبسين يعني أنه كان رهين العمى وحبيس البيت كأبي العلاء المعري الذي كان أول من نعت بهذا الوصف.

(٣) ثالث الشيخين: يعني بالشيخين بقراط وجالينوس وكان هو ثالثهما في براعته في الطب.

(٤) ولد داود بن عمر الأنطاكي في أنطاكية ببلاد الشام ودرس بها المنطق والرياضيات وشيئاً

نزيل القاهرة المُعِزيَّة، والمميَّزُ على مَن فيها المزية، المتوحِّد بأنواع الفضائل، والمتفرِّد بعلوم الأوائل، سيما علم الأبدان، المقدم على علم الأديان، فإنه بلغ فيه الغاية التي لا تدرك، وانتهى منه إلى الرتبة التي لا تكاد توصَفُ ولا تملك، وأما معرفته لأقسام النبض فآية له باهرة، وكرامة على صدق دعواه، ظاهرة، يكاد لقوة حدسه يسكتشف الداء من وراء حجابه، ويناجيه بظاهر علاماته وأسبابه، هذا وقد كنت وريعان الشباب، وغَيْسَان[1] بلوغ الأتراب، أتنسم أخباره من الفسطاط، وأنا بدمشق والمنزل بشطاط:

حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذني بأحسن مما قد رأى بصري

فضلٌ ليس وراءه لأحد فضلَه، وعلم لم يحو أحدٌ في عصره مثله، إلى أدب يَغَضُّ منه الناظر، ويَحَار في وصفه الفِكْر ويسرُّ الخاطر:

فكأنـــــه الروضُ الأريـ ـضُ بجنـــة الفردوس حَاكِي
هَتَفَـــتْ بــــه رَأْدَ الضُّحَـــى وُرْقٌ سَواجِــــعُ في الأراكِ
وحَبَــــاهُ وادي الشُّحْرِ رَيَّـــا عِترُهُ فوق المَدَاكِي[2]

من الطبيعيات كما درس اللغة اليونانية، ثم هاجر إلى القاهرة وهناك اشتهر وذاع صيته، ثم عن له أن يرحل إلى مكة فأقام بها سنة ثم مات عام ١٠٠٨ هـ، من مؤلفاته الشهيرة تذكرة أولي الألباب المعروفة بتذكرة داود في الطب، وتزيين الأسواق بأخبار العشاق مختصر أسواق الأشواق للبقاعي، وله النزهة المبهجة في تعديل الأمزجة، وكفاية المحتاج في علم العلاج، وشرح لعينية ابن سينا المشهورة في النفس.

انظر خلاصة الأثر ١٤٠/٢، وشذرات الذهب ٤١٥/٨ وقد نقل فيه ما ذكره الطالوي هنا بنصه.

(١) غيسان الشباب: جدته وأوله ونعمته، يقال: فلان يتقلب في غيسان شبابه.

(٢) العتر: بقل عشي عطري، والمداكي: الأرض التي دكت وسويت.

فَغْمُ العَطَـــاءِ لأجــل ذا　　　منـهُ ترى الفُسطـاطَ ذاكِي[1]
حملـــتُ للزوراءِ عنــــه　　　تحيــــةَ هوجِ المَذاكي[2]
ينحُو بأعـــلى الكَرْخِ دَاراً　　　جَادَهـــا نَوْءُ السِّمَـــاكِ[3]
فهي المَطَـــــافُ لحائرٍ　　　بالحائريَّـــةِ ظَـــلَّ باكي[4]

وردتُ عليه على بُرح اشتياق، وإدّكار لحديثِ هِيتَ[5] وحديث زوراء العراق، بل كنتُ لديه كقميص يوسف حين ألقاه البشيرْ، فكاد أن يُرَدَّ من فرط السرور وهو بصير، فمازَجْتُه امتزاج الرَّاحِ بالماء القُراح، ولزمتُه لزوم الظل في الغُدُوِّ والرواح، فلما استشفَّ غيب باطِنِي من الظاهر، واستشرف بقوَّةِ حَدْسِهِ عما تَكِنُّ السرائر، سمح لي بشيءٍ من بعض علومه الغريبة، واختصني بدقائق حكمه العجيبة، بما لو انتظم في سلك البيان لسَحَر، أو ظهر لأعين الناظرين لبهر:

فإن كنتَ سَهْلَ القَوْدِ فاطْوِ حديثَه　　　على كلِّ طاوٍ من جيادِ العزائم
وإلّا فـلا تَعْرِضْ لـه فسبيلُـه　　　أشقُّ وأنـأى من طريق المكارم

هذا ولم أزلْ مدة إقامتي بالقاهرة أرُودُ حِماه، وأجعل سمير ليلي فيها قمر مُحيَّاه، تارة بالظاهرية مجمع ناسِهِ، وأخرى بربع قَيْسون مربع

(١) الفغم: الرائحة القوية النفاذة، والذاكي: ذو الرائحة الفائحة.
(٢) الزوراء: اسم للمكان البعيد أو لمدينة بغداد، والمذاكي: الرياح.
(٣) الكرخ: محلة في بغداد، والنوء: المطر والسماك أحد نجمين نيرين في السماء أحدهما الرامح في الشمال والثاني الأعزل في الجنوب.
وفي نسخة ب: جارها نق السماك.. تحريف.
(٤) الحائرية: المنطقة التي فيها الحائر، والحائر قبر الحسين بن علي رضي الله عنه.
(٥) هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار، ذات نخل كثير وخيرات واسعة بها قبر عبد الله بن المبارك. معجم البلدان ٤/٩٩٧.

إيناسِه، مُمْلياً على فيه من لطائف أسماره، وظرائف نكته البديعة من نوادر أخباره، منها ما سمعتُه منه ورويتُه عنه، وقد سألته عن مسقط راسه، ومشتعل نبراسه، فأخبرني أنه ولد بأنطاكية بهذا العارض، ولم يكن له بعد الولادة بعارض، قال: ثم إني بلغتُ من العمر عدد سيّارة النجوم، وأنا لا أطيق أن أنهض وأقوم، لعارض ريح تحكم في الأعصاب، منع قوائمي عن حركة الانتصاب، وكان والدي رئيس قرية سيدي حبيب النجار، له كرمُ خِيم وطيب نِجار، فاتخذ قرب مزار سيّدي حبيب رباطاً للواردين، وبنى فيه حجرات للفقراء المجاورين، ورتّب لها في كلِّ صباح من الطعام، ما يحمُلها إليها بعض الخُدام، وكنت أُحْمَلُ في كل يوم إلى صحن الرباط فأقيم فيه سحابة يومي، ويُعادُ بي إلى منزل أبي عند نومي، كنت إذ ذاك قد حفظتُ القرآن ولُقِّنتُ مقدماتِ تثقيف اللسان، وأنا لا أفتر في تلك الحال عن مُنَاجَاة قَيِّم العالم في سِرِّي، ومبدع الكل فيما إليه يئول[1] عاقبة أمري، فبينما أنا كذلك وإذ برجل جاء من أقصى المدينة يسعى، كأنه ينشدُ ضالّةً أو أضلّ المسعى، فنزل من الرباط بساحته، ونفض فيه أثواب سياحته، فإذا هو من أفاضل العجم ذو قدر منيف، يدعى بمحمد شريف، فبعد أن ألقى فيه عصا التسيار، وكان لا يألف[2] منزلا كالقمر السيار، استأذنه بعضُ المجاورين في القراءةِ عليه، وابتدأ في بعض العلوم الإلاهيَّة فكنت أسابقه إليه، فلما رأى ما رأى منّي، واستخبر من هناك عنِّي، فأجبته ولم يك هناك سوى الدمعُ سائلا ومجيبا، فعند ذلك اصطنع لي دهناً مسَّدني به[3] في حَرِّ الشمس، ولفني

---

(١) في ب: ومبدع الكل فيها إليه يول... الخ.

(٢) في ب: لا نأنف.

(٣) مسده به: لفه على جسده كله كما يلف المسد (الحبل) على الجسد.

لفافة من فَرقي إلى قدمي، حتى كدت أفقدُ عندها الحسّ، وتكرر منه هذا الفعل مراراً من غير فاصل، فتمشت الحرارة الغريزيّة كالحُمَيَّا في المفاصل، فبعدها شدَّ من وثاقي، وفَصَدني في عَضْدِي وساقي، فقمت بقدرة الواحدة الأحد بنفسي لا بمعونة أحد، ودخلتُ المنزل على والدي فلم يتمالك سروراً، وانقلب إلى أهله فرحاً مسروراً، فضمني إلى صدره وسألني عن حالي، فحدثتُه بحقيقة ما جرى لي، فمشى من وقته إلى الأستاذ، ودخل حجرته وشكر سعيه وأجزلَ عطيَّته، فقبل منه شكره واستعفاه بِرَّه، وقال إنما فعلتُ ذلك لما رأيت فيه من الهيئة الاستعداديَّة، لقبول ما يلقي إليه من العلوم الحقيقيَّة، فابتدأتُ عليه بقراءة المنطق، ثم أتبعته بالرياضي، فلما تمَّ شرعتُ في الطبيعي، فلما أكملت اشرأبتْ نفسي لتعلُّمِ اللغة الفارسية، فقال يا بني إنها سهلة لكل أحد لكني أفيدك اللغة اليونانية فإني لا أعلم الآن على وجه الأرض من يعرفها غيري، فأخذتها عنه وأنا بحمد الله الآن فيها هو إذ ذاك، ثم ما برح أن سار كالبدر[1] يطوي المنازل لدياره، وانقطعت عني بعد ذلك سَيَّارةُ أخباره، ثم جرت الأقدار بما جرت، وخلت الديار من أهلها وأقفرت، بتنكرها علي لانتقال والدي، واعتقال[2] ما أحرزَتْهُ يدي من طريفي وتالدي، فكان ذلك داعية المهاجرة، لديار مصر والقاهرة، فخرجت عن الوطن في رفقة كرام، نؤمُّ بعض المدن من سواحل الشام، حتى إذا صرت في بعض ثغورها المحميّة، دعتْني همةٌ عليّة أو عَلَويّة أن أصعد على جبل عاملة[3] فصعدت منصوباً على المدح وكنت عامله، وأخذتُ على مشائخنا

(١) في ب: ثم بارح ما لبدر يطوي... الخ.

(٢) الاعتقال: الحبس والإمساك.

(٣) هم بنو عاملة بن سبأ: حي باليمن من ولد قاسط، ينسب إليهم كثير من العلماء.

ما أخذت، وبحثتُ مع فضلائها فيما بحثت، ثم ساقتْني العنايةُ الإلهية، إلى أن دخلتُ حمى دمشق المحمية، فاجتمعتُ ببعض علمائها من مشائخ الإسلام، كأبي الفتح محمد بن عبد السلام، وكشمس علومها البدر الغَزِّيِّ العامريِّ ذلك الإمام، والشيخ علاء الدين العمادي[١]، ثم لم ألبث أن هبطت إلى مصر هبوط آدم من الجنة لما وجدتها كما قال أبو الطيب مَلَاعِبُ جِنة[٢]، فكأنها مَغَانِي الشِّعْب[٣] وأنا المَغْنِيُّ فيها بقوله:

ولكنَّ الفَتَـــى العربيَّ فيهـــا   غَريـبَ الوجهِ واليَدِ واللِّسان[٤]

تنبُو عن قَبول الحكمةِ فيها طباع الرجال نُبُوَّ قيناتهم الحسان لحن شيب القَذَال، ترى نُفرة أحدهم عن كماله السرمد نفرة الظليم رأي الظلام فحوّد، ثم تمثل بقول من قال[٥]:

مـا مُقَامي بأرضِ نَخْلة[٦] إلاّ   كمُقـام المَسيـحِ بـين اليَهُودِ
أنـــا في أمـــة تَدَاركهـــا اللهُ   غريـــبٌ كصالـــح في ثَمُودِ

هـذا ما طَارَحني به في بعض مُطَارَحَاته، وحدَّثني به في جُملة حديث مـامراته، وكان فيه دُعابة يُؤْنس بها جليسه، كيلا تعرُو الوَحْشة أنِيسَه، إلى حُسْن سجايا كالرياض بكتها الأمطار، فضحكتْ ثُغور

---

(١) سبقت تراجم هؤلاء السادة من العلماء فانظرها فيما تقدم.
(٢) هو في البيت الذي يقول فيه:
ملاعـــب جنـــة لو سار فيهـــا   سلـــــــيمان لسار بترجمان
(٣) المغاني: البيوت، والشعب هو شعب بوان ببلاد فارس وكان أحد جنان الدنيا.
(٤) ديوانه ٤٦٢.
(٥) هو أبو الطيب المتنبي أيضاً، انظر ديوانه ١٦.
(٦) نخلة: بلدٌ في بعلبك.

أقاحيها عن باسم الأنوار، وكرم نِجار وطيب خِيم، تعرف فيها نَضْرةُ النعيم، وأما فَرَقَهُ من المعاد، وخشيته من ربِّ العباد، فلم أره لغيره ممن لقيتُ من أهل الطريق، وصحبت من أولئك الفريق، كان يقوم الليل إلّا قليلا، ويتبتّل إلى ربّه تبتيلا، بتُّ عنده الليالي ذوات العدد، فما رأيته إلا قائماً يناجي الفرد الصمد، وكثيراً ما كان يتمثل، بعدما يتبتل، بهذين البيتين وهما لعبد الله بن طاهر بن الحسين:

إلى مَ تُطِيلي العَتْب في كلِّ ساعة ... فَلِمْ لا تَمَلِّين القطيعةَ والهَجْرا

رَويدُكِ إن الدهر فيه كفايةٌ ... لتفريق ذاتِ البين فانتظري الدهرا

وأما ما شاهدتُ في قوته القدسيَّة والحَدْسية، في تحقيقاته الفنون الحكمية والطبيعية والرياضية، فإنه كان إذا سُئِل عن شيءٍ منها أملى على السائل في ذلك ما يبلغ الكراسة والكراستين، كما هو مشهور مثل ذلك عن الرئيس أبي عليٍّ بن الحسين، فمن ذلك ما شاهدتُه وهو بحُجرته في الظاهرية، وقد سأله شخص عن حقيقة النفس الإنسانية، فأمر السائلَ أن يكتُبَ بما يُملي عليه، ويلقيه عن ظهر قلبٍ إليه، فلم تمض ساعةٌ أو بعضُها حتى أكمل الرسالة وعَرَضها فقضيتُ بالعَجب مما رأيت، واهتديتُ لنوره وبه اقتديت، وله من الكتب والرسائل، والأشعار المُزْرِيّة بروض الخمائل، ما هو بأيدي الناس مألوف، وعند أربابه من الفضلاء معروف، فمن ذلك الكتاب الذي صنفه وسماه بالتذكرة، جمع فيها الطبَّ والحكمة، وهي بأيدي الناس مشتهرة، ثم اختصرها لقصور الهمم في مجلدة، وهي الآن موجودة كذلك مُخَلّدة، وشرح قصيدة النفس المشهورة للشيخ الرئيس ابن سينا، وقد قرأها عليه بعض الأفاضل فيما غَبَر من الزمان حينا، وهو شرح مفصّل فيه بيان حقيقة النفس

وجوهرها النفيس، بما يرضي السائل وإن كان هو الشيخ الرئيس، وله قطعة منظومة في هذا المعنى، تعرض باعتراض فيها على الشيخ وإن تعنّى، أملانيه من حفظه، فنقلته عنه بلفظه، وهو هذا:

من بحر أنوار اليقين بحُسْنها ... فلوصلٍ أو فصلٍ يؤوب كما أعِي[1]
أو للكمال فهيكلٌ لا يُرتضى ... للمطلق الثاني يصحُّ لأربعِ
هَبْهُ يصحُّ ففلذةٌ من أوجِ ما ... قَدُسَتْ تُكَمِّلُ بالحضيض البلقعِ
تـا اللهِ ما هَبَطَتْ ولكن أُهبِطَتْ ... فبقَسْرٍ آو بالاختيار لمن يَعِي
وعليها تتبدَّل الأحيانُ أو ... تَفْنَي لتدخُلَ في المَحل المُتْقَع[2]

ومما طارحني فيه في بعض مطارحاته، وسامرني به في بعض مسامراته، قصيدة الحكيم الفاضل، والفيلسوف الكامل، أبو علي[3] الحسين بن شبل البغدادي التي خاطب بها الفلك تشتمل على جل مباحث الحكم وأكثر مسائل الفلسفة، وهي من أبدع الشعر وأعذبه، وأبلغ النظم ومستعذبه، وإنما أوردتُها في ترجمته، لشدة ما كان يَلْهَج بإيرادها، ويكرر في غالب أوقاته من إنشادها، وهي هذه:

---

(١) في ب: أدعى.

(٢) المتقع: الشديد.

(٣) في ب: أبو علي بن الحسين، وهو خطأ، فهو أبو علي الحسين بن عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن شبل البغدادي، كان متميزاً بالحكمة والفلسفة، خبيراً بصناعة الطب، أديباً فاضلاً وشاعراً مجيداً، توفي في بغداد سنة ٤٧٤ هـ.

انظر معجم الأدباء ١٠/٢٣ - ٤٥، وقال فيه: هو صاحب القصيدة الرائية التي نسبت للشيخ الرئيس ابن سينا وليست له، وقد دلت على علو كعبه في الحكمة والاطلاع على مكنوناتها، وسارت بها الركبان وتداولها الرواة، ثم أوردها بتمامها، وكذلك انظرها نقلاً عن ما هنا في خلاصة الأثر ٢/١٤٣.

بربِّــك أيهــا الفلــك المُــدارُ أقصــدٌ ذا المسير أم اضطرارُ؟
مسيرُك[1] قـل لنا في أيِّ شيءٍ ففي أفهامنـــا منــك انبهــارُ
وفيـك نَرى الفضاءَ فهل فَضَاءٌ سوى هٰـذا الفضــاءِ بـه تُـدارُ
وعنـدك تُرفع الأرواح أم هل مـــع الأجساد يُدرِكُهــا البَوارُ
وموجٌ ذي المجرَّة أم فِرِنْـــــدٌ على لُجَـجِ الدُّروع له أُوَارُ[2]
وفيــك الشمسُ رافعــةٌ شعاعـاً بأجنحـــةٍ قَوَادِمُهـــا قصـــارُ
وطَوْقٌ في النجوم من الليـالي[3] هـــلالٌ أم يــدٌ فيهــا سِوَارُ
وشُهْـبٌ ذا الخواطفُ أم ذُبال عليهـا المَرْخُ يقـدحُ والعَفَـارُ[4]
وترصيـعٌ نجومـك أم حَبَـابٌ[5] تؤلــف بينـــه اللُّجَــجُ الغِزَارُ
تَمُــدُّ قوادمــاً ليــلاً وتَطْوَي نهــاراً مثــل مــا طُويَ النَّهـارُ
فــكم يصقالهــا صَدِيءَ البرايا ولا يصــدا لهــا أبـداً غرار[6]
تَبَـــارَى ثم تَخْنِسُ راجعـــاتٍ وتَكْنِسُ مثل ما كَنَسَ الصُّوارُ[7]
فبينــا الشرقُ يقذفُها صعوداً[8] تلقَّاهـــــا من الغَربِ انحدارُ

---

(١) في المعجم: مدارك.

(٢) في المعجم: على الحج الذراع لها مدار، وما هنا أصح فالدروع مناسبة للفرند ويعني به السيف، والأوار: شدة لفح الشمس أو النار ويستعار لشدة ضربات السيوف.

(٣) في المعجم: إذا تبدى.

(٤) لم يرد هذا البيت في المعجم، والمرخ: شجر من العضاه ينفرش ويطول في السماء ليس له ورق ولا شوك، سريع الورى يقتدح به، والعفار: شجيرة يتخذ منها الزناد فيسرع الورى أيضاً، وفي المثل: «في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار».

(٥) في المعجم: وأفلاذ نجومك، والحباب: ما يعلو الماء من فقاقيع.

(٦) الغرار: حد السيف.

(٧) تخنس: تتوارى وتغيب، وتكنس: تدخل في كناسها أي مأواها، والكناس: بيت الظبي، والصوار: القطيع منه.

(٨) في ب: الشوق بدل الشرق، وفي المعجم: يقدمها بدل يقذفها.

على ذا ما مضى وعليه يَمْضِي   طوالُ مُنًى وآجالٌ قِصارُ
وأيامٌ تعرِّفنا مَدَاها   لها أنفاسُنا أبداً شفارُ[1]
ودهرٌ ينثُرُ الأعمار نثراً   كما للغصن بالوَرَق انتشارُ
ودُنيا كلما وضعتْ جنيناً   غَذَاهُ من نوائبها ظؤار[2]
هي العَشْواءُ ما خَبطتْ هشيمٌ   هي العَجْماءُ ما جرحت جُبارُ[3]
فمن يوم بلا أمس ليوم   بغير غدٍ إليه بنا يُسارُ
ومن نَفسَيْن في أخذٍ وردٌّ   لرُوح المرءِ في الجسد انتشارُ
فَلَمْ تأمنْ وقد ألِفتْ نفوسٌ   جُسُوماً من مَجَاثِمِها تُطارُ[4]
ألم تكُ بالجوارح آنِسات   فَلِمْ بالقُربِ عَادَها نِفارُ[5]
فإن يكُ آدمٌ أشقَى بنيه   بذنب ماله عنه اعتذارُ
ولم ينفعهُ بالأسماء عِلمٌ   وما نَفَع السجودُ ولا الجوارُ
فأُخْرِجَ ثم أُهبط ثم أوذِي   فثوبُ السافيات له شِعَارُ[6]

---

(١) الشفار:

(٢) الظؤار: جمع ظئر، وهي العاطفة على ولد غيرها، المرضعة له، في الناس والحيوان.

(٣) في ب: هشياً، وهي صحيحة أيضاً، والرواية التي هنا تعرب هشيم خبر ما الموصولة، والجبار: ما لا قود فيه ولا دية.

(٤) رواية هذا البيت في المعجم:

وكم من بعد ما كانت نفوس   إلى أجسامها طارت وطاروا

(٥) رواية هذا الشطر في المعجم:

فأعقب ذلك الأنس النفار

(٦) السافيات: الرياح الشديدة، والشعار: ما يلي الجسد من اللباس، وفي المعجم: فترب بدل فثوب.

فأدركـــه بعـــلم اللهِ فيـــهِ من الكلماتِ للذَّنْـــبِ اغتفــارُ
ولكن بعــــــد غُفْران وعفوٍ يُعَبَّر مــا تَـلا ليـلاً نَهَـارُ[1]
لقــد بلـغ العــدوُّ بنــا مُنَاهُ وحــلَّ بـآدم وبنـا الصَّغَـارُ[2]
وتُهنــا ضائعــين كقومِ مُوسى ولا عِجْــلٌ أضــلَّ ولا خُوارُ
فيــا لَـكِ اكلةً[3] ما زال منها علينــا نِقْمَــةٌ وعليــك عَــارُ
نُعاقـب في الظُّهور وما وَلَدْنـا ويُذْبـحُ في حشا الأم الحُوارُ[4]
وننتظر الرَّزايـــا والبَلَايـــا وبعـدُ فبالوعيـد[5] لنا انتظارُ
ونخرجُ كارهـــين كما دَخَلْنـــا خروجَ الضَّبِّ أخرجَهُ الوِجَارُ[6]
فما ذا الامتنــانُ عــلى وجود لغــير المُوجَــدِين بــه الخِيَـارُ
وكانـــتْ أنعُماً لو أنَّ كَوْنـــاً نُخَيَّرُ قبلـــــــه أو نُسْتَشَارُ
أهـــذا الـداءُ ليس لــه دواءٌ وهـذا الكسرُ ليس له انجبارُ؟
تَحَيَّر فيـــه كــلُّ دقيــقِ فكرٍ وليس لعُمْـقِ جُرْحهم انْسِبَارُ[7]
إذا التكويرُ غـال الشمسَ عنّا وغـال كواكبَ الليل انتشارُ[8]
وبُدِّلْنــا بهـذي الأرضِ أرضاً وطَوَّح بالسموات انفطـــــارُ
وأذْهِلَـتِ المراضـعُ عن بنيهـا لحيرتهـــا[9] وعُطِّلَـــتِ العِشَارُ

---

(١) في ب: تغير بدل يعير، والمعنى المقصود أن بنيه يعيرون بما فعل دائماً.

(٢) الصغار: الذل والهوان، وفي ب: العفار.

(٣) المقصود أكل أبينا آدم من الشجرة التي نهي عنها.

(٤) الحوار: ولد الناقة ساعة تضعه، أو إلى أن يفصل عنها.

(٥) في المعجم: فللوعيد.

(٦) الوجار: جحر الضب.

(٧) الانسبار: معرفة مدى العمق.

(٨) التكوير: انتهاء الشمس لانتهاء العالم، وغال: اغتال.

(٩) في المعجم: لدهشتها.

وغَشَّ البَــدْرُ من فَرَقٍ وذُعْرٍ ... خُسُوفٌ للتوَّعُــدِ لا سِرَارُ[1]

وسُيِّرتِ الجبــالُ فكُنَّ كُثُبــاً ... مهيــلاتٍ وسُجِّرَتِ البحــارُ[2]

فأين ثبـاتُ ذي الألبـابِ منَّـا ... وأين مع الرجوم لنا اصطبارُ[3]

وأين عقولُ ذي الأفهامِ مِمَّا ... يُراد بنــا وأين الإعْتبــارُ

وأين يغيـبُ لُــبٌّ كان فينـا ... ضيــاؤُك من سنــاه مُسْتعـارُ

ومــا أرضٌ عصتْــهُ ولا سماءٌ ... ففــيم يغولُ أنجمهـا انكــدارُ

وقـد وافتْــه طائعــةٌ وكانـتْ ... دُخانــاً مــا لغابره شَرَارُ

قضاهـا سبعـةً والأرضَ مهـداً ... دَحاهــا فهي للأمواتِ دارُ

فما لسُمُوٍّ مــا أعـلى انتهـاءٌ ... ولا لِسُمُوك[4] مـا أرسَى قَرَارُ

ولكن كـلُّ ذا التهويـلِ فيـه ... لـذي الألبـابِ وعظٌ وادِّكارُ[5]

هـذا ولم أزل مـدة تَدَبُّري بالديار المصرية، وارتباعيُ ربوعها الآهِلَة[6] المعزية، أرودُ منه روض علم بالفضائل نضير، وآوِي إلى مثل هضابِ رضوى وثبير، أنافسُ في زهر آدابه أزهار الخمائل، وتحسُدُ أسحاري فيه عَشِيَّاتُ الأصائل، بل كنتُ فيه لما يُشنف أسماعي وأنابه الصبُّ العميد، أولى بما قاله الجُعْفيُّ[7] في ابن العميد:

---

(١) السرار: آخر ليلة للقمر واظلام أواخره.

(٢) الكثب جمع كثيب وهو التل من الرمال، وسجرت: امتلأت أو اتقدت.

(٣) المرجوم: جمع رجم وهو ما يرجم به من الحجارة، والمراد أنواع العذاب يوم القيامة.

(٤) في المعجم: وما لعلو.

(٥) رواية هذه الشطرة في المعجم:

لمن يخشى اتعاظ وازدجار

(٦) في ب: الإلهية.

(٧) هو أبو الطيب المتنبي أحمد بن عبد الصمد الجعفي شاعر العربية الكبير وأبياته التالية

من مُبْلـغُ الأعراب أني بعدَهـا	لاقيتُ رِسْطاليسَ والإسْكندَرا[1]
وسمعـتُ بطليموسَ دَارِسَ كُتْبِهِ	مُتملكـــاً متبدِّيًـــا متحضِّرَا
ولقيـتُ كـلَّ الفاضلين كأنما	ردَّ الإلـــهُ زمانَهم والأعْصُرَا

إلى أن أثنى السِرَّ من عِناني، وهتفَ ابنُ ورقاءَ فهيَّج أشجاني، من ساجعاتِ ساحة القصرين، فأذكرني بشجوه حَمَام الغوطتين، بناحية القصرين، من أرض الشام عُقْلة المُجْتَاز[2]، بل جنةُ الدنيا على الحقيقة والمجاز:

سقـى اللهُ أيامي بها ما يَسُرَّها	ويفعـلُ فعـلَ البابـلي المُعَتَّـقِ

لا بل الأجْدر بها قولي لها:

سقيـتُ ربوعَ الظاعنـين فإنـه	غِنى لك عن ماء الشُّؤونِ الهَوَاطِلِ

استجزتُه واستجزتُ منه، ما جاز له روايته، وأخْذِه عنه من أنواع الكتب العلمية، وأقسام المؤلفات الحِكْميَّة، في الأقسام الطبيعيَّة[3] والفلسفة الإلهيّة[4]، وما صنَّف من ذلك من الكتب المُعتبرة، والرّسائل المُحَبَّرة، ودوّن في نوعي الحكمة المشّائية والإشراقية، لمتألهي حكماء

يقولها من قصيدة في مدح ابن العميد أبي الفضل محمد بن الحسين وزير ركن الدولة البويهي، انظر ديوانه ٤٤٤.

(١) في الديوان: جالست بدل لاقيت، ورسطاليس يعني به الفيلسوف اليوناني الشهير وهو يشبهه به في حكمته كما يشبهه بالإسكندر في سعة ملكه.

(٢) عقلة المجتاز: أي أن الذي يمر بها تعقله بجمالها عن المسير عنها.

(٣) الأقسام الطبيعية هي المبادىء الجسمانية والسماء والعالم، والكون والفساد، وحوادث الجو، والمعادن والنبات والحيوان، والطب والبيطرة وسياسة الدواب والسباع والطيور.

(٤) الفلسفة الإلهية هي الألوهية والروحانيات والنفسانيات والمعاد.

الإسلام، ومتأخري فضلاء الأنام، وسائر أنواع العلوم، من منثور ومنظوم، سيّما الفنون الأدبية، وما ينحاز إلى ذلك من الدواوين الشرعية، وتواريخ الأمم السالفة، التالدة منها والطارفة، وكتب السير والمناقب والأخبار، وظرائف النكت من المقاطيع والأشعار، فأجاز لي بذلك كلّه إجازةً عامة، وبرواية ما يذكر من الكتب خاصّة، فمن ذلك كتابُ رسائل « إخوان الصفاء وخِلّانِ الوفا » للحكيم الفاضل والفيلسوف الكامل أبي القاسم مَسْلمة بن أحمد المجْريطي[1]، تشتمل على إحدى وخمسين رسالةً في فنون شتّى، ومقاصد فَوْضَى، وكتابيه أحدهما الموسوم « برتبة الحكيم » والآخر « بغاية الحكيم، وأحق النتيجتين بالتقديم » وغير ذلك مما يُعزى إليه، ويُعَوّل في أحكام الصناعة عليه، ومن كتب الرئيس أبي علي ابن سينا كتاب « الشفا » و « القانون » و « النجاة » و « الحكمة المشرقية » وكتاب « التعليقات » و « رسالة الأجرام السماوية » و « الرسالة النذيريّة »، كتب بها إلى بعض سلاطين عصره، وما شاكل ذلك من الكتب والرسائل، وكتاب « الإشارات »[2] الذي هو آخر تصانيفه، مع شرحيه للمحقّق نصير الطُّوسي، وللإمام الفخر الرازي، والمحاكمات بين الشرحين لقطب الملة والدين الرازي وحواشيه

---

(١) فيلسوف رياضي فلكي، كان أمام الرياضيين بالأندلس وأوسعهم إحاطة بعلم الأفلاك وحركات النجوم، مولده سنة ٣٣٨ ووفاته سنة ٣٩٨ بمجريط (مدريد)، ذهب بعض المؤرخين إلى أنه مؤلف رسائل إخوان الصفا، ولم يثبت ذلك، وقد طبعت رسائل اخوان الصفا بتحقيق أحمد زكي باشا شيخ العروبة عام ١٣٤٧ هـ بمصر وفي مقدمة الجزء الأول بحث للمحقق ينفي نسبتها إلى المجريطي.

أما كتاباه الآخران غاية الحكيم ورتبة الحكيم فما زالا مخطوطين.

انظر طبقات الأطباء ٣٩/٢، خلاصة الأثر ٨/٤، الأعلام ١٢١/٨.

(٢) انظر في مؤلفات ابن سينا ومختصراتها وشروحها الكتاب الذي ألفه الأب جورج شحاتة قنواتي بعنوان « مؤلفات ابن سينا »، والذي طبع بالقاهرة عام

لسيد المحقِّقين وسند المدقّقين الشريف الجرجاني، قدّس الله سِرَّه وأجزل له، عطاءه وبرّه.

ومن كتب الشيخ المقتول شهاب الدين السُّهْرَوَرْدِي[1] على طريقة المشَّائين[2]: «المشارع والمطارحات»[2]، وكتاب «التلويحات» مع شرحه للهبة الفاضل هبةِ الله بن كَمُّونة البغدادي[3]، وكتاب «الألواح العمادية»، سلك فيه طريقةً وُسْطَى بين الحكمتين، صنَّفه للملك العادل عماد الدين ابن داود بن أرتق[4]، ومن كتبه على الطريقة الأخرى كتاب «الرموز اللاهوتية» و«الإشراق»[5] مع شرحه لأفضل الحكماء المتأهلين، قُطْب الملة والحق والدين، محمود بن مصلح العلامة

---

(١) هو يحيى بن حبش بن أميرك، أبو الفتوح، شهاب الدين، السهروردي، نسبة إلى سهرورد من قرى زنجان في العراق العجمي، نشأ بمراغة وسافر إلى حلب، نسب إلى انحلال العقيدة، وكان علمه أكثر من عقله، فأفتى العلماء بإباحة دمه فسجنه الملك الظاهر غازي، وخنق في سجنه بقلعة حلب وقيل قتل وصلب سنة ٥٨٧ هـ.

وكان رديء الهيئة زري الخلقة، لا يغسل ثوباً ولا جسماً، ولا يقص ظفراً ولا شعراً.

انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٢٦١/٢، ولسان الميزان ١٥٦/٣، والفلاكة ٦٧.

(٢) المشائين هم أتباع أرسطو من الفلاسفة اليونانيين، ويقول ابن سينا في النجاة «على ما يراه المعلم الأول أرسطو ومن بعده من محصلي الحكمة المشائية».

انظر المعجم الفلسفي ٢١٤، والكتابان اللذان يذكرهما المؤلف ما زالا مخطوطين.

(٣) هو سعد بن منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله بن كمونة الاسرائيلي (عز الدولة) حكيم، أديب، منطقي، من تصانيفه غير الكتاب الذي ذكره المؤلف، شرح الإشارات لابن سينا في المنطق والحكمة، والحكمة الجديدة في المنطق. وتنقيح الأبحاث في البحث عن الملل الثلاث، توفي في بغداد عام ٦٧٦ هـ.

انظر تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي، كشف الظنون ٩٥، ٤٨٢ (معجم المؤلفين ٢١٤/٤).

(٤) في وفيات الأعيان: عماد الدين قرا أرسلان داود بن ارتق.

(٥) ويسمى أيضاً: حكمة الإشراق، وهو مطبوع.

الشيرازي[١]، وما ضاهى ذلك من رسائل «كالهياكل النورية»[٢] وغيرها.

ومن كتب الأدب كتاب الغُرَر والدُّرر[٣]، للشريف المُرْتَضَى علم الهدى وكتاب «نهج البلاغة» لأخيه الشريف الرَّضِي، سقى اللهُ ثراهما سحائبَ غفرانه، وأسكنهما بحابيح جنانه، مع شرحه للعلامة عزِّ الدين بن أبي الحديد الكَرْخي المدائني[٤]، و«القصائد السبع العلويات» له في

(١) هو محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازي قطب الدين، عالم بالعلوم العقلية، مفسر، ولد بشيراز سنة ٦٣٤ هـ، وكان أبوه طبيباً فيها فقرأ عليه، ثم قصد نصير الدين الطوسي فقرأ عليه، ودخل الروم فولي قضاء سيواس وملطية، وزار الشام ثم سكن تبريز وتوفي بها عام ٧١٠ هـ.

وكان ظريفاً لا يحمل هما ولا يغير زي الصوفية، يجيد لعب الشطرنج ويديمه ويتقن الشعبذة ويضرب بالرباب ويجلس في حلق المسافر وهو من بحور العلم.

من كتبه: فتح المنان في تفسير القرآن نحو ٤٠ مجلداً، وحكمة الإشراق وشرح كليات القانون في الطب لابن سينا، وغير ذلك.

انظر بغية الوعاة ٣٨٩، والدرر الكامنة ٤/٣٣٩، والفلاكة ٧٣ (الأعلام ٨/٦٥).

(٢) ويسمى أيضاً هياكل النور، وقد طبع بهذا الاسم.

(٣) طبع هذا الكتاب باسم أمالي المرتضى بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم بالقاهرة سنة ١٩٥٤ م.

(٤) هو عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد، عالم، أديب، من أعيان المعتزلة، له شعر جيد واطلاع واسع على التاريخ، ولد في المدائن وانتقل إلى بغداد وخدم في دواوين الإنشاء، وكان حظياً عند الوزير ابن العلقمي، توفي سنة ٦٥٥ هـ.

من تصانيفه: شرح نهج البلاغة في عشرين جزءاً، وقد طبع في مطبعة الحلبي بالقاهرة بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، والقصائد السبع العلويات طبعت أيضاً بإيران سنة ١٣١٧ هـ. ونظم فصيح ثعلب، طبع بمجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الخامس والعشرون لسنة ١٩٧٩، وغير ذلك.

انظر فوات الوفيات ١/٢٤٨، والبداية والنهاية ١٣/١٩٩، ووفيات الأعيان ٢/١٥٨ ومعجم المؤلفين ٥/١٠٦، والأعلام ٤/٦٠.

مدح أمير المؤمنين عليّ كرّم الله وجهه، وشرحها لبعض العلويين.

ومن دواوين الشعر ديوان الحكيم الأديب والفيلسوف الأريب محمد بن هانىء الأندلسي، وديوان «سِقْط الزَّنْد» للشيخ أبي العلاء أحمد بن سليمان المَعَرّي مع شرحه، لتلميذه أبي يحيى زكرياء [1] الخطيب التبريزي، وشرحه للشيخ الإمام عبد الله بن محمد بن السِّيد البَطَلْيَوْسِي [2]، وشرحه المسمى «بِضَرام السِّقط للقسم بن الحسين بن أحمد الخوارزمي الملقب بصدر الأفاضل [3].

ومن التواريخ كتاب «العِقْد» لابن عبد ربه، وكتاب «المسالك والممالك» لابن فضل الله العمري، وكتاب «الملل والنحل» لمحمد

---

(١) هكذا في النسخ، وصحة الاسم: أبو زكريا يحيى، بن علي بن محمد بن بسطام الشيباني المعروف بالخطيب التبريزي، أديب نحوي لغوي، نشأ ببغداد، ورحل إلى بلاد الشام فقرأ على أبي العلاء المعري وأخذ عنه، ثم أقام بدمشق وتتلمذ عليه خلق وأخذوا عنه، ثم دخل مصر وبقي بها مدة قبل أن يرحل إلى بغداد ويقيم فيها إلى أن توفي عام ٥٠٢ هـ عن أكثر من ثمانين عاماً.

من مؤلفاته: شرح سقط الزند لأبي العلاء، وشرح ديوان الحماسة لأبي تمام والكافي في العروض والقوافي، وقد طبعت هذه، وبقي العديد من كتبه مخطوطاً.

انظر في ترجمته معجم الأدباء ٢٥/٢٠، بغية الوعاة ٤١٣، وفيات الأعيان ٣٠٧/٢.

(٢) أبو محمد، من علماء اللغة والأدب، ولد ونشأ في بطليوس بالأندلس ونزل بلنسية فسكنها حتى توفي بها سنة ٥٢١ هـ.

من مؤلفاته المطبوعة الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن قتيبة، والمسائل والأجوبة، والانصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الخلاف بين المسلمين، وشرح سقط الزند.

انظر بغية الملتمس ٣٢٤، وفيات الأعيان ٢٦٥/١، والبداية والنهاية ١٩٨/١٢.

(٣) من العلماء في الفقه واللغة والأدب، ولد بخوارزم سنة ٥٥٥ هـ، وقتله التتار سنة ٦١٧ هـ.

انظر معجم الأدباء ٢٣٨/١٦، وبغية الوعاة ٣٧٦.

الشَّهْرِسْتاني، والفاضل بن كَمُّونة البغدادي، وما جمعه ابن خلدون، ونحو ذلك.

ومن كتب المناقب «مطالب السُّول في مناقب الرسول» لمحمد بن طلحة القرشي العدوي النصيبي[1]، وما ألف رجب البُرْسي[2] في هذا المعنى، وكذلك ما صنفه في مناقب آل البيت الخطيبُ المَدَنيّ الشهير بالزَّرَنْدي[3]، وما دوَّنه الفاضلُ شمس الدين محمد بن يوسف المعروف

---

(١) كمال الدين، أبو سالم، النصيبي أو النصيبيني نسبة إلى نصيبين ببلاد الشام التي تولى القضاء بها، وهو من علماء الحديث والفقه والأصول، وله معرفة بالحروف والأوفاق، كتب عن الملوك وساد وتقدم، وقلد الوزارة فحاول أن يتنصل منها لكنه أجبر فلم يجد بدا من الفرار بعد توليها بيومين تاركاً كل ما لديه من مال ونعمة، وذهب إلى الحج ثم عاد إلى حلب حيث توفي بها عن سبعين عاماً سنة ٦٥٢ هـ.

من مؤلفاته: العقد الفريد للملك السعيد، والدر المنظم والسر الأعظم، والجفر الجامع والنور اللامع، وغير ذلك.

انظر طبقات الشافعية ٢٦/٥ وشذرات الذهب ٢٥٩/٥.

(٢) في ب: المرسي وهو خطأ، فهو رجب بن محمد بن رجب البرسي الحلي المعروف بالحافظ من علماء الحديث والأدب وله شعر، وكان حياً سنة ٨١٣ هـ.

من مصنفاته التي أشار إليها المؤلف: مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين، والدر الثمين في ذكر خمسمائة آية نزلت في شأن أمير المؤمنين.

انظر معجم المؤلفين ١٥٢/٤ والمراجع في هامشه.

(٣) في ب: الزندي، وهو محمد بن يوسف بن الحسن الزرندي المدني الأنصاري، شمس الدين، محدث، مسند، راوية، فقيه، ناظم، حدث بالحرم المدني، وقدم شيراز فدرس ونشر الحديث وأقام بها إلى أن توفي سنة ٧٤٧ هـ.

من آثاره: مولد النبي صلى الله عليه وسلم، ونظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين، ومعارج الوصول إلى معرفة آل الرسول.

انظر الدرر الكامنة ٢٩٥/٤، وانظر الأعلام ٢٦/٨، ومعجم المؤلفين ١٢٤/١٢.

بالكنجي [1]، وسماه «كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» كسره مائة باب [2].

ومن غرر القصائد ودرر الفرائد في تأبين آل البيت القصيدة التائية التي مطلعها [3]:

مـدارسُ آياتٍ خَلَتْ من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مُقْفِرُ العَرَصَـاتِ

لِدعبل بن عليٍّ الخزاعي، وهي إحدى وستون بيتاً، والقصيدة الدالية التي مستهلها:

أقْوَتْ مغانيهم فأقوى الجَسَدُ رَبْعـانِ كُلٌّ- بعدَ سَكْنٍ- فَدْفَدُ

للعلامـة أديـب عصره، وفاضـل مصره الشيخ يحيى بن سلامة الحَصْكفي [4]، وعُدّة أبياتها ثمان وخمسون بيتاً، وهي من أرقٍّ الشعر لفظاً ومعنى، وأرشق القريض عروضاً ووزناً، إلى غير ذلك من الأشعار والمقاطيع المضمّنة للحِكم، وما انتظم في هذا السلك من جواهر الكلم،

---

(1) أبو عبد الله، أديب فاضل، من مصنفاته البيان في أخبار صاحب الزمان، والكتاب الذي ذكره المؤلف، وله شعر، توفي سنة ٦٥٨ هـ.

انظر الوافي بالوفيات ١/١٤٠.

(2) كسره مائة باب: أي رتبه عليها.

(3) انظر هذه القصيدة، في شعره المجموع بعناية الدكتور عبد الكريم الأشتر صفحة

(4) أبو الفضل معين الدين، المعروف بالخطيب الحصكفي نسبة إلى حصن كيفا بديار الشام، كان كاتباً، شاعراً فقيهاً، ولد عام ٤٥٩ هـ بطنزة في ديار بكر ونشأ بحصن كيفا ثم قدم بغداد فقرأ الفقه، وأخذ الأدب عن الخطيب التبريزي وغيره، ثم رحل إلى ميا فارقين فسكنها وولي بها الخطابة والافتاء حتى توفي سنة ٥٥١ هـ.

انظر معجم الأدباء ٢٠/١٨، ١٩، شذرات الذهب ٤/١٦٨، ١٦٩؛ وفيات الأعيان ٥/٠.

فمن ذلك ما كان يلهج بإنشاده، ويَبْهج كلّ وقت بإيراده، مخاطبةُ الشيخِ الرئيسِ عُطَاردَ النُّجوم، مستمدًّا منه غوامضَ العلوم قوله:

عطاردُ قد واللهِ طال تردُّدِي مساءً وصبحاً كي أراك فأغنما
فها أنت فامدُدْني قُوى أدركِ المُنى بها والعلومَ الغامضاتِ تكرُّمَا
ووقِّني[1] المحذور والشرَّ كلَّهُ بأمرِ مليكٍ خالقِ الأرض والسَّمَا

ولما وقفتْ مطيةُ العزم من رَبْع قيسون موقفَ الوداع، وهَمَّ قلبي عن أفقه بالإقلاع، خاطبتُه بقول أديبِ مَعرَّةِ النعمان وقد ودَّع في سيرها أهل بغداد:

أودعكُمْ يا أهلَ قيسونَ والحَشَا على جَمَراتٍ ما تَبِين من اللَّذْعِ[2]
وداعَ ضنًى لم يستقلَّ وإنما تَحَامل من بعد العَثَارِ على ظَلْعِ[3]
فبئس البديلُ الشام منكم وأهلُه على أنهُمْ قومي وبينَهُم رَبْعِي

فعندما هيّجته لواعج إطرابي، أنشدني قول الحكيم أبا نصر الفارابي:

أخي خلِّ حَيِّزَ ذي باطل وكُن والحقائقَ في حَيِّزِ
فما الدارُ دارَ مُقامٍ لنا وما المرءُ في الأرض بالمُعْجِزِ
ينافسُ هذا لهذا على أقلّ من الكلم المُوجَزِ
فهل نحن إلا خطوطٌ وقعْـ ـن على نُقْطةٍ وَقْعَ مستوفِزِ
محيطُ العوالم أولى بنا فما ذا التنافسُ في المَرْكزِ

(١) في ب: ووقني.
(٢) في ب: الدمع.
(٣) في ب: تعامل من بعد المعثار الخ

فجعلتُها سمير ضميري، واتخذتها بعده هِجِّيري[1]، وقلتُ في نفسي، بعد أن سَيَّرْتُ نحو الديار عَنْسِي[2]:

وما أنا من عَوْدي إليكم بآيسٍ وقد يجمعُ اللهُ الشتيتين بعدما

وهو آخر ما لقيت من علماء هذا الشان، وفضلاء حكماء هذا العصر والأوان، ممن أقام بفناء الفسطاط مخيماً، وانتجع حماه رائد الفضل ميمماً، أتم اللهُ نعمته عليه، ما انتسبتْ علوم الحكمة إليه.

روايات المؤلف وسماعاته

هذا ولنعطف الآن عنان اليراع، لإيراد ما أحرزتُ من رواية وسماع، بإيراد صور ما كتب كل من أولئك السادة بيراعته، ووشّى صفحةَ سطره بحسن براعته، حسبما وعدناه.

إجازة المقدسي له

فمن ذلك صورة ما رقمه شيخ الحنفيَّةِ على الإطلاق، بمصر والشام وما يليهما من الآفاق، حسنة الليالي والأيام، شيخ مشائخ الإسلام، عليُّ

---

(١) هجِّيري: أي عادتي ودأبي، يقال: ما تزال هذا هجيراه أي ما يولع بذكره.

(٢) العنس: الناقة القوية، وفي ب: عيسي.

المقدسي[1] مُتّع الأنامُ[2] بطول بقائه، وصُرف السُّوءُ عن شريف حَوْبائه[3]، وهي: «بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين، الحمد لله الذي جعل العالم النحرير أبا المعالي[4]، وصيره بالتحقيق والتدقيق صدر الموالي، ورقّاه في سلوك سبيل الهداية، إلى عروج معارج الدراية، وبالانتماء إلى المصطفى والمجتبى بإيراده لأحاديث السلسلة بالإسناد العالي، وأشهد أن لا إله إلاّ اللهُ وحدَه لا شريك له الوالي المتعالي، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي كوكبُ مجدِه وشرفُه على الأنبياء والرسل في سماء الرفعة مُتَلالِي، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن هو على سننهم تابع وتالي، وبعد، فقد شَرَّفَ مجالسَنَا بالحضور، وحصل به غاية الأنس وكمال السرور، العالم الفاضل، جامع أنواع الفضائل، وحاوي[5] سَنَا المناقب وشريف الخصائل، فخر الأماثل

---

(١) علي بن محمد بن علي بن خليل، المعروف بابن غانم، نور الدين المقدسي الأصل، القاهري المولد والسكن.

ولد بالقاهرة سنة ٩٢٦ هـ، ثم أخذ عن علماء عصره، وتفوق على أقرانه في كل فن، حتى أصبح رأس الحنفية في عصره، وأمام أئمة الدهر على الإطلاق، وأحد أفراد العلم الجمع على جلالته وبراعته وتفوقه، مع الولاية والطاعة والورع والزهد.

كان إليه الإفتاء مدة حياته، وولى المناصب الجليلة كإمامة الأشرفية ومدرستها وغيرها من المدارس.

وألف التآليف الكثيرة في الفقه وغيره، مثل شرح الكنز، وشرح الأشباه والنظائر، توفى سنة ١٠٠٤ هـ.

أنظر ترجمته في البدر الطالع ٤٩١/١، خلاصة الأثر ١٨٠/٣ - ١٨٥، ريحانة الألباء ٥٢/٢ - ٥٦.

(٢) في ب: الله.

(٣) الحوباء: النفس.

(٤) في ب: النحرير بالمعالي.

(٥) في ب: حادي.

والموالي، درويش محمد أبو المعالي الشهير نسبه الكريم بابن طالو، أطال الله بقاه، وأدام علوه وارتقاه، فقرأ عندي طائفة من الجامع الصحيح للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، وسمع مني بعضاً من الحديث من صحيح الإمام أبي الحجاج مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، تغمدهما الله برحمته، وقرأ نبذة من كتاب الهداية في فقه الإمام الأعظم والمجتهد المتقدم أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الفِرْدَوْس منقلبه ومثواه، تأليف الشيخ الإمام أبي الحسن عليّ بن عبد الجليل المَرْغِينَانِي[1]، مع مراجعة شرحها للمحقق العلامة الكمال بن الهمام[2]، وسمع كثيراً من كتاب «كنز الدقائق ومعدن الحقائق» في الفقه المذكور، تأليف الإمام العلامة أبي البركات حافظ

---

(١) هو علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، أبو الحسن برهان الدين، من أكابر علماء الحنفية، فضلاً عن أنه محدث حافظ مفسر، ولد في مرغينان بنواحي فرغانة سنة ٥٣٠ هـ، وتوفى عام ٥٩٣ هـ.

من مؤلفاته: بداية المبتدي في الفقه، وشرحه: الهداية في شرح البداية، في مجلدين، ومختار الفتاوي، والتجنيس والمزيد، وكلها في فروع الفقه.

انظر الجواهر المضية ١/٣٨٣، وتاج التراجم ٣١.

(٢) محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السواسي الاسكندري القاهري الحنفي، عالم في الفقه والأصول والتفسير والفرائض والتصوف واللغة وعلم الطبيعة والحساب والفلك وغير ذلك، ولد بالاسكندرية وقدم القاهرة ثم رحل إلى حلب وجاور بالحرمين الشريفين ثم كان شيخ الشيوخ بالخانقاه الشيخونية بمصر، وكان معظماً لدى الملوك والحكام، توفى عام ٨٦١ هـ.

من مصنفاته كتابه الذي يشير إليه المؤلف، شرح الهداية في فروع الفقه الحنفي، وسماه فتح القدير للعاجز الفقير، والتحرير في أصول الفقه، وشرح بديع النظام الجامع-بين كتابي البزدوي والأحكام لابن الساعاتي، وغيرها.

انظر: الضوء اللامع ٨/١٢٧، حسن المحاضرة ١/٢٧٠، شذرات الذهب ٧/٢٩٨، بغية الوعاة ٧/٧١.

الدين النسفي[1] مع المباحثة في شروحه وغيرها، وسمع أيضاً طائفةً من كتاب «المنار في أصول الفقه» للإمام أبي البركات المذكور، وقد بحث وأجاد وأفاد أكثر مما استفاد، وطلب مني الإجازة بما أرويه فامتثلت أمره أدام الله توفيقه، ورفع إلى أعلى المراتب قدره، وأجزت له أن يروي الكتب المذكورة عني وسائر ما يجوزُ لي وعنّي روايته، من مقروءٍ ومسموع ومؤلَّفٍ ومجموع، وبقية الستة المشهورة[2] وموطأ الإمام مالك بن أنس برواية يحيى بن يحيى[3]، ومسند الإمام أبي حنيفة ومسند الإمام الشافعي ومسند الإمام أحمد بن حنبل، ومسند الدارمي[4]، ومسند

---

(١) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي (أبو البركات، حافظ الدين). فقيه أصولي مفسر، توفي في بلدة إيذج بين خوزستان وأصبهان سنة ٧١٠ هـ.

من تصانيفه: منار الأنوار في أصول الفقه، وكنز الدقائق، والكافي في شرح الوافي، كلاهما في فروع الفقه الحنفي، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل في التفسير، وهو كتاب مشهور، معروف بتفسير النسفي.

انظر في ترجمته: الدرر الكامنة ٢٤٧/٢، الجواهر المضية ٢٧٠/١، تاج التراجم ٢٢.

(٢) الكتب الستة المشهورة في الحديث، هي: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن ابن ماجة، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن أبي داود.

(٣) ابن أبي عيسى كثير بن وسلاس الليثي، أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، بربري الأصل من قبيلة مصمودة بطنجة، قرأ بقرطبة، ورحل إلى المشرق شابا، فسمع الموطأ من الإمام مالك وأخذ عن علماء مكة ومصر، ثم عاد إلى الأندلس، فنشر فيها مذهب مالك، وعلا شأنه عند السلطان، فكان لا يوليْ قاض في أقطار الأندلس إلا بمشورته واختياره، واشتهر بالعقل، قال عنه الإمام مالك: هذا عاقل أهل الأندلس، توفي بقرطبة عن اثنين وثمانين عاماً سنة ٢٣٤ هـ.

انظر نفح الطيب ٣٣٢/١، والديباج المذهب ٣٥٠، وتهذيب التهذيب ٣٠٠/١١.

(٤) عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد التميمي، السجستاني الدارمي الشافعي، أبو سعيد، المحدث الحافظ، ولد قبل سنة ٢٠٠ هـ، وطوف الآفاق في طلب الحديث، وتوفي سنة ٢٨٠ هـ، من تصانيفه: المسند الكبير، الرد على الجهمية، وكتاب في الرد على بشر المريسي فيما ابتدعه من التأويل لمذهب الجهمية. =

الطيالسي[١]، والمعاجم الثلاثة الكبير والأوسط والأصغر للطبراني[٢]، وصحيح ابن حِبّان[٣]، والقراءة خلف الإمام للبخاري[٤]، وبقية مصنفات أصحاب الكتب الستة[٥]، وكتب التواريخ وغيرها من الأجزاء الحديثية، والمستدركات للحاكم وأبي عوانة وغيرهما[٦]، والحلية

= انظر البداية والنهاية لابن كثير ٦٩/١١، طبقات الشافعية ٥٣/٢، مرآة الجنان ١٩٣/٢.

(١) سليمان بن داود بن الجارود مولى قريش، أبو داود الطيالسي، من كبار حفاظ الحديث، فارسي الأصل، سكن البصرة وتوفي بها سنة كان يحدث من حفظه، وكان يقول: أسرد ثلاثين ألف حديث ولا فخر، وله مسند مشهور، طبع.

انظر تاريخ بغداد ٣٤/٩، واللباب ٩٦/٢.

(٢) سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم، من كبار المحدثين، أصله من طبرية ببلاد الشام، وإليها نسبته، ولد بعكا ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة، وتوفي بأصبهان عام ٣٦٠ هـ.

له ثلاثة معاجم في الحديث كما ذكر المؤلف، رتب في الصغير منها أسماء المشايخ على الحروف.

انظر وفيات الأعيان ٢١٥/١، والنجوم الزاهرة ٥٩/٤، وتهذيب ابن عساكر ٢٤٠/٦.

(٣) ويسمى التقاسيم والأنواع.

(٤) هو كتاب خير الكلام في القراءة خلف الإمام، وقد طبع مع ترجمة إلى اللغة الأوردية في دلهي سنة ١٢٩٩ هـ. انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١٧٩/٣ الترجمة العربية.

(٥) للإمام البخاري عشرة كتب غير الجامع الصحيح، انظر بيانها في تاريخ الأدب العربي ٣/ ١٧٨، ١٧٩، وللإمام مسلم كتابان انظر المصدر السابق ١٨٥، ولأبي داود ستة كتب، انظر صفحة ١٨٨، وللترمذي كتابان، صفحة ١٩٢، ١٩٥، وللنسائي خمسة، صفحة ١٩٧، ١٩٨، ولم يذكر لابن ماجة غير كتابه السنن.

(٦) المستدركات أحاديث لم يدخلها البخاري ومسلم في صحيحيهما رغم أنها مستكملة لشروطهما، وقد ألف في ذكرها الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن البيع، المتوفى سنة ٤٠٤ كتابه: المستدرك، وأبو عوانة يعقوب ابن اسحاق الاسفرايني الحافظ كتابه الصحيح المسند، وهو مخرج على صحيح مسلم وله فيه زيادات.

لأبي نعيم[١]، والمسلسلات بأنواعها والعشريات وغيرها.

فأروي صحيح البخاري عن جماعة العلماء - قدّس الله تعالى أرواحهم، ونوّر ضرائحهم - منهم قاضي القضاة شهاب الدين أبو العباس أحمد الفُتُوحي الحنبلي الشهير بابن النجار[٢]، قرأت عليه بجميعه بروايته له عن جَمْعٍ من المشائخ، منهم: شيخ الإسلام بدر الدين البُلْقِيني[٣]، قرأتُ عليه، قال: أخبرني به جدِّي شيخ الإسلام بهاء الدين بن عقيل[٤] قال: أنبانا به مسند الآفاق أحمد بن أبي طالب الحجّار الصالحي[٥]، قال:

---

(١) هو كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله المتوفى سنة ٤٣٠ هـ، وكتاب الحلية في عشرة أجزاء وقد اختصره ابن الجوزي في كتابه صفة الصفوة، وكلاهما مطبوع.

(٢) فقيه حنبلي مصري، من القضاة، قال عنه الشعراني: صحبته أربعين سنة فما رأيت عليه شيئاً يشينه، وما رأيت أحداً أحلى منطقاً منه ولا أكثر أدباً مع جليسه، ولد سنة ٨٩٨ هـ وتوفى سنة ٩٧٢ هـ، له من المصنفات كتاب: «منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات» في فقه الحنابلة وشرحه.
انظر الأعلام وهامشه ٢٣٣/٦.

(٣) محمد بن عمر بن رسلان الكناني المصري البلقيني الشافعي، فقيه، ولد بالقاهرة وقدم دمشق وأخذ عن والده وجمال الدين الإسنوي وغيرهما، وباشر الوظائف الجليلة ومنها قضاء العسكر بالديار المصرية، توفى سنة ٧٩١ هـ.
انظر شذرات الذهب ٦/ ٣١٨.

(٤) عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله، بهاء الدين، أبو محمد.
نحوي فقيه مفسر، ولد سنة ٦٩٨ هـ، وتولى القضاء بمصر، وتوفى عام ٧٦٩ هـ. له كتب منها الكتاب الشهير في النحو: شرح ابن عقيل على الألفية، وله في الفقه مختصر شرح الرافعي للوجيز للغزالي في فروع الشافعية، وفي التفسير: التعليق الوجيز على الكتاب العزيز.
انظر ترجمته في: الدرر الكامنة ٢/ ٢٦٦، شذرات الذهب ٦/ ٢١٥.

(٥) شهاب الدين، عمر طويلاً حتى ليقال إن بين سماعه للصحيح عن الحسين الزبيدي وبين وفاته مائة سنة، وكان ورعاً زاهداً يأكل من عمل يده، فيخرج في اليوم الذي لا يسمع عليه =

أخبرنا به أبو عبد الله الحسين بن أبي بكر بن المبارك الزَّبِيدي[1]، قال: أخبرنا به أبو الوقت عبد الأول ابن عيسى الهروي[2]، بسماعه من أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداوودي[3]، بسماعه من الحافظ أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي[4] بسماعه من أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفَرَبْري[5] بسماعه من الحافظ أبي عبد الله البخاري.

إلى الحجارين في الجبل يقطع الحجارة، وكان ربما خرج الطلبة إليه وهو يقطع الحجارة ليسمعهم، توفي سنة ٧٣٠ هـ، عن مائة سنة وسبعة، ودفن بالصالحية من دمشق.

انظر شذرات الذهب ٩٣/٦.

(١) نزيل بغداد، فقيه محدث، أديب مقرىء، تفقه وأفتى، وحدث ببغداد ودمشق وحلب وغيرها، توفي سنة ٦٣٩ هـ عن أكثر من تسعين عاماً.

انظر ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب، شذرات الذهب ١٤٤/٥.

(٢) السجزي ثم الهروي الماليني الصوفي الزاهد، سمع صحيح البخاري ومسند الدارمي وعبد بن حميد بن جمال الإسلام الداوودي في وقت مبكر عام خمس وستين وأربعمائة وقدم بغداد فحدث بها وازدحم الخلق عليه.

وكان خيراً متواضعاً متودداً، حسن السمت، متين الديانة محباً للرواية، توفي سنة ٥٥٣ هـ.

انظر شذرات الذهب ١٦٦/٤.

(٣) جمال الإسلام، فقيه محدث، تفقه على القفال المروزي، وأبي الطيب الصعلوكي وأبي حامد الاسفرايني، واستقر ببوشنج للتصنيف والتدريس والفتوى والتذكير، وكان له بعض النظم.

توفي عن ثلاث وتسعين عاماً سنة ٤٦٧ هـ.

انظر المنتظم ٤٩٦/٨، والنجوم الزاهرة ٩٩/٥، شذرات الذهب ٣٢٧/٣.

(٤) المحدث الثقة، روى عن الفربري صحيح البخاري، وروي عن عيسى بن عمر السمرقندي مسند الدارمي، وروى عن ابراهيم بن خريم مسند عبد بن حميد وتفسيره، توفي سنة ٣٨١ هـ، وله ثمان وثمانون سنة.

انظر شذرات الذهب ١٠٠/٣.

(٥) الفربري نسبة إلى فربر، وهي بلدة على طرف نهر جيحون مما يلي بخارى، وأبو عبد الله

ومن رويتُ عنه البخاري العلامةُ المحقِّق ناصرَ الدِّين اللَّقَّانِي المالكي[1]، ومنهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن الفقيه المقدسي الحنبلي[2] وغيرهم، وأروي صحيح مسلم عن الشيخ الإمام العلامة جامع أنواع العلوم المشهور، بعالم الربع المعمور، الشيخ أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي العباس المغربي التونسي الشهير بمغوش[3]، قراءةً لبعضه عليه واجازة لباقيه، وقرأت عليه كثيراً من شرح المختصر الأصلي للعلامة ابن الحاجب، وبعض القرآن الشريف بالقراءات العشر.

ومن أروي عنه صحيح مسلم قاضي القضاة أبو العباس أحمد بن النجار الفتوحي الحنبلي قراءة عليه بجميعه، بروايته له عن شيخ الإسلام البدر

هو الذي روى صحيح البخاري عنه، ولهذا فقد رحل الناس إليه لسماعه منه، توفي سنة ٣٢٠ هـ.

انظر اللباب ٢٠٢/١.

(١) محمد اللقاني المالكي، الحافظ ناصر الدين، أبو عبد الله، فقيه، أصولي، محدث، صوفي. من مصنفاته حاشية على شرح جمع الجوامع في أصول الفقه، وحاشية على شرح التصريف للزنجاني، توفي سنة ٩٥٨ هـ.

انظر كشف الظنون ص ٥٩٥.

(٢) هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن سليمان بن حمزة المقدسي الحنبلي، قال ابن حجر: سمع من العز محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن أبي عمر وغيره، ولي منه إجازة، توفي سنة ٨٠٢ هـ.

انظر شذرات الذهب ١٥/٧

(٣) محمد بن محمد الكرمي، التونسي، المالكي الملقب بمغوش، شيخ الإسلام شمس الدين، تولى قضاء الجند بتونس، ورحل إلى القسطنطينية وأقام مدة قصيرة في حلب وطرابلس ودمشق وقرأ عليه بعض علمائها، وتوفي بالقاهرة سنة ٩٤٧ هـ، وكان عالماً بالنحو والحديث والقراءات.

من مصنفاته: امال على الشاطبية، انظر شذرات الذهب ٢٧٠/٨، وانظر الأعلام ٢٨٥/٧.

أبي السعادات البُلْقيني قراءةً بجميعه، قال: أخبرني السند أبو ذر عبد الرحمن بن محمد البياني [١]، قال: أخبرنا به أبو الحسن علي بن مسعود بن نفيس الموصلي ثم الحلبي [٢]، قال: أخبرنا به إبراهيم بن عمر الواسطي [٣]، قال: أخبرنا به منصور بن عبد المنعم الفُرَاوي [٤]، قال: أخبرنا به أبو عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد الصَّاعدي الفُراوي [٥].

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد الزركشي الحنبلي (زين الدين، أبو ذر) فقيه من أهل مصر، ولد بها سنة ٧٥٨ هـ وكان خيراً فاضلاً، ناب في الحكم بمصر مدة طويلة، واستقر في تدريس الأشرفية المستجدة بالقاهرة، وروى عنه خلق من الأعيان، توفي عام ٨٤٥ هـ.

وله مصنفات عدة. انظر حسن المحاضرة ٢٧٦/١، شذرات الذهب ٢٥٦/٧.

(٢) الحنبلي الصوفي، المحدث الحافظ، نزيل دمشق، ولد سنة أربع وثلاثين وستمائة سمع أئمة الحديث بالشام ومصر، وقرأ كتباً مطولة مراراً وعني بالحديث عناية تامة، وكان يجوع ويشتري الأجزاء ويتعفف بكسرة فيوء خلقه مع تقواه وصلاحه، وقد سمع منه الذهبي وجماعة، توفي سنة ٧٠٤ هـ.

شذرات الذهب ١٠/٦.

(٣) ابن البرهان العدل الصدر، رضي الدين ابراهيم بن عمر بن مضر بن فارس المصري الواسطي التاج السفار، ولد سنة ٥٩٣ هـ، وسمع صحيح مسلم من منصور الغراوي وسمعه منه خلق بدمشق ومصر واليمن، توفي سنة ٦٦٤ هـ.

شذرات الذهب ٣١٤/٥.

(٤) منصور بن عبد المنعم بن أبي البركات عبد الله بن فقيه الحرم محمد بن الفضل الغراوي، أبو الفتح، ولد سنة ٥٢٢ هـ، وسمع من جده كما أدرك جد أبيه فروى عنه، وروى الكتب الكبار ورحل إليه من كل فج، توفي في نيسابور سنة ٦٠٨ هـ.

شذرات الذهب ٣٤/٥.

(٥) أبو عبد الله، محدث واعظ فقيه، ولد سنة ٤٤١ هـ بنيسابور، وتوفي بها سنة ٥٣٠ هـ، وهو جد جد منصور بن عبد المنعم السابق الذكر.

من مصنفاته: المجالس في الوعظ والتذكير، وأربعون حديثاً، وكتاب في فروع الفقه الشافعي.

انظر هدية العارفين ٨٧/٢، معجم المؤلفين ١٢٧/١١.

قال: أخبرنا به أبو الحسن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي [١]، قال: أخبرنا به أبو أحمد محمد بن عيسى بن عمرويه الجَلُودي [٢]، وقال: أخبرنا به أبو إسحق إبراهيم بن سفيان الفقيه الزاهد [٣]، قال: أخبرنا الإمام مسلم.

وأروي كتاب كنز الدقائق [٤] عن جمع من المشائخ منهم العالم الصالح المحقق أبو العباس أحمد شهاب الدين ابن يونس الشهير بابن الشلبي [٥] سماعاً لجميعه عليه بقراءة، البدر الشهاوي، وعن شيخ الشيوخ الشمس

---

(١) عبد الغافر بن اسماعيل بن عبد الغافر بن محمد الفارسي النيسابوري، أبو الحسن، محدث حافظ، لغوي، أديب، فقيه، ولد سنة ٤٥١ هـ، وتوفى في نيسابور سنة ٥٢٩ هـ.

من مصنفاته: السياق في ذيل تاريخ نيسابور، والمفهم في غريب صحيح مسلم، ومجمع الغرائب في غريب الحديث.

انظر تذكرة الحفاظ ٦٨/٤، شذرات الذهب ٩٣/٤.

(٢) الجلودي بفتح الجيم، أبو أحمد محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الرحمن الجلودي الزاهد النيسابوري، سمع أبا بكر بن خزيمة وابراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه، وهو راوي كتاب مسلم عنه، توفي سنة ٣٦٨ هـ. انظر اللباب ٢٣٤/١.

(٣) ابراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه، أبو اسحاق النيسابوري، راوي صحيح مسلم عن محمد بن رافع، قيل: كان حجاب الدعوة، انظر العبر ٧٦١٠.

(٤) كنز الدقائق: كتاب في فروع الحنفية للشيخ أبي البركات حافظ الدين النسفي، المتوفى ٧١٠ هـ، وهو يعد أحسن مختصر صنف في فقه الحنفية، إذ لخص فيه الوافي بذكر ما عم وقوعه حاوياً لمسائل الفتاوي والواقعات، وقد اعتنى به العلماء ووضعوا له ما يقرب من ثلاثين شرحاً، أحسنها التبيين لمحمد بن عثمان الزيلعي. انظر كشف الظنون ١٥١٥.

(٥) هو أحمد بن يونس المصري، الحنفي، المعروف ابن الشلبي الإمام العالم العلامة الأوحد، المحقق، كان عالماً كريم النفس: كثير الصدقة، ذا حياء وحلم، وكان رفيقاً لمفتي دمشق القطب بن سلطان في الطلب على قاضي القضاة شرف الدين بن الشحنة والبرهان الطرابلسي ثم المصري في الفقه وعلى الشيخ خالد الأزهري في النحو، توفي بالقاهرة عام ٩٤٦ هـ.

انظر: شذرات الذهب ٨/ ٢٦٦ - ٢٦٧.

الغزّي[1]، قراءة لجميعه عليه بروايته له عن شيخ الإسلام سري الدين عبد البر[2] ابن الشِّحْنة[3]، بروايته عن والده قاضي القضاة محبّ الدين[4]، وهو يروي عن العلامة محقق زمانه الكمال بن الهمَّام[5]، وهو

---

(١) محمد بن قاسم بن محمد بن محمد، أبو عبد الله شمس الدين الغزي، ويعرف بابن قاسم وبابن الغرابيلي، فقيه شافعي، ولد سنة ٨٥٩ بغزة ونشأ بها، وتعلم بالقاهرة ثم أقام بها وتولى أعمالاً في الأزهر وغيره، من مؤلفاته: فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب، ويعرف بشرح ابن قاسم على متن أبي شجاع، وحواش على حاشية الخيالي في شرح العقائد النسفية، توفي سنة ٩١٨ هـ.

انظر الضوء اللامع ٨/٢٨٦.

(٢) ساقط في ب.

(٣) الحلبي، أبو البركات، ولد بحلب سنة ٨٥١ هـ، وارتحل إلى القاهرة فاشتغل في علوم شتى على شيوخ متعددين (انظرهم في ترجمته في الضوء اللامع) ودرس وأفتى وتولى قضاء حلب ثم قضاء القاهرة، وصار جليس السلطان الغوري ونديمه، له من المؤلفات: الرمز إلى تحقيق الوقاية، وشرح الكنز في فروع الفقه الحنفي، وعقود اللآلي والمرجان فيما يتعلق بفوائد القرآن، وله نظم في أسماء البكائين في غزوة تبوك، وهم الذين نزلت فيهم الآية الكريمة (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً)، توفي سنة ٩٢١ هـ.

انظر الضوء اللامع ، شذرات الذهب ٨/ ٩٨، الكواكب السائرة ١/ ٢٢٠.

(٤) محمد بن محمد، الحنفي، محب الدين، أبو الفضل، مؤرخ، فقيه حنفي، يعرف بابن الشحنه الصغير، تولى قضاء الحنفية بحلب ثم قدم إلى القاهرة فولي بها كتابة السر، ثم نفي إلى بيت المقدس ثم أذن له بالعودة إلى حلب فعاد، ثم إلى مصر فتولى بها قضاء الحنفية، ثم صرف عن العمل، ومرت به محن وشدائد فلج بسببها في آخر عمره، ومات بالقاهرة سنة ٨٩٠ هـ وهو شيخ الخانقاه الشيخونية.

انظر الضوء اللامع ٩/٢٩٥، شذرات الذهب ٣٤٩/٧، معجم المؤلفين ٢٩٤/١١ ويكنيه شمس الدين وهو خطأ، والراجح أنه كان يكنى محب الدين كأبيه كما ورد في الشذرات.

(٥) سبقت ترجمته.

يروي عن الشيخ علاء الدين السيرامي[1]، وهو يروي عن السيد الشريف جلال الدين الحنفي[2]، وهو يروي عن الشيخ عبد العزيز البخاري[3]، وهو يروي عن الشيخ بديع الدين[4]، وهو عن المصنف.

وأما سندي في الهداية[5] فإني أرويها عن جمع من المشائخ منهم: شيخ

---

(١) هو علاء الدين بن أحمد بن محمد السيرامي، كان من كبار العلماء في المعقولات رحل إلى القدس للزيارة وحلا له المقام في حلب، وبلغ خبره الملك الظاهر فاستدعاه وقرره شيخاً ومدرساً بمدرسته التي أنشأها بين القصرين، وأفاد الناس في علوم عديدة، وكان إليه المنتهى في المعاني والبيان، توفى سنة ٧٩٠ هـ.

انظر شذرات الذهب ٦/٣١٣.

(٢) جلال بن أحمد بن يوسف بن طوع رسلان التيري، الشيخ العلامة جلال الدين التباني الحنفي، قدم القاهرة فأقام بمسجد بالتبانة فنسب إليه، فقيه، نحوي، محدث، نظم في الفقه منظومه وشرحها في أربع مجلدات، وعلق على البزدوي، واختصر شرح البخاري لمغلطاي الرومي وعلق على المشارق والتلخيص وغيرها.

انتهت إليه رياسة الحنفية، وعرض عليه القضاء مراراً فامتنع وأصر على الامتناع. توفي بالقاهرة سنة ٧٩٣ هـ.

شذرات الذهب ٦/٣٢٧، ٣٢٨.

(٣) عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري، فقيه، أصولي، من تصانيفه: شرح أصول البزدوي، والتحقيق في شرح المنتخب من أصول المذهب، وكتاب الأفنية ذكر فيه فناء الدار وفناء المسجد وفناء مصر... الخ، وشرح الهداية في فروع الفقه الحنفي، توفى سنة ٧٣٠ هـ.

الجواهر المضية ١/٣١٧، تاج التراجم ٣٥.

(٤)

(٥) الهداية: كتاب شهير في فروع الفقه الحنفي من تأليف شيخ الإسلام برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني الحنفي المتوفى ٦٣ هـ، شرح فيه مسائل الجامع الصغير ومختصر القدوري، وصنفه في ثلاثة عشر سنة، صام فيها، وببركة زهده وورعه لاقى الكتاب قبولاً بين العلماء وشرحه العديد منهم.

انظر كشف الظنون ٢٠٣١.

الشيوخ شمس الدين الغَزّي، ومنهم العلاّمة المحقق الشهاب أحمد بن الشِّلّبي[1]، ومنهم العلامة الشيخ أبو الفيض زكيّ الدين مسلم المسلمي، بروايتهم عن شيخ الإسلام سَرِيِّ الدين بن الشِّحْنة، قال: أخبرني به جماعة رواية وإجازة، فمنهم بالرواية فقط سيدي ووالدي شيخ الإسلام محب الدين أبو الوليد محمد[2]، وعن عمي قاضي القضاة فتح الدين أبو البشرى عبد الرحمن[3]، كلاهما عن شيخ الإسلام قوام الدين الكاكي[4]، عن شيخ الإسلام علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري، وشيخ الإسلام

---

(١) في ب: الشبلي في كل مكان أتت فيه هذه الكلمة.

(٢) محمد بن محمد، أبو الوليد محب الدين، ابن الشحنة الحلبي، فقيه حنفي له اشتغال بالأدب والتاريخ، ولي قضاء حلب عدة مرات كما استقضي بدمشق والقاهرة. (انظر كيف تكون وحدة الأمة الإسلامية، وكيف تتمثل في تولي هؤلاء العلماء للمناصب في طول البلاد وعرضها).

ولأبي الوليد بن الشحنة مؤلفات منها: روض المناظر في علم الأوائل والأواخر، اختصر به تاريخ أبي الفدا، والموافقات العمرية للقرآن الشريف، ونهاية النهاية في شرح الهداية في فقه الحنفية، توفي سنة ٨١٥ هـ.

انظر الضوء اللامع ١٠/٣ - ٦، شذرات الذهب ٧/١١٣، ١١٤.

(٣) فتح الدين عبد الرحمن بن محمد، ابن الشحنة الحلبي، (وآل الشحنة نسبتهم إلى جد لهم اسمه محمود، كان شحنة حلب، وهو ما نسميه اليوم رئيس الشرطة أو مدير البوليس) وفتح الدين كان أصغر سناً من أخيه السابق، واشتغل كثيراً بالفقه وناب عن أخيه في الحكم والقضاء، ثم عزل وولي مراراً، توفي سنة ٨٣٠ هـ.

شذرات الذهب ٧/١٩٤.

(٤) في الأصول السكاكي، وهو تحريف، وهو محمد بن محمد بن أحمد البخاري الكاكي الحنفي (قوام الدين) فقيه، أصولي، قدم القاهرة فأقام بجامع ماردين يفتي ويدرس إلى أن توفي سنة ٧٤٩ هـ من تصانيفه: شرح للهداية سماه معراج الدراية، وعيون المذهب في فروع الحنفية، وبنيان الوصول في شرح أصول البزدوي.

انظر كشف الظنون ١١٨٧، معجم المؤلفين ١١/١٨٣.

حسام الدين حسين بن علي ابن حجاج السغناقي [١]، وبرهان الدين أحمد بن أسعد بن محمد، قالوا: أنبأنا به شيخا الإسلام حافظ الدين الكبير محمد بن محمد بن نصر [٢]، وفخر الدين محمد بن محمد بن إلياس المايمرغي [٣]، قال: أخبرنا شيخ الإسلام شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكَرْدَرِي [٤]، عن شيخ مشائخ الإسلام المؤلف، وهو رحمه الله أخذ الفقه عن جده لأمه القاضي الإمام عمر بن حبيب البرندرامشي، وهو أخذ عن شمس الأئِمة السَّرَخْسِي [٥]، والسَّرَخْسِي أخذ عن الإمام

(١) في ب: السقناقي، وهو تحريف، وفي معجم المؤلفين ٣١٨/٣، أنه الحسين بن حجاج البخاري الحنفي، المنعوت بالحسام، فقيه أصولي، دخل بغداد وتوفى بمرو قبل عام ٧٧٤ هـ، من آثاره: شرح الهداية في فروع الفقه الحنفي، وشرح أصول الفقه للأخسيكثي.

(٢) الإمام، حافظ الدين البخاري، أبو الفضل، ولد ببخارى سنة ٦١٥ هـ، وتفقه على شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردري وقرأ عليه الأدب وسائر العلوم، وسمع منه ومن أبي الفضل المحبوبي، وسمع منه أبو العلاء البخاري وذكره في معجم شيوخه، وكان إماماً جامعاً لأنواع العلوم، توفى ببخارى سنة ٦٩٣ هـ.

الجواهر المضية ١٢٢/٢.

(٣) في ب: المارمي وهي خطأ، و« مايمرغ »قرية ببخارى والمايمرغي تلميذ الكردري وروى عنه الهداية عن مصنفها.

انظر الجواهر المضية ١١٥/٢.

(٤) في ب: الكردي، وهو محمد بن عبد الستار بن محمد العمادي الكردري، شمس الأئمة، أبو الوحدة، فقيه حنفي، ولد سنة ٥٥٩ وتوفى ببخارى سنة ٦٤٢ هـ.

من مؤلفاته: الحق المبين في دفع شبهات المبطلين، أو الدرة المنيفة في الانتصار للإمام الأعظم أبي حنيفة.

انظر تاج التراجم ٤٧، ٤٨.

(٥) محمد بن أحمد بن أبي بكر السرخسي (شمس الأئمة) متكلم، فقيه، من طبقة المجتهدين في الفقه الحنفي.

من آثاره: المبسوط في الفقه.

انظر معجم المؤلفين ٢٣٩/٥.

أبي محمد عبد العزيز الحَلْواني[1] ، عن أبي علي الحسين بن خضر النسفي[2] ، عن الإمام أبي بكر محمد بن الفضل البخاري[3] ، عن ابن أبي حفص، عن أبيه، عن حفص الكبير[4] ، عن محمد بن الحسن الشيباني، عن الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، وأبو حنيفة أخذ عن جماعة من التابعين وعن بعض الصحابة رضوان الله عليهم، والصحابة أخذوا عن سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الشرع الشريف، والمقام العالي المنيف، عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى آله وأصحابه الكرام، وقد أجزت لصاحب هذا الثبت أن يروي عني

---

(١) عبد العزيز بن أحمد بن نصر بن صالح بن البخاري الحنفي، أبو محمد، الملقب بشمس الأئمة، نسبته إلى عمل الحلواء، كان إمام أهل الرأي في وقته ببخارى.

من كتبه: المبسوط في الفقه، والنوادر في الفروع، وشرح أدب القاضي لأبي يوسف، توفى بكش، ودفن ببخارى سنة ٤٤٨ هـ.

انظر الجواهر المضية ٣١٨/١.

(٢) هو الحسين بن خضر بن يوسف الفشيديزجي - نسبة إلى فشيدزة - النسفي، أبو علي، قاضي بخارى وشيخ الحنفية في عصره، روى عن محمد بن صابر وجماعة، وخرج له عدة أصحاب، توفى سنة ٤٢٤ هـ.

انظر شذرات الذهب ٢٢٧/٣، وانظر معجم المؤلفين ٢٢٢/٣، وسماه الحسن بدل الحسين والفشيدرجي بالراء المهملة، وذلك نقلاً عن كشف الظنون ١٢٩٤.

(٣) محمد بن الفضل الكماري، البخاري، الحنفي، من آثاره: الفوائد في الفقه. توفى سنة ٣٨١،

انظر كشف الظنون ١٢٩٤، هدية العارفين ٥٢/٢.

(٤) ابن أبي حفص هو حفص بن عبد الله بن غنام بن حفص بن غياث بن طلق، أبو الحسن الكوفي، قدم بغداد، وحدث عن أحمد بن عبد الحميد الحارثي، وروى عنه القاضي الحزامي انظر الجواهر المضية ٢٢١/١.

وأما حفص الكبير فهو حفص بن غياث بن طلق الكوفي النخعي الأزدي، (أبو عمر) قاض من أصحاب الإمام أبي حنيفة: ولي القضاء ببغداد الشرقية لهارون الرشيد ثم ولاه قضاء الكوفة، وتوفى بها سنة ١٩٤ هـ، انظر المرجع السابق.

ذلك بهذا الإسناد، والله سبحانه وليّ التوفيق والرشاد.

ومن أخذنا عنهم العلوم، وتشرفنا بملاقاتهم قاضي القضاة بمصر المحروسة، السيد الشريف العالم العلامة محيي الدين بن محمد بن عبد القادر الكحال الشهير بمعلول أمير[1] سمعنا عنده بقراءة ولده، وغيره في علوم عقلية ونقلية.

وكذلك قاضي القضاة بها العالم الصالح الورع عبد العزيز الشهير ببرويز[2]، وكلاهما يروي عن الإمام العلاّمة البحر الحَبْر الفهّامة، شمس الملة والدين أحمد بن سليمان صاحب المصنفات الفائقة، الشهير في سائر البلدان الشهير بابن كمال باشا[3]، وقد أخذ أيضاً من مولانا المفتي

---

(١) هو محيي الدين محمد بن إدريس الحنفي الشهير بمعلول افندي أحد موالي الروم تنقل في المدارس والمناصب إلى أن ولي قضاء مصر، وكان سيداً شريفاً فاضلاً.

كذا ذكره ابن العماد في شذرات الذهب ٢٦٩/٨ في وفيات سنة ٩٤٧ هـ، والأرجح أنه هو نفسه الذي ترجمه باسم محمد بن عبد القادر في وفيات سنة ٩٦٣ هـ في صفحة ٣٣٩، فقد ذكر أنه أحد الموالي الرومية، أخذ عن جماعة منهم المولى محيي الدين الفناري وابن كمال باشا (وهو ما يتفق مع ما هنا)، وذكر أنه ولي قضاء مصر ثم قضاء العساكر، وكان عارفاً بالعلوم العقلية والنقلية... الخ.

ثم ذكر ولده الآتي في النص بقوله: المولى السيد محمد بن محمد بن عبد القادر أحد موالي الروم وابن أحد مواليها السيد الشريف الحنفي المعروف بابن معلول (وهذا يؤكد أن معلول هو محمد بن عبد القادر وليس محمد بن إدريس).

انظر الشذرات ٤٣٣/٨.

(٢) برويز بن عبد الله الرومي الحنفي، الإمام العلامة قرأ على علماء عصره، وتنقل في المدارس وولي عدة من المناصب الشريفة منها قضاء مصر والشام، وكان بارعاً مفنناً، له حاشية على تفسير البيضاوي وحاشية على الهداية ورسائل في فنون عديدة.

انظر شذرات الذهب ٤٣٧/٨، قضاة دمشق ٣٢٧.

(٣) أحمد بن سليمان بن كمال باشا، شمس الدين، قاض من العلماء بالحديث ورجاله، عرف بأنه =

الأعظم، الإمام المكرّم، سعد الله جلبي[1].

ومن أخذنا عنه العلوم شرعية وأدبية السيد المحقق والمدقّق قطب الدين عيسى بن السيد صفيّ الدين الشيرازي ثم المكي[2]، وأخذنا عن شيخه السيد أبي الفضل الاسترابادي[3]، قرأنا عليه بعض العلوم

قلما يوجد فن من الفنون وليس له مصنف فيه، تعلم في أدرنة وتولى قضاءها ثم الافتاء بالآستانة إلى أن توفى سنة ٩٤٠ هـ.

له من المصنفات: مجموعة رسائل تشتمل على ٣٦ رسالة، وطبقات الفقهاء، وطبقات المجتهدين، وإيضاح الاصلاح في فقه الحنفية، وتغيير التنقيح في أصول الفقه.

انظر الكواكب السائرة ٢/ ١٠٧.

(١) هو سعد الله بن عيسى الشهير بسعدي جلبي، فقيه، مفسر، ولد في ولاية قسطموني، وتولى إفتاء الديار الرومية.

من تصانيفه: حاشية على تفسير البيضاوي، وحاشية على العناية شرح الهداية في فروع الفقه الحنفي.

انظر الفوائد البهية ٧٨، حاجي خليفة في كشف الظنون ١٩١، ٢٠٣٢. الكواكب السائرة ٢/٢٣٦، شذرات الذهب ٨/٢٦٢.

(٢) هو عيسى بن محمد بن عبيد الله، أبو الخير، قطب الدين، الإيجي، المكي، المعروف بالصفوي (لاحظ أن المؤلف ينسبه إلى شيراز) وهو ما لم تذكره المراجع فلعله تساهل منه أن يجعل من كل فارسي شيرازيا فبالرغم من أن قطب الدين فارسي إلا أنه من إيج وهي في أقصى بلاد فارس قرب الهند، أما شيراز فهي في وسطها، كما يقول ياقوت (انظر معجم البلدان)، أما نسبته إلى مكة فذلك لأنه جاور بها سنين.

ويرد على المؤلف أيضاً أنّه سماه عيسى بن السيد صفي الدين، والواقع أن صفي الدين هو جده لأمه وليس أباه وقد نسب إليه فقيل له الصفوي.

وقطب الدين ولد سنة تسعمائة، وقرأ في كجرات ودلي، وسمع أبا الفضل الاسترابادي، وزار الشام وبيت المقدس وبلاد الترك، ثم استوطن مصر.

من مؤلفاته: مختصر النهاية لابن الأثير، وشرح الكافية لابن الحاجب، وغير ذلك

انظر شذرات الذهب ٨/ ٢٩٧، هدية العارفين ١/ ٨١٠.

(٣) لعله عبد الحي بن عبد الوهاب بن علي، الأشرفي، الجرجاني، الاسترابادي نزيل هراة، عالم مشارك في أنواع العلوم، ولي قضاء خراسان.

الرياضية، وسمعنا في التلويح في أصول الفقه للسَّعْد التَّفْتازاني[1]، وذكر لنا أنه يرويه عن شيخ الإسلام الهَرَوي[2]، عن جدِّه المؤلف.

ومن أخذنا عنه العلوم العقلية السيد الشريف الشهير بأمير عالم[3]، شارح الفوائد الغياثية، تغمدهم الله برحمته، وأسكنهم أعالي جنته، هذا والوصية التي منه تستفاد بتقوى الله تعالى التي هي خيرُ زاد، وأن يقصد بذلك وجه الكريم الجواد، متوكلًا عليه في التوفيق والإرشاد، والإسعاف

= من مؤلفاته: المعضلات في إشكالات العلوم الحكمية، شرح على ألفية الشهيد، حاشية على شرح الشمسية، كان حيا سنة ٩٥٩ هـ.

انظر معجم المؤلفين ٥/١٠٨.

(١) مسعود بن عمر، سعد الله التفتازاني نسبة إلى قرية من نواحي نسا بإيران، ولد عام ٧١٢ هـ، وألف شرح التصريف العزي وهو ابن ست عشرة سنة، ثم ألف العديد من الكتب ذات الشأن، ومنها المطول في البلاغة والمختصر فيها، والنعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ للزمخشري، والتلويح إلى كشف غوامض التنقيح لصدر الشريعة في أصول الفقه، وشرح الأربعين النووية، وكل هذه الكتب مطبوع متداول.

أقام بسرخس، ونفاه تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفي بها عام ٧٩١ هـ.

انظر الدرر الكامنة ٤/ ٣٥٠، بغية الوعاة ٣٩١، شذرات الذهب ٦/ ٣١٩ - ٣٢٢.

(٢) هو محمد بن عطاء الله بن محمد الرازي الأصل الهروي، أبو عبد الله، شمس الدين، انتقل إلى فلسطين وولي تدريس الصلاحية بالقدس سنة ٨١٥ هـ، ثم ولي قضاء مصر مدة، وتقلب في مناصب كثيرة منها أمانة السر للملك الأشرف برسباي بمصر (وهو عالم من هراة ببلاد الأفغان، فتأمل)، واستقر أخيراً في القدس إلى أن توفي سنة ٨٢٩ هـ

له مؤلفات منها: فضل المنعم في شرح صحيح مسلم، وشرح مشارق الأنوار للصغاني.

انظر الضوء اللامع ٨/ ١٥١، وشذرات الذهب ٧/ ١٨٩.

(٣) الفوائد الغياثية كتاب في المعاني والبيان تأليف القاضي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي المتوفى سنة ٧٥١، نسبها إلى غياث الدين وزير السلطان محمد خدابنده ببلاد الترك، وهو كتاب مفيد شرحه الكثير من العلماء، ومنهم شرح العالم الفاضل الشريف مير علم البخاري، المتوفى بقسطنطينية سنة ٩٥٠ هـ.

انظر كشف الظنون ١٢٩٩.

والإسعاد، وأن لا ينساني من دعوة صالحة تنفعني في المعاد، بلّغه الله غاية المراد، وختم لنا أجمعين بالحسنى، وأوصلنا إلى المقام الأسنى، وكتب العبد الضعيف، المفتقر إلى عفو ربه اللطيف، عليّ بن محمد بن عليّ الشهير بابن غانم الخزرجيّ المقدسي عفا الله عنه، وعن والديه ومشائخه وإخوانه المسلمين، وذلك في أواخر القعدة الحرام عام ثمانية وتسعين وتسعمائة من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك ما أجاز لي عنه أن أرويه، وأمر أن يكتب به عنه بعض ذويه[1]، من بالرواية عنه يفخر الراوي، شيخ العلوم محمد النحراوي[2] صورة ذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وسلم، الحمد لله الذي منّ بالهداية إلى فقه دينه القويم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنجّي يوم الجمع من الكرب العظيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المعرب عن نحو الصواب بما هو مغني اللبيب من التفهيم، صلى الله عليه وسلم صلاة وسلاماً يقتضيان الإجازة على الصراط المستقيم، والمفازة بجنات النعيم، وبعد، فإن العلم أنفع المطالب التي تميل

(١) في ب: يكتب بعض به، ولا معنى لها.

(٢) هكذا جعل المؤلف اسمه النحراوي مراعاة للسجع، وقد أرهقني البحث عنه، والواقع أن نسبته هي النحريري كما ورد في ريحانة الألبا ٤٥/٢، أو الحموي كما جاء في خلاصة الأثر ٤٨٨/٣. فهو الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن محمد النحريري الحنفي شمس الدين. عالم بالفقه والتفسير والحديث والأصول والنحو، توفي بمصر سنة ١٠١٧ هـ.

من تآليفه: حاشية على مغني اللبيب، وعلى شرح قواعد الاعراب وكلاهما لابن هشام، وله شعر.

انظر بالإضافة إلى المرجعين السابقين معجم المؤلفين ١٥١/١٠.

إلى تحصيلها الآمال، وتجنح إلى إحرازها الجوانح، وأرفع المناصب التي تخطرها الخواطر وتقترحها القرائح، وقد تضافرت على ذلك شواهد المنة بأبلغ المنة، وتواترت عليه الأدلة من الكتاب والسنة، هذا ولما كان الشيخ الإمام عالم الإسلام إمام الفروع[1]، والأصول، هُمام المعقول والمنقول، أبو حنيفة وقته، والسالك سبيل الصدر الأول في سِمَته وَسَمْتِه، العالم العامل، الأوحد الكامل، قطب الواصلين، بركة المسلمين، بحر المعارف الجاري، وزند العوارف الواري، مولانا شيخ الإسلام شمس الدين محمد النحراوي، رضي الله تعالى عنه، قد أشرق الله عز وجل[2] أنوار بصيرته، وزكّى قويمَ سيرته، وكريم سريرته، وخصَّه بالذهن الثاقب النافذ في الجهاد، والفكر الصائب الناقد المار[3] في ميدان العرفان مر الجواد:

يَحُـلُّ من الأزمان ما كان مُشْكِلا   وما شاد فهماً من كلام الأوائل[4]

حتى ألقت أكابر العلماء وأماثل النبلاء، إليه أزِمَّة السّلم، واحتوى على جوامع العلم وبدائع الحكم، مرتبة لا تنال بالرشا، ولا تُسْتَقَى بالرشا[5]، ولكن الله يختصّ برحمته من يشا:

ما كلُّ من طلب السعادَة نالها   إن السعادةَ أصلُها التخصيصُ

أقامه الله لنفع الناس، ورَفْع لباسِ الإلباس، وأطال في فنون العلم

---

(١) في ب: إمام الأصول والفروع.
(٢) في ب: تعالى ذكره.
(٣) ساقطة في ب.
(٤) هذا البيت ورد كلاماً نثرياً في نسخة ب.
(٥) الرشا: الأولى جمع رشوة مثلثة الراء، وهذه بمعنى حبل الدلو.

باعَه، وزكّى بحُسْن اتباعه، حتى قال إنسان البيان بلسان الإذعان:

حلفتُ أنك معدومُ النظيرِ فما راجعتُ فكري ولا استثنيتُ في حَلِفي

وكان مولانا جثمان روح الكمال، نقطة دائرة الإعظام والإجلال، بدر أفق السعادة، نور روض المجادة، ناسج برود العقل بوشائع الأدب، نسج السندس بالذهب، مازج حكمة اليونان بفصاحة العرب، مزج القند بالضَّرَب[1]، من جمع من سابق الأشغال مستصحبته[2] طارفاً وتليداً، ومن قالت له العلوم وقد مارسها صغيراً: يا قرة أعيننا ألم نُرَبِّك فينا وليداً، قرة الأبصار، وزينة الأمصار، من قصَّر المثنون عن بلوغ قدره، وإن أطابوا وأطالوا، مولانا أبو المعالي محمد درويش أفندي الشهير نسبِه الكريم بابن طالو، أدام الله تعالى لمجده لسلوك مدارج السيادة، وأمده بالرقي إلى معارج السعادة، قد رحل في طلب فنون العلوم إلى الأقطار، فتهادته أيدي الآفاق، وأنفق من كنز أيامه في تحصيلها، فنَمَتْ سعادته على كثرة الإنفاق، وسهر في تقييد شواردها والعيونُ وَسِنَة، وفاوض في تحصيلها الدروس والطروس حتى غدت أقلامه بما يرويه عنها فصيحة الألسنة، وأصبح ورده من مناهل العلم نميراً صافياً وعذباً زلالاً، وأضحت بدائعه في النظم والنثر عقوداً مُحَلّاةً وسحراً حلالاً، ولما رحل إلى ديار مصر المحروسة، وحل رحابها المأهولة، ورباعها المأنوسة[3]، سنّى الله عز وجل لقاء العلامة المشار إليه وقَسَم له الحظ الأوفر والنصيب الأكبر مما لديه، فلازم التملي بأنوار أنسه،

(١) القند: عسل قصب السكر إذا جمد، والضرب: العسل الأبيض الغليظ.

(٢) في ب: مستصحبه.

(٣) في ب: وحل رباعها ورحابها المأنوسة.

والتجلي بأسرار قدسه، والتجلي في دارة البحث معه والسماع عليه والحضور لدرسه، مدة من الزمن صالحة، وحصة نقودها رائجة وتجارتها رابحة، فاجتنى من ثمار فوائده التي زكى غرسها، واجتلى من فرائده التي أشرقت شمسها، حتى صار حاملاً لأسرار هذا الإمام الذي علا مناره، ومرتوياً فرات هذا البحر التي لا تبارى أمواجه، ولا يُجاري تياره، فمن مسموعاته عليه مع البحث المفيد المزيد، والتحرير الشديد السديد، نُبذة وافرة وجملة متكاثرة من كتاب الهداية لمفتي البشر، وسيف النظر، أستاذ الفقهاء، وفخار النبهاء، الإمام برهان الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر الرشداني الفرغاني[1]، المرغيناني، وما يجاريها ويسابقها ويباريها ويطابقها من شرحها المسمى بفتح القدير، لشيخ الإسلام، علّامة الأعلام، طراز المحققين، وكمال الناظرين، الأوحد الإمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد الشهير بابن الهُمام، ولد بالإسكندرية وتوفي بالقاهرة، وقطعةً صالحة، وحصةً تجارتها رابحة، من مجمع البحرين للإمام الكبير والعلّامة الشهير مظفر الدين أحمد بن علي المعروف بابن الساعاتي[2]، ولادته ووفاته ببغداد، وطائفةً مستجادة مُشرقة بُدُورُها في أفق الإفادة من مُغني اللبيب للعلّامة الأستاذ إمام النحويين ومَلِك المُعْربين، الجمال أبي محمد عبد الله بن يوسف الشهير بابن هشام، مع ما يوازن ذلك ويوازيه ويقابله ويحاديه، من حاشية الإمام

---

(١) ساقطة في ب.

(٢) أبو العباس، بعلبكي الأصل، بغدادي المولد والنشأة، فقيه أصولي أديب، من مؤلفاته: مجمع البحرين وشرحه في مجلدين كبيرين في الفقه الحنفي، والبديع في أصول الفقه، والدر المنضود في الرد على فيلسوف اليهود ابن كمونة، توفي سنة ٦٩٤ هـ.

انظر تاج التراجم ٤، الجواهر المضية ١/٨٠.

العلّامة، الذكي الفهّامة، كمال الدين محمد بن محمد التميمي الداري المعروف بالشُّمُنِّي الحنفي[1]، ولد بالإسكندرية وتوفى بالقاهرة كسمِّيه السابق، ومن حاشيتيه الصغرى والكبرى للإمام الأريب العالم النحوي اللغوي الأديب، البدر محمد الدماميني الإسكندري المالكي[2]، وقد آذن رضي الله تعالى عنه له أيده الله أن يفيد عنه ذلك، وأن يبثه في جميع الأوقات والأحوال والمهالك، وأن يتصدق من إفادة الطالبين وإفتاء الراغبين بزكاة ما منّ الله به عليه، وأن يحسن كما أحسن الله إليه، وقد شَنَّف رضي الله عنه السمع بالثناء على كماله المبرز على الإبريز، وأجازه مادحاً لفضله فكان المادح والمجيز، بحق روايته رضي الله تعالى عنه الهداية عن أماثل من أئمة الحنفية، وأفاضل من علماء الملة الحنيفية، منهم الإمام المحقّق، والهمام المدّقق، مَنْ فضائله لا تتناهى، وبمحاسنه تتجمل الأوقاتُ تتجمّل الأوقاتُ وتتباهى، الشهاب أحمد بن يونس الشهير

---

(١) عالم مغربي الأصل، ولد بالاسكندرية سنة ٧٦٦ هـ، وتلقى عن شيوخها واشتغل بالعلم فيها، ثم رحل إلى القاهرة وسمع من البدر الزركشي والزين العراقي، وهو محدث فقيه أصولي صنف الحديث، وقال النظم والشعر، توفى بالقاهرة سنة ٨٢١ هـ.

له من المؤلفات: نظم نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر في علوم الحديث، والأمور الناجحة في أسرار الفاتحة، وحاشية الشمني على المغني.

انظر شذرات الذهب ١٥١/٧، الضوء اللامع ٧٤/٩.

(٢) هو محمد بن أبي بكر بن محمد المخزومي القرشي، بدر الدين، عالم بالشريعة وفنون الأدب، ولد بالاسكندرية واستوطن القاهرة ولازم ابن خلدون، وتصدر لإقراء العربية بالأزهر، ثم تحول إلى دمشق ومنها حج، ثم عاد إلى القاهرة فتولى بها قضاء المالكية، ثم ترك القضاء ورحل إلى اليمن فدرس بجامع مدينة زبيد، ثم انتقل إلى الهند فعاش فيها مدة قبل أن يتوفى بمدينة كلبرجا سنة ٨٢٨ هـ.

من مؤلفاته: شرح مغني اللبيب لابن هشام، جواهر البحور في العروض، وشرح لامية العجم الخ.

انظر: بغية الوعاة ٢٧، شذرات الذهب ١٨١/٧، حسن المحاضرة ١١٣/١.

بالشلبي الحنفي، عن أبي حنيفة زمانه، الضائق على أقرانه، قاضي القضاة أبي عبد الله محمد بن محمد الغَزِّي الحنفي[1]، عن شيخ الإسلام الكمال بن الهُمَام، عن شيخ المذهب السِّرَاج بن عليّ القاري المعروف بقاري الهداية[2]. عن بقية السلف، وقدوة الخلف، إمام التعليم، وعالم الأقاليم، المتبحِّر ولا سيما في علم التأصيل والتفريع، والبارع خصوصاً في المعاني والبيان والبديع، العلامة أحمد بن محمد السيرامي الحنفي، عن الإمام السيد الشريف جلال[3] شارح الهداية. عن إمام الأصلين، الكاشف تحقيقه عن المشكلات ضدّ الرب والدين، العلائيّ عبد العزيز بن أحمد البخاري الحنفيّ شارح الهداية أيضاً، عن العالم الرّباني، والعامل الصَّمَداني، حامل لواء الشرع، مؤسس قواعد الأصل والفرع، حافظ الدين محمد بن محمد بن نصر البخاري الحنفي، عن علامة العالم، أوحد بني آدم، إمام الأئمة على الإطلاق، رحلة الوفود من الآفاق، شمس الملة أبي الوحيد محمد بن عبد الستار الكَرْدَرِي الرَّاتقيني، عن صاحب الهداية.

وبحق روايته لشرح الهداية للكمال بن الهمام، وكذا سائر كتبه ومنها التحرير، وبالإسناد السابق إليه، وبحق روايته للجمع عن أكابر وأعيان من علماء الزمان، منهم العلامة ابن الشلبي السابق، عن قاضي القضاة

---

(١) المقدسي، فقيه حنفي من مؤلفاته: مختصر في المناسك. كان حيًّا سنة ٨٩٠ هـ.
انظر معجم المؤلفين ٣٠٥/١١.

(٢) هو عمر بن علي بن فارس الكناني، الحنفي، الشهير بقاري الهداية، سراج الدين، أبو حفص فقيه، أصولي، عالم بالعربية، من أهل الحسينية بالقاهرة، أفتى ودرس، وتوفى عام ٨٢٩ عن نيف وثمانين عاماً.
من مؤلفاته: جامع الفتاوى، تعليقة على الهداية للمرغيناني.
انظر معجم المؤلفين ٣٠٠/٧، الأعلام ٢١٩/٥.

(٣) هو جلال بن أحمد بن يوسف الثيري التباني الحنفي، وقد سبقت ترجمته.

بالديار المصرية وإمام السلطان بها برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد الكَرَكِيّ[1] الحنفي، كلاهما عن الإمام أمين الدين أبي زكريا يحيى بن محمد بن إبراهيم الأُقْصُراني القاهري الحنفي[2]، وبرواية الكَرَكيّ له عن التقي الشُّمُنِّي، والعزّ عبد السلام البغدادي الحنفي، ثلاثتهم عن الشرف أبي طاهر محمد المعروف بابن الكويك الربعي التكريتي المصري الشافعي[3]، عن الحافظ علم الدين البرزالي[4] الشافعي، عن مؤلفه.

---

(١) قاض، من فقهاء الحنفية، أصله من الكرك (في شرقي الأردن) وإليها نسبته، ولد بالقاهرة سنة ٨٣٥ هـ، وقرأ على علماء مصر واتصل بالسلطان قايتباي في أيام إمارته فصحبه، وارتقى قايتباي إلى السلطنة فكان من خاصته يصحبه في إقامته وأسفاره، ودخل معه دمشق وحلب وبيت المقدس والحرمين ثم تغير عليه السلطان فاعتزل في بيته يفتي ويدرس. ثم عاد إلى الحياة العامة لفترة قصيرة إذ تولى قضاء الحنفية من سنة ٩٠٣ إلى ٩٠٦، توفي عام ٩٢٢ هـ.

من مؤلفاته: فيض المولى الكريم مجلدان في فقه الحنفية، والفتاوي، وحاشية على التوضيح لابن هشام.

انظر شذرات الذهب ١٠٢/٨، الضوء اللامع ٥٩/١.

(٢) شيخ الحنفية في زمانه بالقاهرة، ولد سنة نيف وتسعين وسبعمائة وانتهت إليه رياسة الحنفية في وقته، وتوفي عام ٨٧٩ هـ عائداً من الحج.

شذرات الذهب ٣٢٨/٧.

(٣) هو محمد بن عبد اللطيف بن محمود بن أحمد الربعي بن الكويك (في الأصل الكويكب، وهو خطأ) أصله من تكريت ثم سكن سلفه الاسكندرية وكانوا تجاراً بها وسمع بالاسكندرية من العتبي وبدر الدين بن جماعة وأبي حيان وغيرهم، وكان رئيساً مسموع الكلمة عند القضاة، توفي عام ٧٩٠ هـ.

انظر شذرات الذهب ٣١٤/٦. وانظر الدرر الكامنة لابن حجر فقد ذكر أنه توفي عام ٧٦٩. وتختلف الكنية واللقب في المرجعين السابقين عما هنا.

(٤) هو القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي الاشبيلي الأصل الدمشقي الشافعي (علم الدين، أبو محمد) محدث حافظ مؤرخ فقيه ولد بدمشق سنة ٦٦٥ هـ، ورحل إلى حلب وبعلبك ومصر وسمع عدداً من شيوخ العلم قيل إنهم أكثر من ألفين، توفي سنة ٧٣٩.

وبحقّ روايته للمغني عن أكابر الأئمة، وأماثل من أعيان الأمة، منهم قطب دائرة التحقيق، وبدر دارة التصوير والتصديق، من انتهت إليه بالديار المصرية رياسة العلوم وأشير إليه بالبنان في البيان للمعقول والمرسوم، العلامة ناصر الدين محمد بن حسن اللقاني المالكي، ومنهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشلبي السابق كلاهما عن خاتمة الحفاظ والمجتهدين الجلال عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي عن المسند الرحلة زكي الدين أبي بكر بن صدقة الشافعي[1]، والقاضي نجم الدين عبد الرحمن بن عبد الوارث المالكي عن علّامة النحو الشُّمُنِّي محمد بن محمد الغماري، وبحق روايته لحاشيتي المُغني للدماميني، عن الإمامين الناصر اللقاني والشهاب بن شلبي، كلاهما عن الجلال السيوطي، عن خطيب

= انظر الدرر الكامنة ، النجوم الزاهرة ٩/٣١٩، شذرات الذهب ٦/١٢٢.

(١) هو علي بن صدقة بن علي البانقوسي الحلبي ثم المصري الشافعي، صوفي شاعر توفى بدمشق سنة ٩٧٥ هـ.

من تصانيفه: أسرار العبادات والقربة إلى رب البريات، والمنتخب في الوعظ والخطب، والكوكب الوهاج شرح المنهاج للنووي.

انظر معجم المؤلفين ٧/١١٠ نقلاً عن البغدادي في إيضاح المكنون وهدية العارفين وبروكلمان في كتابه في تاريخ الأدب العربي، ثم انظر الترجمة التي ساقها صاحب المعجم في نفس الجزء صفحة ٢٩ نقلاً عن الضوء اللامع للسخاوي وقارن بينهما فسوف تجد أنها لشخص واحد تقريباً، فصفة كل منهما واحدة، ومؤلفاتها أيضاً واحدة إلا أنه ذكر أن الأول ولد سنة ٧٩٠ ولم يذكر له تاريخ وفاة، وذكر أن الثاني توفى سنة ٩٧٥ ولم يذكر له تاريخ ميلاد، وأحد التاريخين خطأ بالقطع إذ لا يعقل أن يعيش أحد ١٨٥ عاماً، والأرجح أنه ولد سنة ٧٩٠ وعمر مثلاً حتى سنة ٨٧٥ هـ أي خمسة وتسعين عاماً، ويقرب ذلك أن تلميذه جلال الدين السيوطي عاش خلال الفترة من سنة ٨٤٩ حتى سنة ٩١١ هـ، فأتيح له وهو في فترة الشباب مثلاً أن يسمع منه.

المسجد الحرام المُشَرَّف النوري المكي الشافعي، عن العلامة النحوي قاضي المالكية بمكة المشرفة، وشيخ العربية بها محيى الدين عبد القادر بن أبي القاسم الأنصاري الخزرجي السعدي العِبادي المكي المالكي[1]، عن البدر الدماميني، هذا ما رواه عنه بالبحث والسماع والحضور والاجتماع، والمجال والمدارسة والمحاضرة والمحاورة، وأمّا ما هو بطريق الإجازة المطلقة، والرواية التي بدورها في هالات الفضل مشرقة، فكتب تضيق عن ذكرها الأرقام، وتنضبُ عندها نِطَاق الدُّوِيِّ، وتَخْفَى أقدامُ الأقلام خصوصاً الكتب التي روي لها ومارسها، وافترع أبكارها واجتلى عرائسها، وخبر ضواحكها وعوابسها، بحيث كان يستجليها في غالب أوقاته، ويلاحظها في أكثر لحظاته، حتى كادت تعد من محفوظاته، كالصحيحين و«الجامع الصغير»[2] و«الشفا»[3] و«الترغيب

---

(١) هو محي الدين عبد القادر بن أبي القاسم الأنصاري السعدي العبادي المكي المالكي، أحد أكابر حفاظ القرآن الكريم، ورئيس قراءته، ولد سنة ٨١٤ هـ بمكة، وتوفى سنة ٨٨٠ هـ. وهو على قضائها، من مؤلفاته: حاشية على التوضيح لابن هشام، شرح التسهيل لابن مالك. وحاشية على التوضيح في أصول الفقه.

انظر الضوء اللامع ٢٨٣/٤، بغية الوعاة ٣٠٩.

(٢) الجامع الصغير، كتاب في فروع الفقه الحنفي من تأليف الإمام محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة المتوفى سنة ١٨٧ هـ، وهو كتاب مهم يعظمه العلماء لما احتوى من دقائق المسائل والفتاوى حتى قيل: لا يصلح المرء للفتوى ولا للقضاء إلا إذا علم مسائله، وله شروح كثيرة، انظرها في كشف الظنون ٥٦١.

(٣) الشفا هو كتاب ابن سينا الشهير المحتوي على كل مسائل الفلسفة، وقد طبع في عدة أجزاء بالقاهرة.

والترهيب »[1] و « كالكشاف »[2] و « البيضاوي »[3] وحواشيها ، و « الجلالين »[4] و « كألفية الحديث للعراقي »[5] وشروحها ،

---

(١) هو من تأليف الإمام المنذري (زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي) المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ، وهو كتاب كبير في مجلدين ، ذكر فيه ما تفرق من الكتب مقتصرا على ما ورد صريحاً في الترغيب والترهيب من أحاديث ثم يعزو الحديث إلى من رواه من أصحاب الكتب الصحيحة في السنة ، وهناك كتاب آخر في هذا الموضوع للحافظ قوام السنة أبي القاسم الأصبهاني ،

انظر كشف الظنون ٤٠٠ .

(٢) هو كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل المعروف بالكشاف للعلامة جار الله الزمخشري وهو أشهر من أن يعرف به ، وقد طبع عدة طبعات ، وعلقت عليه تعليقات كثيرة وبخاصة لما يتضمنه من آراء المعتزلة .

(٣) هو كتاب أنوار التنزيل وأسرار التأويل في التفسير للقاضي العلامة العلامة ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي المتوفى بتبريز سنة ٦٨٥ هـ .

وكتابه هذا لخص فيه من الكشاف ما يتعلق بالاعراب والمعاني والبيان ، ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام ، ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات وضم إليه ما ارتآه هو من الوجوه المعقولة والتصرفات المقبولة .

ولقد رزق هذا الكتاب حسن القبول عند جمهور العلماء فعكفوا عليه بالدرس والتحشية ، فمنهم من علق على سورة منه ومنهم من علق عليه بتمامه .

انظر بيان هذه الشروح والتعليقات في كشف الظنون ١٨٦ .

(٤) تفسير بدأه الشيخ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي المتوفى سنة ٨٦٤ هـ ، ولما مات أكمله الشيخ جلال السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ ،

انظر كشف الظنون ٤٤٥ .

(٥) هو زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة ٨٠٦ هـ ، وألفيته هذه لخص فيها كتاب علوم الحديث لابن الصلاح ، ثم شرحها بشرح سماه فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ، كما شرحها الكثير من العلماء منهم السيوطي وزين الدين العيني وابن جماعة والخيضري والسخاوي وغيرهم .

انظر كشف الظنون ١٥٦ .

و « كالمواقف »[1] و « التلويح »[2] و « المطالع »[3] وما يتعلق بها من الشروح والحواشي، و« شرح العقائد للسعد » وحواشيه[4]، و « عقائد السنوسي »[5] وشروحها، و « كالمنار »[6] وشروحه ومختصراته، و « كالقدوري »[7] والكنز وشروحها، و « الهداية » وشروحها[8]، لا سيا لابن الهمام، و « المجمع » وشروحه وحواشيه[17]، و « درر البحار »

---

(١) المواقف.

(٢) اسمه التلويح في كشف حقائق التنقيح للشيخ سعد الدين التفتازاني، والتنقيح في الأصول من تأليف العلامة صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود المحبوبي البخاري الحنفي المتوفى سنة ٧٤٧، وشرح التفتازاني له اعتني به كثير من العلماء بالتعليق عليه،
انظر كشف الظنون ٤٩٦.

(٣) المطالع.

(٤)

(٥) وتسمى أم البراهين في العقائد، للشيخ الإمام محمد بن يوسف السنوسي المتوفى سنة ٨٩٥ هـ، كتاب مختصر محتو على جميع عقائد التوحيد، وله شروح عديدة،
انظرها في كشف الظنون ١٧٠.

(٦) هو مختصر القدوري في فروع الحنفية للإمام أبي الحسين أحمد بن محمد القدوري البغدادي الحنفي المتوفى سنة ٤٢٨ هـ، ويطلق عليه اسم الكتاب في المذهب تشبيهاً له بكتاب سيبويه، وهو متن قيم متداول بين الأئمة الأعيان وبلغ من شهرته والتبرك به أن الحنفية يتبركون بقراءته في الشدائد ويعتقدون أن قراءته تجلب الغنى، وله شروح كثيرة،
انظر في كشف الظنون ١٦٣١.

(٧) سبقت الإشارة إلى الكنز والهداية فيما مر من تعليقات.

(٨) هو كتاب مجمع البحرين وملتقى النهرين في فروع الحنفية للإمام مظفر الدين أحمد بن علي بن ثعلب المعروف بابن الساعاتي المتوفى سنة ٦٩٤ هـ، جمع فيه مسائل القدوري والمنظومة مع زيادات ورتبه فأحسن ترتيبه، وهو يوصف بأنه جم الفضائل بحر المسائل، وقد شرحه المؤلف شرحين كبيرين كما أكثر العلماء بعده من شرحه والتعليق عليه
انظر كشف الظنون ١٦٠٠.

وشرحه[1] ، و« الخلاصة » و« الفتاوى »[2] ، و« التجنيس والمزيد » وشروحها[3] ، و« كالمفتاح » وشرحيه للسعد والسيد، وتلخيصه وشرحيه للسعد، وحواشي كلٍّ وتعليقاتِ وبقية كتب الإمامين المذكورين[4] ، وكسائر كتب العلامة ابن هشام لا سيما مُغْنيه وتَوْضيحِه

(١) درر البحار في الفروع للشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن الياس القونوي الدمشقي الحنفي المتوفى سنة ٧٨٨، وهو متن مشهور مختصر ذكر فيه أنه جمع بين مجمع البحرين وبين مذهب ابن حنبل والشافعي ومالك، وله شروح كثيرة للعيني وابن وهبان وشمس الدين البخاري وابن خضر وابن قطلوبغا،

انظر كشف الظنون ٧٤٦.

(٢) خلاصة الفتاوى كتاب للشيخ الإمام طاهر بن أحمد بن عبد الرشيد البخاري المتوفى سنة ٥٤٢ هـ، وهو كتاب مشهور معتمد في فقه الحنفية ذكر في أوله أنه كتب هذا الفن خزانة للواقعات وكتاب النصاب فسأل بعض إخوانه تلخيص نسخة قصيرة يمكن ضبطها فكتب الخلاصة جامعة للرواية خالية عن الزوائد مع بيان مواضع المسائل، وكتب فهرست الفصول والأجناس على رأس كل كتاب ليكون عوناً لمن ابتلى بالفتوى، وللزيلعي مؤلف في تخريج أحاديثه،

انظر كشف الظنون ٧١٨.

(٣) التجنيس والمزيد وهو لأهل الفتوى غير عتيد، في الفتاوى للإمام برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني الحنفي المتوفى ٥٩٣ هـ، وذكر فيه أن الشيخ الصدر الأجل حسام الدين أورد المسائل مهذبة في تصنيف وذكر لها الدلائل، ورتب الكتب دون المسائل، ولم يتيسر له الختام فشرع في إتمامه وتحسين نظامه، ويتضمن الكتاب ما استنبطه المتأخرون ولم ينص عليه المتقدمون إلا ما شذ عنهم في الرواية.

انظر كشف الظنون ٣٥٢.

(٤) هو كتاب مفتاح العلوم للعلامة سراج الدين أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ، وقد ضمنه أنواع الأدب وما يتعلق به دون علم اللغة، فأودعه علم الصرف بتمامه ثم علم الاشتقاق والنحو ثم علمي البيان والمعاني وضم إليها علمي العروض والقوافي، وقد اهتم الفضلاء والعلماء بشرحه وتلخيصه، ومن هذه الشروح ما شرح الكتاب بأكمله كما فعل المولى حسام الدين المؤذني الخوارزمي، ومنها ما شرح القسم الثالث فقط وأجود هذه الشروح شرح العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني المتوفى سنة ٧٨٩ هـ، =

وشَرْحِه للشيخ خالد[1] ، وبقية كتب الشيخ خالد[2] ، والخلاصة وشواهدها وشروحها[3] ، والكافية وشروحها ، وخصوصاً الرضي والمتوسط ومنلا جامي[4] ، وكالشاطبية وشروحها[5] ، ومؤلفات ابن

وشرح العلامة السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ ، كما لخص هذا القسم عدد من العلماء ومن أشهر هذه الملخصات تلخيص جلال الدين محمد بن عمر القزويني الشافعي ، المتوفى سنة ٧٣٩ هـ وسماه تلخيص المفتاح ، انظر كشف الظنون ١٧٦٢ - ١٧٦٨ وفيه الكلام مستوفى عن شروح الكتاب وحواشيه ، وانظر في مؤلفات السعد التفتازاني والسيد الشريف معجم المؤلفين.

(١) كتاب المغني لابن هشام ويسمى مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، وقد شرح فيه حروف المعاني مرتبة على حروف المعجم مثل ألا وأما وبلى الخ وإعرابها وعملها ، وهو كتاب جم الإفادة وقد طبع مراراً ، أما التوضيح فهو شرحه على ألفية ابن مالك ويسمى أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، وهو كتاب شهير سيار ، وقد شرحه الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري في كتابه المعروف بالتصريح.

(٢) انظر معجم المؤلفين ، وهو يدل فيه على كتب الشيخ خالد بذكر وجودها في المراجع الأخرى ، مثل كشف الظنون وذيله.

(٣) الخلاصة في النحو أو ما اشتهر بألفية ابن مالك ، للعلامة جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الطائي الجياني المعروف بابن مالك ، المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ، وقد شرحت مراراً وأحسن شروحها شرح ابنه بدر الدين ، قال الصفدي: لم يشرح الخلاصة أحسن ولا أسد ولا أجزل منه على كثرة شروحها ، وهناك سبع حواش على هذا الشرح.

(٤) الكافية تأليف مختصر في النحو للشيخ جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ هـ ، وقد حاز هذا المؤلف شهرة عظيمة ، جعل الكثير من العلماء يتناولونه بالشرح والتعليق والتحشية ، ومن أشهر شروحه شرح الشيخ رضي الدين الاستراباذي النحوي ، قال عنه السيوطي لم يؤلف عليها أي الكافية بل ولا على غالب كتب النحو مثله جمعاً وتحقيقاً فتداوله الناس واعتمدوا عليه ، أما الشرح المتوسط ويسمى أيضاً بالبسيط فهو لركن الدين حسن بن محمد الاستراباذي وهو شرح متداول ، ثم هناك شرح للمنلا نور الدين عبد الرحمن بن أحمد نور الدين الجامي المتوفى سنة ٨٩٨ ، وقد لخص في شرحه هذا ما في شروح الكافية من الفوائد على أحسن الوجوه وأكملها وزاد عليها من عنده ويسمى الفوائد الضيائية ، انظر كشف الظنون ١٣٧٠ - ١٣٧٢ .

(٥) الشاطبية نسبة إلى مؤلفها الشيخ أبي محمد القاسم بن فيره الشاطبي المتوفى بالقاهرة سنة

الجوزي[1] ، وكرسالة القشيري[2] ، و« التنوير »[3] و« الحكم » واللطائف » والثلاثة لابن عطاء الله، ومؤلفات إمام المسلكين وآخر المجتهدين مولانا الشيخ عبد الوهاب الشعراوي، وغير ذلك، وقد آذن أن يفيد ذلك كله وأن يروي عنه جُلّه وقُلّه، وكذا سائر ما يجوز له وعنه روايته، وتحوير درايته، وتحيط به ولايته، من مقرؤ ومسموع، ومفرد ومجموع، ومنظوم ومنثور، ومنقول ومأثور، ومقسوم ومسبور ونقل وتصنيف، وجمع وتأليف، واختيار وانتخاب، وسؤال وجواب، وثوقاً بكمال أهليته، واعتماداً على تمام تمكنه، وصدق فضيلته، والله عزَّ وجل يُديم عكوفَ همته في محاريب العلوم، وشفوف فكرته عن أعاجيب الفهوم، وأما مشائخه الكرام، وأساتذته الفخام، فأقوامٌ يزيدون عن

= ٥٩٠ هـ، أما اسمها فهو حرز الأماني ووجه التهاني، وهي منظومة في القراءات السبع عدة أبياتها ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتاً، وقد أبدع صاحبها فيها كل الابداع فصار عمدة الفن، ولها شروح وتعليقات كثيرة

انظر بيانها في كشف الظنون ٦٤٦ وما بعدها.

(١) مؤلفات ابن الجوزي كثيرة متعددة، مما جعل بعض العلماء وهو الاستاذ عبد الحميد العلوجي يفرد لها مؤلفاً خاصاً، طبع في بغداد.

(٢) هي الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى ٤٦٥ هـ في التصوف وتراجم رجاله وأحوالهم.

انظر كشف الظنون ٨٨٢.

(٣) هو كتاب التنوير في إسقاط التدبير للشيخ تاج الدين أحمد بن محمد المعروف بابن عطاء الله السكندري المتوفى سنة ٧٠٩ هـ، ألفه بمكة المكرمة ثم استدرك عليه بدمشق وزاد فيه كلمات من حيث الورود، قال: إذا طالعه المريد الصادق عرف أن المتلوث لا يصلح للحضرة القدسية، كشف الظنون ٥٠٢، ثم كتاب الحكم العطائية له أيضاً هو حكم منثورة على لسان أهل الطريقة (كشف ٦٧٥)، وكتاب اللطائف ويسمى لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن أي أبي العباس المرسي وأبي الحسن الشاذلي، (كشف ١٥٥٤).

الحصر ويزينون الدهر والعصر، فمنهم نادرة الدنيا، وراقي الذروة العليا، عالم الربع المسكون وآية الله الباهرة في جميع الفنون، الإمام الأوحد محمد المَغُوشي[1]، عرض عليه محفوظاته وأجازه ونال من بركاته.

ومنهم العلامة الأعلم، وَالمجتهد الأعظم، والقطب الأكبر، والعارف الأفخم الأفخر، مولانا الشيخ أبو الحسن البكري الصِّدِّيقي رضي الله تعالى عنه، تلقّن عليه كلمة التوحيد، وتحلَّى بِدُرِّه الفريد.

ومنهم العَلَم الفرد في تحقيق العلوم وتقريرها، والأوحد في تعليم الرسوم وتحبيرها، ذو الذهن الذهين في بيان العبارات وحل رموزها، والفكر المبين في فكّ طِلَّسْماتها وفتح كنوزها، العلامة الناصر اللقَّاني، لازمه دهوراً، وصار باجتماعه عليه عَضْباً مشحوذاً وسيفاً مشهوراً.

ومنهم عالم الإسلام، وولي الملك العَلَّام[2]، صاحب الكمالات العلمية والعملية، وجامع الإفضالات الوهبية والكسبية، ذو المعلومات الغزيرة، والكرامات الشهيرة، مولانا الشيخ ناصر الدين محمد الطَّبْلاوي[3]، أكثر

---

(١) هو محمد بن محمد الكرمي، التونسي، المالكي، الملقب بمغوش، شيخ الإسلام شمس الدين، تولى قضاء الجند بتونس، ورحل إلى القسطنطينية وأقام مدة في حلب وطرابلس ودمشق، وقرأ عليه بعض علمائها، ثم استقر بالقاهرة وبها توفي عام ٩٤٧ هـ.

من مؤلفاته: أمال على شرح الشاطبية للجعبري.

أنظر الأعلام ٧/ ٢٨٥، معجم المؤلفين ١١/ ٢٦١.

(٢) في ب: السلام.

(٣) هو محمد بن سالم بن علي الطبلاوي، نسبة إلى قرية طبلية من محافظة المنوفية بمصر، مفسر، فقيه، أصولي، محدث، صوفي، طبيب، توفي سنة ٩٦٦ هـ.

من مؤلفاته: شرح الحادي الصغير للقزويني في فروع الفقه، وبداية القاري في ختم صحيح البخاري، ومرشدة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين.

الكواكب السائرة ٢/ ٣٣.

ما أخذ عنه في التجويد والعلوم الخادمة للقرآن المجيد.

ومنهم فرع دوحة النبوّة الجامع من لطف الأبحاث واستحضار القواعد بين الدّقة والقوة، ذو المنهج السويّ والمنهل الروي، مولانا السيد عيسى الصَّفوي.

ومنهم آخر أئمة الحديث الشريف وواسطة عقد الشرف المنيف، سيد العلماء، وجمال الأولياء، مولانا السيد الشريف يوسف الأرميوني الشافعي الأزهري[1].

ومنهم شافعي الوقت والسالك على قدم السلف الصالح في العلم والسمت، حامل لواء المذهب المطّلبي على كاهله، والمنفق في تهذيب الفقه وتنقيحه نفيس بكره وأصائِله، إمام الفنين الفرعي والأصلي مولانا الشيخ شهاب الدين أحمد الرملي[2]، قرأ عليه مختصر ابن الحاجب للإمام الأوحد القاضي عضد الدين من باب القياس إلى آخر الكتاب، قراءة أصغيت إليها أسماع الدهر، وفاح طيبها كلطائم المسك وكائم الزهر.

---

(١) هو يوسف بن عبد الله بن سعيد الحسيني الأرميوني، المصري الشافعي، جمال الدين، مفسر، مجود للقرآن، مؤرخ، محدث، من أهل أرميون من محافظة الغربية، تتلمذ للجلال السيوطي.

من مؤلفاته: تحفة الأساطين في أخبار بعض الخلفاء والسلاطين، أربعون حديثاً تتعلق بسورة الإخلاص، أربعون حديثاً في آية الكرسي... الخ.

انظر هدية العارفين ٢/ ٥٦٤، الأعلام ٩/ ٣١٨.

(٢) هو أحمد بن أحمد بن حمزة الرملي الأنصاري الشافعي، شهاب الدين أبو العباس، فقيه من تلامذة الشيخ زكريا الأنصاري، توفي سنة ٩٧١ هـ.

من مؤلفاته: رسالة في شروط الإمامة، شرح منظومة البيضاوي، شرح الزبد لابن رسلان، وفتاوى.

انظر شذرات الذهب ٨/ ٣٥٩.

ومنهم العالم الوليّ، ذو السرّ الخفي، والفضل الجليّ، والمعارف الظاهرة، والأحوال الباهرة، الشيخ شهاب الدين أحمد البُلْقِيني الشافعي[1].

ومنهم واحد المجتهدين، وإمام العلماء والصالحين العاملين، وتاج الأصفياء والعارفين، ذو الكرامات الساطعة البارعة، والمؤلفات النافعة الجامعة، مولانا الشيخ عبد الوهاب الشعراوي[2]، تلقَّن عليه الذكر، وأمده في الجهر والسر.

ومنهم القطب الغوثي ذو الفيض الغيثي، والعز الليثي، مولانا الشيخ أبو العباس الحريثي[3]، تلقن عليه كلمة الإخلاص، نال منه يد

---

(١) هو أحمد بن أبي بكر بن رسلان بن نصير البلقيني، الحلي، شهاب الدين، عالم فقيه، ولد ببلقينة بمصر وتولى قضاء المحلة، وتوفى بها عام ٨٤٤ هـ.

من مؤلفاته: كتاب في الفرائض يسمى الروضة الأريضة في قسم الفريضة.

انظر الضوء اللامع ١/ ٢٥٣.

(٢) هو سيدي عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي نسبة إلى محمد بن الحنفية، الشعراني أو الشعراوي نسبة إلى قرية أبي شعرة من قرى المنوفية، عالم من المتصوفة المشاهير فقيه على مذهب الشافعية، وأصولي ومحدث، ومشارك في أنواع العلوم، توفى بالقاهرة سنة ٩٧٣ هـ، وقبره بها معروف يزار.

من مصنفاته الكثيرة: الجوهر المصون والسر المرقوم فيا تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم، الدرر المنثورة في زبد العلوم المشهورة، ولواقح الأنوار في طبقات الأخيار... الخ.

انظر شذرات الذهب ٨/ ٣٧٢، وانظر الأعلام ٤/ ٣٣١ والمراجع فيه.

(٣) في الأصل: الحربي تصحيف، وهو أبو العباس الحريثي المصري، نشأ في العبادة والاشتغال بالعلم وقرأ القرآن بالسبع، ثم خدم سيدي محمد بن عفان وأخذ عنه الطريق وزوجه بابنته، دعا إلى طريق الله تعالى ولقن نحو عشرة آلاف مريد، ومع ذلك فقد أثر عنه أنه قال حين وفاته، خرجنا من الدنيا ولم يصح معنا صاحب في الطريق، وله كرامات كثيرة، توفى سنة ٩٤٥ هـ ودفن بدمياط.

انظر شذرات الذهب ٨/ ٢٦١.

الاختصاص، وبشره في البداية بما آل إليه أمره من رياسة العلم ونفاسة الفتوى والحلم.

ومنهم أستاذه الذي كثر به اجتماعه، وعظم به انتفاعه، رئيس الحنفية في عصره، والمراقب لله في سره وجهره، الشيخ الإمام محمد البرهمتوشي[1].

ومنهم جمال أصحاب التحقيق وكمال أرباب التدقيق، من أشبه المتقدمين عبادة وعلماً، وأوسع للمتعلمين إفادة وحلماً ذو الفضل النامي، والقدر السامي، الشيخ جمال الدين الشامي[2].

ومنهم ذو الطوية السنيّة، والأخلاق الرضية، عين الأعيان، مفتي مذهب نعمان الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشلبي.

ومنهم ذو الهمة الطائلة، والسجية الفاضلة، شيخ محققي مذهب الحنابلة، الشيخ شهاب الدين أحمد بن النجار[3]رضي الله تعالى عنهم، ونفعنا بما لديهم، وقد أخذ مجموع ما تقدم عن مجموعهم، وتفجرت له أنهار المعارف من ينبوعهم، وأما تفصيل رواية كل عن كل وتحرير الجُلِّ من ذلك والقُلِّ، فهو يُطلب من النسخة التي إن شاء الله عزّ وجل جامعُها

---

(١) في ب: البرهتوفي، ولم أعثر عليه.

(٢) هو حسن بن زيد الدين بن علي العاملي، الجبعي، الشهير بالشامي (جمال الدين، أبو منصور) فقيه، أصولي، محدث، أديب، شاعر، ولد سنة ٩٥٩ هـ، توفي سنة ١٠١١ هـ.

من مؤلفاته: منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان، معالم الدين وملاذ المجتهدين، ومشكاة القول السديد في الاجتهاد والتقليد، وديوان شعر.

انظر خلاصة الأثر ٢/ ٢١، هدية العارفين ١/ ٢٩٠.

(٣) هو قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي، المعروف بابن النجار، وقد سبقت ترجمته.

على اسمه، وواضعها على رسمه، يسرّ الله تعالى ذلك وسلك بنا أجمل المسالك، ونفعنا بالعلم والتقوى، وحمانا من المحن والبلوى، وحفظنا في السر والعلن والنجوى، إنه ولي التوفيق، والهادي إلى سواء الطريق، وصلى الله على سيدنا محمد أشرف المرسلين، وحبيب رب العالمين، سيدنا ومولانا محمد على آله وصحبه وقومه وحزبه.

وقد حصل التلفظ بالإجازة الشريفة والإذن الشريف في اليوم المبارك المنيف التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول، من سنة ثمان وتسعين وتسعمائة، بحضور من سيرقم خطه، ويرسم قطه، من أصحاب مولانا المُجِبِّين، وتلامذته وأسرته وملازمي حضرته، وكتب أقل خُدّام العلّامة المجيز، وهو العبد المقصر المستغفر يحي بن محمد بن أحمد الأصيلي الشافعي[1]، غفر الله ذنوبه، وستر عيوبه، وحقّق مرغوبه، وأنجز مطلوبه، والحمد لله رب العالمين، هذا وقد طويتُ ذكر ما رسمه كلٌّ من أولئك الأعلام، ورسمه على هذا الثبت من الأقلام، من تلامذة الأستاذ شيخ الإسلام ليُسار الأصل على فروعه، واكتفاء عن التابع بمتبوعه، سوى ذكر ناظم عقودها الصناعية، وراقم حبر برودها الصنعانية، أفضل أصحابه وزين أحبابه، ذي الأدب الفائق، والنظم الرائق، المتحلي بحلة المجد الأثيلي، الشيخ يحيى بن محمد بن أحمد الأصيلي الذي حسَّن الله تعالى خُلُقه، كما حسَّن خَلْقه.

فلما كتب إليّ بالقاهرة المعزيّة وأنا بالمحكمة الصالحيّة، نائب الحكم

---

(١) هو يحيى بن محمد بن محمد بن أحمد الأصيلي (شرف الدين) ناظم، ولد ونشأ في دمياط بمصر، وانتقل إلى القاهرة، وتوفي بمكة حاجاً سنة ١٠١١ هـ.
انظر الأعلام ٩/ ٢١٤.

الشريف، والشرع المنيف، فشنف بالأسماع والآذان، حتى خِلتُه بالوليد ينشد الفتح بن خاقان[1]، وهي قوله:

إن نَضَوْا سيف هَجْرِهِمْ أو صَالُوا ... قُطِّعتْ من قُلوبنا أوصالُ

جيزةٌ ما سَرَوْا بقلبيَ إلّا ... وضُلُوعي لبينِهم أطلالُ

لي فيهم غزالُ أنسٍ غدا يَنْـ ... ـفِرُ لا يَحْكِي[2] حُلاهُ إلّا الغزالُ

لحياتي مِنْ فِيهِ مَغْسولُ ريقٍ ... ولِقَتْلي من قَدِّه عَسَّال[3]

مِثلُ كاسِ العقيقِ مُحمَرٌّ فِيهِ ... ولَمَاهُ السُّلافةُ الجِرْيَالُ[4]

طَبَخَتْها نارُ الخدودِ فأضحى ... خمرُها الخمرُ وهي بعدُ حَلَالُ

لَامَني في هواه عُصْبةُ لَوْمٍ ... أثقلتْ كاهلي لهم أقوالُ

قَصَّرُوا في مَلَامتي مثل ما ... قَصَّر نَظْمِي عن وصف فضل بان طالو[5]

حاكمٌ من سَجْلِهِ روضُ زَهرٍ ... جادَهُ من نداه سُحْبٌ سِجَالُ

رُبَّ عرضٍ[6] له البراءةُ من سُو ... ءٍ وجُودٍ سَمَت له أنفالُ

ما له في العلا ولا العلم مِثْلٌ ... وبعُلياه تضربُ الأمثالُ

---

(١) يعني بالوليد: البحتري الشاعر المشهور، واسمه الوليد بن عبيد، وكان كثيراً ما يمدح الفتح بن خاقان القائد الذي كان أثيراً لدى الخليفة المتوكل العباسي، وقتل معه سنة ٢٤٧ هـ.

انظر معجم الأدباء ١٦/ ١٧٤.

(٢) في ب: لا يحاكى.

(٣) العسال: الرمح: إذا اضطرب واهتز للينه.

(٤) الجريال: صبغ أحمر شبه به شفتاه.

(٥) في ب: لأفضل.

(٦) في ب: بعرض.

ذو المزايا إرثاً وكسباً فمن كـ ـلٍّ النواحي أفضى لـه إفْضَالُ
صِيغَ من جوهر نفيسٍ وإن كا ن الورى أصلُ صَوْغِهم صَلْصَالُ
مْ بعلمٍ منه وعزمٍ عن الشَّرْ ع بـــــدادُ الأهواءِ والأهوالُ
يجمع الصنع مثل ما يجمع الرأ ي فمنـــــه الإجماعُ والإجمالُ
جاد بالدُّرِّ لفظهُ جودَ من لم يـكُ يومـاً يُخشى لـه إقلالُ
من سَراةٍ في سَرْحَةِ المجد أو في حضرات العلوم نالوا[1] وقالوا
هم أناسٌ صينتْ نهاهم ومِنْ فيْـ ـض لَهَاهُمْ كم شُرِّدتْ أموالُ
مُشْبِعُو الخُمْص حيثُ قُصَّادُهُمْ كالطـير يتلُو أرسالُها الأرسالُ
مكرمُو الضيف ضاربُو السيف فالد هرُ لديْهم نزالِ أو إنْزالُ
نَعَمٌ منهمُ قلائـــــدُ حَلْيٍ لمطيـــع وللعِـــدَى أغْـــلالُ
فهُم الأسرة السُّراة المساميـ ـحُ الميامـينُ الفِتْيـةُ الأبطـالُ
رُقِمَتْ من أصُولِهِ نُسْخَة الفضـ ـل ومنـــه تَمَامُهـــا والكمالُ
كـلُّ أرض يحلُّها حُلَّها الخِصْـ ـبُ فألْفِي مِحَالُهـا لا محـالُ
مْ بلقيـاهُ بَــدَا لي ابْتِهَـاجٌ ولـكم لي من الدعـاء ابتهالُ
مْ توالتْ من الأصيليِّ بالأمْـ ـداح فيـه الأبكـارُ والآصالُ
مْ لمصرٍ لــه تطـاولَ شَوقٌ[2] وَسَمَـــتْ نحوه لهـا الآمـالُ
وإليــه رَنَـتْ ولا غرو أن يَرْ قُـب شوقـاً إلى سَنَاهُ الهـلالُ
بمقــام منـــه تسامــت مقامـا وزكـتْ بالحلولِ منـه الحـلالُ[3]

(١) في ب: قال.
(٢) في ب: كم لمصر تطاول شوقاً.
(٣) الحلال: جمع حلة، وهي منزل القوم.

فلربي[1] المهيمن الحمد والشكـ ـر بلقيا عُلاه والإفضالُ
ثم لا زال السعد والرشد خداً م علاه والنُّجْح والإقبالُ
لابس الحمد حلةً مُنْضِياً إن جاء مِنّي لبابِه أسْمَالُ
بالنبي الذي زكا منه فرعٌ ونَجَارٌ وعزٌّ[2] صحبٌ وآلُ

★ ★ ★

وقد أتينا على تراجم من رأينا من العلماء والعظام، والفضلاء الفخام، لنف الآن بما وعدناه أواخر التراجم أسلفناه من إيراد تقاريظهم الحسنة، ومعاريض كلماتهم المستحسنة، على رسالة النسب الطالوي، وعجالة الحسب الأرتقي، التي بدائع فِقَرها تُخجل عقود الجمان، وروائع دررها تزري بلآلي المرجان:

فِقَرٌ لم يزلْ فقيرٌ إليها كلُّ مبدي فصاحَة ومُعيد

فلو رآها الثعالبي في علوِّ قدره، لسلا عن يتيمة دهره، أو العماد الكاتب على حسن شذره، لرمى بخريدة قصره، مد اللهُ تعالى ظِلالهم، ومتّع بهم بُكَرهم وآصالهم[3].

صورة

---

(١) في ب: فلزين.
(٢) في ب: وعن.
(٣) في ب: بكورهم وآمالهم.

ما كتب به شيخ الإسلام، عمدة فضلاء الأنام، من لا تفي بصفاته قوة حَدْسِي، عليٌّ ابن غانم المقدسي:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعدُ حمدِ الله الذي فضل أهل الأدب، وفاوت بينهم في المقامات والرُّتب، والصلاة التامة والسلامُ المتناسب، على سيدنا محمد المصطفى أفضل العَجَم والعرب، وأفصح من نطق بالصواب وخطب، النبي الأمي الذي حاز من الفصاحة والبلاغة ما أفحم كل من قرأ وكتب، وعلى آله وأصحابه الذين نالوا بالانتماء إليه وصحبته أشرف النسب، وبعد، فقد وقفت على هذه الرسالة المخبرة عن الأمراء من آل طالو بالعظمة والجلالة، فوجدتها أكرم حديقة، وأنضر روضة فائقة أنيقة، بل غادة حَلْيُها زهر الآداب، وعقيان عقدها قلائد أعناق الكواعب الأتراب، بين فقر تتبرّج غوانيها، ويتحرج الذوق إذا خامرته راحُ الطرب من أصوات أغانيها:

فِقَرٌ لم يَزَلْ فقيراً إليها | كلُّ مُبْدِي فصاحةٍ ومُعيدُ
يغتدي البارعُ المفيدُ لديها | لاحقاً بالمُقَصِّرِ والمُسْتفيدُ

وأبيات حُور المعاني مقصورات في خيامها، ورونق الحسن محصور بين حروفها الزاهية وكلامها، وذلك بما اشتملت عليه ألطافها، وتوشحت به أعطافها، بذكر من بذكره تتزين المحاضر، ذو الأصل الطاهر، والفضل الباهر، عمدة الموالي والأهالي، درويش محمد أبو المعالي، تالله لقد سمعنا من جواهر كلمه شيئاً كثيراً، وجمعنا من نوادر حكمه درًّا نثيراً، وجلا علينا من عرائس، نظمه ونثره ما ارتوى منه رواة أهل عصره من أدباء شامه ومصره، وقلت ملتمساً من فضله لستره:

أيا فخرَ الموالي حُزْت فَضْلًا | علوتَ به عُلُوًّا لا يُبارى

هـــذا لقَّبُوك أبـــا المعـــالي لأنـــك قـد رَفَعْـتَ بها منـارا
ونظمُـك فاق نَظْم النجم عُلْواً ونـــثْرُك للثريَّـا صـار جـارا
وكفُّـــك بحرُ أفضـــالٍ وجُود وصــدرُك بحر عـلـم لايُجَـارى
وقلـتُ مقصِّراً في نجـل طَالُو مقـــالاً لا يُشَكُّ ولا يُمَـــارى
لقـد لبستْ بك الدنيا جَـمَالاً فلو كانـت يـداً كنـتَ السِّوارا

فالله المسؤول أن يمنحه المزيدَ، ويديم له التوفيق والتسديد، ويحرسه من أعين الحُسَّاد فيما يبديه.

وكتب العبد الضعيف المفتقر إلى عفو الملك اللطيف عليُّ بن محمد بن علي الشهير بن غانم الخزرجيّ الحنفي عفا الله تعالى عنه، وعن والديه وإخوانه ومشائخه والمسلمين، في أوائل ربيع الثاني عام ثمان وتسعين وتسعمائة.، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

صورة

ما كتب من يليق أن تكتب عنه الليالي بِسَمِّ أقلامها ما يُمْلِي، شيخ الإسلام محمد الرملي.

الحمد لله الذي نوّر ضمائر المعتبرين بالعلم النافع، وزكى بصائر المهتدين بالحق الصادع، وحفظ أنساب من اختاره من خلقه بالقول القامع، والصلاة والسلام على نبيه محمد قائد الخير ونبيِّ الرحمة، منقذ الخلق وشفيع الأمة، وعلى آله وأصحابه السادة العظام، وعلى تابعيهم بإحسان وعلماء الإسلام، وبعد، فقد وقفتُ على هذه الرسالة البديعة المثال، العزيزة النَّوال، الدالّة على سعة إطلاع جامعها، وما اشتملت عليه من النظم الفائق، والجوهر الصادق، في وصف السادة الأكابر،

الحائزين للنسبة والمفاخر، لا سيا وهم عين هذا الزمان، والجوهرة الثمينة في هدا الأوان، جعل الله العلم والدولة في فروعهم، كما جعل ذلك في أصولهم، ونسأله تعالى في أن يخرق العادة بطول بقائهم، وأن يَمُنَّ عليهم بمزيد ارتقائهم، وأن يجمعنا في مستقر رحمته، في بحبوحة جنته، بتاريخ عاشر جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وتسعمائة.

كتبه فقير عفو ربّه، وأسير وصمة ذنبه، محمد بن أحمد الرملي الأنصاري الشافعي، حامداً ومصلياً ومسلماً، ومعلوم أن من كان متصفاً بهذه الأوصاف الرضية، والأخلاق المرضية أن ينعم عليه سلطان الإسلام، ماضي النقض والإبرام، بالمناصب السنية، والمراتب العلية، كتبه محمد الرملي الشافعي.

صورة

ما كتبه علامة عصره، وأديبُ مِصره، ذو الفضل الوافي، والأدب الصافي، سيدنا البدر القرافي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أنشأ الموجودات بباهر قدرته فأحكم الإنشاء، وبيده سبحانه أبدع من هذا الإنشاء إن شاء، وصلاة وسلاماً على أجلّ المخلوقات كما أنشا المبعوث من الله رحمة للعالمين وهداية من شاء، وعلى آله وصحبه الذين جاهدوا في الله حق جهاده فأكرمهم بشرفِ إنّ اللهَ اشْتَرى من المُؤمنين أنفسَهُم واموالَهُم بأنَّ لَهُم الجنّة فكانوا من السالكين في طريق الخيرات أحسن مَمْشى، وبعد، فإن نعم الله سبحانه لا تُحصى، وآلائه لا تُستقصى، أقام نظام العالم على أحسن ما رسم، وفاوت في القَسْم قسمةً حيَّرت العقول فيما نظم، قدّم أقواماً

قُوّاماً وأعلاماً أعلى ما[1]، وأخلص لهم السريرة، وأحسن لهم السيرة، وحَلّاهم بعلو الهمم، وسمو الشيم، وكان من تلك النعم الجسيمة، والإفضالات الوسيمة، والمِنَّة المستديمة، ما ابتهج به الناظر، وانتهج به الخاطر، من الوقوف على هذه السيرة الشريفة، وأخبار الأخيار المنيفة، سيرة مفاخر الأمراء الأعيان، والكبراء الأعزة أولي الشان، الجاري نشر محاسنهم بألسنة الأقلام وألسنة أولي البرهان، السَّاري ذكرُ مفاخرهم على مَرِّ الزمان، آل طالو[2] الأرتقيين، من تحلَّت تواريخ الإسلام بذكر محامدهم، وعلو شأنهم بغاية التبيان:

ومَرُّ دُهورٍ[3] بالثنـــاء علامــةٌ على حُسنِ ممدوحٍ ورفعةِ شانِهِ

أمرٌ انعقد عليه الإجماع، وعليه الوفاق بلا دفاع:

والناس أكيس من أن يبرزوا مدحـاً من غير أن يجدوا آثار أفضال

دلّ على شرف قدرهم، وجليل ذكرهم، وجميل فخرهم، نسلهم الطاهر، وعلمهم الظاهر، ذو المجد الزاهر، والفضل الباهي الباهر، والكمال الفاخر ولي التحقيق، ومعدن التدقيق، جامع الفضائل، حائز الفواضل:

كالبـدر من أين التفـتَّ رأيتَهُ يُهـدي إلى عينيك نوراً باهيا[4]

---

(١) في ب: أقواماً أقواما وأعلاماً أعلاما.
(٢) في ب: الطالوين.
(٣) في ب: دهر..
(٤) في ب: نور رباها، وسقطت كلمة أين من الشطر الأول.

مفاخره طاهرة، ومحاسنه باهرة:

عريـق في الكمال وقـد تولّى إلى نيـــل العلوم مـع المَزيـدِ
له سعدٌ بما أوتيهُ فضلا فواعجبـــاً لدرويشٍ سعيـــدِ

شجرة طيبة النماء، الأصل ثابت والفرع في السماء:

إن السَّرِيَّ إذا سَرى[1] فبنفسه وابن السَّرِيِّ إذا سرى أسراهما
فيـا آل طالو طابَ جَدٌّ بجدِّكم ويا خير نسل عاش من ذكرهم جَدُّ
حويْتُمْ جيـلا أنتج الدهر صدقَهُ بنسلٍ جليـل فيـه حمدٌ ولا حدُّ

فضلُ الله يؤتيه من يشاء، ويوليه من شاء[2]، مولانا درويش، ولما أحاط النظر بما اشتملت عليه هذه السيرة الجليلة من، الخلال الجميلة، والخيرات الجزيلة، والغزوات المشكورة، والمشاهد المشهورة، والعزمات المبرورة، والمقاصد المأثورة، أنشد لسان الحال بالارتجال:

وهـــب الله للمعـــالي أنـــاس بذلوا عَزْمَهُم وجالُوا وصالُوا
وأقاموا لواءَ دينٍ بصـــــدقٍ وحَمَوْا مجده ففازوا ونالُوا
ورأوا عِزَّةً بنُصْرة دينٍ فـــــأروا قوةً وبأساً وجالُوا
وعلى من رأوه صاحبَ بَغْيٍ وجَّهوا عزمَهم إليـــــه ونالوا
أظهر الله حالهم وحباهم بثنـــــاء عبـــيره يُسْتطـــالُ
وأراهم في نسلهم خير حبر وبـــه ذكرهُم دوامـــاً يطـــالُ
جملةُ القول أنهم ذو عُلُوٍّ قـد حوى سُؤْدُداً فطابُوا وطالوا

(١) في ب: إذا يسري.
(٢) في ب: يشاء.

نعمة قد حلت وجلت، وزانت وزكت، فهي للأهالي غاية، وقد حصل التَّشَرّفُ بلقاء نسلهم هذا المولى الفاضل، وليّ الفضل الكامل، المومىء إليه فيه، أدام الله تعالى عزّة معاليه، وظهر من مجالسته، وفوائد مباحثته، ما يشهد الناظر بجماله، وليس الخاطر بكماله:

وأحرى بأن تزهى دمشق ببارع إذا عُدَّ في أسْدِ الشَّرى ربح الشَّرى

ولما علتْ مصر بمشاهدته، وغلت برؤيته، أنشد لسان حالها:

سعدتْ مصرُ إذا أتاها فريدٌ ليرى حُسْنَها وما قد أتاها
ولذا كان بين مصرٍ وشامٍ ما به النفسُ تبتغي مُشتهاها
أعملتْ مصرُ في تنازُعِ ثانٍ وبرجْحَانه مقالٌ تباهى

والحمد لله على ما أوْلى، وله الشكر في الآخرة والأُولَى:

والنفس ترغبُ في الكمال وأهله لِمَ لا وقد بلغ الكمالُ محلَّهُ

والله سبحانه يُديم هذا المولى لفوائد يبديها، وفرائدَ لأولي الكمالِ يُهديها، راقياً في رتب الإفادة، والفضائل المستجادة، رافلاً في حُلل العناية المزادة، بحرمة حضرة المصطفى وليِّ السيادة، وآله وصحبه ذوي السعادة:

وقاله البدر القرافِي المالكي المُرْتَجى لفيضِ فَضلِ المَالكِ
مُصَلِّيًا على النبيِّ المُصْطَفى مُسَلِّماً على جناب شَرُفَا
وتم هذا في جمادى الأولى في وَسَطٍ منه بحالٍ أوْلَى
عام ثمان بعد تسعين انقضتْ من بعد تسع من مئين قد جرتْ
من هجرة المبعوث للأنامِ ورحمةِ الله مدى الأيَّامِ

والحمدُ لله على ما أنعما في أولٍ وآخرٍ قد ختما

هذا ما نسختُه عوامل براعته، ونسجتْه أنامل يراعته، من حَبِيرِ كلام، كالرَّوض باكرَهُ الغَمام، ونثير نظام، توازنتْ أسجاعه ولا كسجع الحمام:

ففي كل سطر منه روض من المنى وفي كل حرف منه عقد من الدرّ(١)

وكم له إليّ من رقعة كحديقة خميلة، أو صفحةِ وَذِيلَه(٢)، كأنها في سماء الأدب بنات فخر، وُشِّحتْ من عقود بحر الترائب والنَّحْر، كأنَّ مدادها سواد العين في وسط صفائح العاج، أو صفائح اللُّجَيْن غالتْها منّى(٣) يد الضَّيَاع، وعلقت بها كَفٌّ خرقاءُ لاصناع(٤)، رعاها الله عاجلاً بالزّمانة والشلل، وجزاها جزاء الكلابِ العاوياتِ وقد فَعَل، فإن أظفرني الدهر يوماً بها أثبتُّها في هذا الجمع من محلها، وقد كنت كتبت إليه في بعض مكاتباته، وطارحتُه في جملة مطارحاته، قصيدة غراء، وفريدة زهراء، على قافية الفا، وأنا من السير على شفا، مستدعياً منه ما يرويه عن مشائخه الكرام، وأساتذته الفخام، من كل معقول ومنقول من ساير العلوم، وماله من منثور ومنظوم، سيما في الأدب وما ضاهاه من النظائر والأشباه، وغير ذلك ممن انتظم في هذا السلك، فإنه كان له كالمُلْك، وهي:

---

(١) أتى هذا البيت كلاماً نثريًا في نسخة ب.

(٢) الوذيلة: هي السبيكة من الفضة المجلوة خاصة.

(٣) في ب: من.

(٤) في ب: كف خرق إلا ضاع.

كيـف أرضى لُمهْجـتي بتــلافِ وهو لا يَرْتَضِي لهـا بِتَلَافِ[1]
شادنٌ من ظِبـــاء وجْرة ريمٌ ناعسُ الطَّرْف ناعمُ الأطرافِ
كم لَوى باللّوى عُهوديَ لمّـــا راحَ عن وصْـل حُبِّـه مُتجافِي
ظَبْي أُنْس يَرْعـى حُشاشة قلبٍ في هواه قــد آذنـتْ بتــلافي
بـتُّ منـه مُسَهّداً جُنْحَ ليـلٍ ناشراً طولَـه جَنَاح غُدَافِ[2]
خَـصَّ منــه قوادمَ النَّسْر لمـا مــدّ فيـــه غُرَابَــهُ بخوافي
وهو في الوكر واقـعٌ إن تراه قلـتَ في مهمـهٍ ثـلاثُ أثافي
فكـــأن الظــلام لُجَّــةَ بحرٍ مائرِ الموج دائِم التَّرجَـــافِ
وكـــأن المَجَرّ فيـــه خليـجٌ والـــدَّرَاري عليــه دُرٌّ طافِي
وكـــأن النجومَ عِقْـــدُ لآلٍ.. نُثِرَتْ في غدير مــاءٍ صــافي
وكـــأن الجوزاء فيـــه وشاحٌ والثُّريّـا عِقْـد بِجيـدِ صَوافِي
سأل النجم من دجاه عن البَدْ ر أيا ليـلُ ما لبَدْرِكَ خافي
قـال قد غاب خجلةً عندما لا حَ مُحيّـا بـدرِ العلوم القرافي
الإمـامُ الجليلُ مَنْ حَقٌّ أن ينـ ـقـل عنـه الخليـلُ علمَ الخلاف
من بـه مصر أشرقـت واستنـا ر الفسطاطُ منها وسائر الأكنافِ
مالكيٌّ لو أن أشهـبَ جـارا ه كَبَا دُونـه على الإيجافِ[3]
عـــالمٌ زانـــه التُّقـــى وكَسَا ه الحـلمُ ثَوْبَي صيانـةً وعفافِ
ثاقـبُ الفكر والرَّوِيَّـةِ والرأ ي حليفُ الندى أليفُ القوافي[4]

---

(١) في ب: وهي لا ترتضي له بتلاف.
(٢) الغداف: الغراب أسحم ضخم كبير الجناحين.
(٣) الإيجاف: الإسراع في الجري.
(٤) في ب: حليف القوافي.

قلت لما أتيتَ مصر وجاءتْ منــه نَحْوي كرائِمُ الألْطـافِ
دُمــت بــدراً بمصر تنشرُ علماً صِيتُـــــــه عَمَّ سائرَ الأطراف
فلــــذا يممــــتْ حماك قوافٍ عن سِناد عَرَتْ وعن إصْرافِ[1]
طـال ما استوطنت دمشق محلا بــين قصرٍ وروضة مئناف[2]
حيث تُجلى عرائسُ الدوح في جَنْـ ـبِ نَميـرٍ عليـه ظِـلٌّ ضَافِ
يــا سقاهــا دُنُوّ عهـديَ فيها ورَعَــى من بهــا لعهـديَ وافي
من أنـــاس حلّوا بقلـبي محلّاً بـين سَوْدَائِـهِ وبـين الشِّغَاف[3]
قصـــدتْ يمّــك الفراتَ فقلّــد جيدهــا من لآلىء الأصـداف[4]
وأجزهـــا روايـــة من علوم حزتهــا عن مشائـــخ أسلاف
لا أغبـت رباك سحب الغوادي وسقتْهــــا بوابــــل وكَّــافِ[5]
وكساهــا الربيــعُ خِلعــةَ وَشْي سندسيٍّ من بُرده الأفوافِ

صورة

ما رَقَمَهُ الفاضلُ العلّامة، والجِهْبَذُ الفهّامة، صاحبُ علمي المعاني والبيان، والمشار إليه فيهما بالبنان، شيخ الجامع الأزهر، ومصباحه المنير الأزهر، من نشأ في حجر العلوم وفي مهدها قد ربي، مولانا الشيخ

---

(١) السناد في القافية: اختلاف ما يراعى قبل الروي من الحروف والحركات، وهو من عيوب الشعر والاصراف: الكلمة المقولة في غير وجهها.
(٢) المئناف: الوارفة التي لم توطأ بالأرجل من قبل.
(٣) في ب: سور آية وبين الشغاف.
(٤) في ب: فقصدت.
(٥) في ب: وبكاف.

شحادة الحلبي[1]، أنار الله أروقة الأزهر بضياء غُرته، كما أشرقت أرجاؤه بشموس طلعته وهو.

الحمد لله الذي أبدع الموجودات، وبسط الأرض ورَفَعَ السموات، وفضّل بني آدم على غيرهم من المخلوقات، وخصّ بعضهم بعراقة النسب وجميل الصفات، والصلاة والسلام على المؤيَّدِ بالمُعجزات، وعلى آله وأصحابه الكرام أولي المفاخر والكرامات، وبعد، فقد وقفت على هذا المصنف المشتمل على ذكر نَسَب سيدنا ومولانا العالم المُحَقّق، والنّحرير المدقق، كَنْزُ الدقائق ومفتاح الحقائق، ذي الفضائل والفواضل، تذكره العلماء والرؤساء الأوائل، صاحب الأبحاث والمناظرات، والأجوبة المحققة في المحاورات، عين الأعيان، إنسانُ عين الزمان، سلالة السادة الكرام، وأعيان الأمراء العظام، من أكثر الناس من التصنيف في شرف نسبه وأطالوا، سيدنا ومولانا درويش جلبي الشهير بابن طالو، أدام الله رفعته وأعلى محلّه، وأسكنه في الدارين منازل الشرف وأحلّه، فوجدتُه خيرَ مصنف قد أطرب السمع بما حواه، وشنف من النثر الرائق، والنظم الفائق، في ذكر نسب قد علا مناراً، وشَرُف مقداراً، وطابت مآثره، وكثرت مفاخره، فلله دَرُّه من نسب رفيع، وأصل بديع، لا تُدرك آثاره، ولا يُلحق غباره، وكفاك دليلاً على صدق ما قيل للعين، إن لم تَرهمْ فهذه آثارهم، فينبغي لمولانا السلطان أدام الله أيامه، ونشر في الخافقين

---

(١) هو الشيخ شحادة بن إبراهيم الحلبي الشافعي، نزيل القاهرة، علامة المنقول والمعقول وشيخ أهل الفروع والأصول، كان شيخاً للجامع الأزهر، وأخذ عنه الكثير من العلماء كالشيخ إبراهيم المأموني والشهاب القليوبي والأديب درويش محمد الطالوي، وذكره في سانحاته وأثنى عليه، وقدره بين علماء القاهرة ممتاز مسلم. توفي سنة ١٠١٠ هـ.
خلاصة الأثر ٢/ ٣٢.

أعلامه، النظر إليه بعين العناية، ومعاملته بمزيد الرفق والرعاية، والإنعام عليه بما طلبه من المناصب وأراده، فإنه أهل لذلك وزيادة، هذا والمناصب تتشرف بتولية مثل هذا النَّسِيب، والمراتب تفتخر بجلوس مثل هذا اللبيب، والعبارات تقصر عن استيعاب مفاخره، واللسان يكلُّ عن تعديد مآثره، وبالجملة هو مجمع[1] الفضائِل، ومفخر الأفاضل، نسأل الله العظيم أن يديم له البقاء، وأن يسلكَ به منازلَ العز والارتقاء، وأن يمنَّ علينا وعليه بالجنة، من غير عذاب ولا مِحنة، والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، قال ذلك وزيره: الفقير محمد المدعو بشحادة الحلبي خادم الفقراء بالجامع الأزهر المعمور بذكر الله تعالى، في سابع عشر جمادى الأولى من شهور سنة ثمان وتسعين وتسعمائة من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، ما توالت به الدهور والأعوام.

(صورة)

صور الأرقام الإلهيّة، والنقوش الذهنية العلميّة، الصادرة عن مصدر الكمالات العرفانية، ومظهر الكرامات الإنسانية، قطب دائرة الولاية المحمدية، مركز إحاطة الأسرار اللَّدُنّية، غيث العلماء غوث العالمين، شيخ الحقائق الإمام زين العابدين، لا برح ظله الوارف بالمعارف ممدوداً، ومنهله الذارف بالعوارف مورداً، ما حفظ العباد غَوْثُ وَلِيّ، وخفض البلاد غيثٌ وَلِيّ[2]، وهو

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد للهِ الذي اصطفى نسب نبيه محمد صلى

---

(١) في ب: وبالجملة فهو من مجمع.

(٢) غوث ولي: أي استغاثة ولي الله ودعاؤه بالرحمة لعباده، وغيث ولي: أي مطر متتابع.

الله عليه وسلم على كل نسب، وزكيّ جُرثومة أرُومة حَسَبه على كل حسب، وشرف بولادة ذاته العظمى، وظهور مجده العلي الأحمى، سائر قبائل العرب، وأشهد أن لا إلاه إلا الله وحده لا شريك له، الذي عظّم مقدار أهل الأدب، وجعل جيوش المعاني والأسرار تنسل إلى ملوك الأفكار من كل حدب، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الذي جاز بالله وحاز أعلى الرتب، ورفع ذكره وأعلى قدره، حتى لاسمه على عرشه كتب، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه، الذين قاموا في خدمته وطاعته ودعائه وعبادته في الرَّغَب والرهَب، فكانوا أجلَّ حزب ألقى سُلَّم التسليم في سَهْلٍ وحَزْن وحَرَب، فانتصر جند جيشهم على جُند الأغيار وغَلَب، ما جرّ رداء النسيم على عذبات روض وسيم وهب، وتنفح أرجه الطيب الشميم وهب، وما فاوت الله في النبات بين فاكهة وأب، كما فاوت في القبائل والأنساب بين أم وأب، آمين وبعد.

فقد أسفر هذا السفر عن صباح نَسَب شامخ، وحَسَب عليٍّ باذخ، بلغ درويش محمد مجدَهُ سَعْداً، وجدَّ في طلب المعالي جِدًّا حتى فات أباً وجَدًّا، وأعطاه الله من وافر ذلك الحظّ نصيباً وجَدًّا، لم يُبْطِ به العملُ عن بلوغ ذلك الأمل، بل أسرع به حسبه ونسبه، حتى اتصل بأهل المعالي سببُه، بيد أنه أبو المعالي، وفخار السادة الموالي، وعمدة العلماء، وعدة العظماء، وقد اشتمل هذا المجموع الذي أُنْشِئ لأجله وأُبدع، على مخبآت أسرار علية، ومخدَّرات معانٍ سنية، لها فيها أودع، قلد جيد البلاغة منه دُرًّا فلله ذرّه ودرّه، أشرقت من أفق بيانه شمسه، ولاح بدره، ما أحقه بأن يقول فيه، مادح من فيه:

أروض أزاهير تكلّل بالبرد أو عقد دُرٍّ أضاء وَقَدْ وَقَدْ[1]

(١) وقد: اشتعل.

وإلاّ كتابٌ سَطَّر الحسنُ طِرسَهُ　　به كلُّ معنًى لا يقايِسُه أحَدْ

من تلقائه تهب غادية نسائم كمائم اللطائف العلية، وتصب ذرّافة[1] غمائم المعاني العلمية، وتتمايل برياح أسراره الأنيسة أفنان الفنون العقلية والنقلية، وقد أضاء ذلك المجد بنبراسه، وأشرق أفق السعد بمقياسه، ومشى قلم الإنشاء في مدحه على راسه، كيف ومنه تستماح[2] فيوضات العلوم والمعارف، وتستباح أنواع المنح والعوارف، يقول لسان البيان، عما رقّمه فيه البنان:

أنفحة وردية أم عبهر[3]　　وعبقة زهرية أم عنبر
أم غادة أردافها لقد طوت　　نشراً يفوح منه مسك أذفر
والطيّ بالنشر عجيب قد يُرى　　والطيِّب النشر عجيباً ينكر
أم عقد دُرٍّ بالبهاءِ منضَّدٌ　　أبصرتُه وذاك عندي أكبر
أستغفرِ الله فهذا دون ما　　وكل جزء من سناه جوهر
ما هو إلّا طرس علم زاهر　　تزهرُ منه كالنجوم أسطرُ
لآل طالو الفخر من بين الورى　　ومجدهُم بين البرايا يذكرُ
فخيرُهم أبو المعالي والتُّقى　　من أصبحت عنه المعالي تُؤثرُ
محمد درويش مَنْ فَضْلُه　　لا يبلغ الحد ولا يُحصر
أعطاه ربّي كل ما يأمله　　فإنه بكلِّ خيرٍ أجْدَرُ

كم أنشأ من آفاق سطور طروسه سحائب البيان الثقال[4]، فدرّت

(١) في ب: وارفة.
(٢) في ب: تستفاض.
(٣) في ب: عنبر، والعبهر: الياسمين أو النرجس.
(٤) ساقطة من ب.

بكل معنى لطيف، وأنبأت نسائم جنوب جنابه عن مهب شمائله بكل نبأ شريف، ما امتدت براعته لتصنيف، وما رقمت يراعته لتأليف، إلا وللعطايا والأعداء بها نسخ، وما نكس رأس قلمه لدى مسجد صحيفته إلا وتعالى على منبره خطيب بنانه وشمخ، يقول لسان الإنشاء إذا شاء مدحه، وله بذلك أشرف منحه:

يا آل طالو أهيل المجد لو طالوا	ما أدركوا شأوكم كلّا ولا نَالُوا
درويشكم سيّد ساد النهى ولقد	آلى بخالقه للحق إذْ آلُوا
ما مثلُه عَلَم في العِلم منتشرٌ	مالوا إليه فزاد الجاهُ والمالُ

أدام الله تعالى جامع الفضائل والفواضل، وإمام محراب الأعيان والأماثل، وعطف عليه قلب قطب العالم، مفرق هامات ملوك العصر من أبناء آدم، سلطان الخافقين، المتصرف بملك الله في المغربين والمشرقين، مراد الله ونعم المراد، ومختاره للنظر في كافة العباد، ليلحظه بنظر الإسعاف والإسعاد وصلى الله وسلم على أشرف الأنام، وآله الكرام، وصحبه العظام، ما افترّ ثغر فصاحته بَسَّام، وسرى نشر زهر بلاغةِ بشام، وخطّت الأقلام، وخَطَت الأقدام، وحمداً لله في افتتاح وختام، قال ذلك عجلاً محسبلاً محوقلاً الفقير محمد زين العابدين بن محمد بن أبي الحسن الصديقي الشافعي الأشعري[1]، سبط آل الحسن غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين، (صورة).

---

(١) سبقت ترجمته.

تقريظ الشيخ أبي السرور

رشح ثاني وفيض رباني صدر ممن أصفقت عليه علماء عصره بأنه شيخ القاهرة، وعلّامة مصره، ذو الآراء الصائبة، والأفكار الثاقبة، الجامع بين علمي الباطن والظاهر، والمستكشف بقوته القدسية والحدسية عما تكن الضمائر، وتُجْزَ السرائر، حلّال مشكلات غوامض العلوم، موشّح رياض المنثور بجواهر المنظوم، ومرشح صور المعارف القدسية، بوشائع[1] الفصاحة القُسِّية، من أصبح حديث الفضل عنه مأثور، الشيخ محمد أبو السرور[2]، لا برح فُسْطاطُ مصر بعُلُومه كالبيت المعمور معمور، ما انتظمتْ سِلسلة الأيام والليالي في سلك الشهور مدى الدهور، وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم إنّ أبدعَ دُرِّ نظم ببنان البيان، وأسطع عسجد صيغ بنيران الأذهان، حمدُ الله الذي فاوت شرفاً بين القبائل[3] والوصائل، وعرف بطيب عرق الأبناء ما للآباء من شمول الشمائل، مسير شمس المحمدية من سماء الأنساب سير الشمس في أعالي المنازل، بما اقتصر من مبادي معالم معاليها الأواخر والأوائل، وأشهد أن لا إلاه إلا الله العليْ عن المُشَاكِل، والمُشَابِه والمُمَاثِل، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، الغني بالذات عن الصفات والدلائل، مختار الله لنظم نظام الفواضل والفضائل، المنصور بالرعب فما أغناه عن القواضب والذوابل، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الذين أخلصوا طاعته في

---

(١) الوشائع: التوشية بالرسوم والطرائق، والقسية: نسبة إلى قس بن ساعدة خطيب الجاهلية الذي عرف بالفصاحة والدعوة إلى التأمل في الكون.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) هذه العبارة ساقطة في ب.

البكور والأصائل، واقتعدوا[1] من العزيمة في نصرته بما صيروا به حال أهل الكفر حائل، ما هبت رياح الأرواح فاتقة من كمام الأزهار الغلائل آمين، وبعد:

فإن النسب عنصر الحسب، فمن طاب نسبه طال حسبه، ومن كرم جَدُّه ذاع مجده، ووجب شكره وحمده، فقد قال عليه الصلاة والسلام «خيارُكُمْ في الجاهلية خيارُكُمْ في الإسلام»[2]، وقد حَدّثَتْ وُرُقُ الطروس بهذه الأوراق، عن مكارم سراة سرت محامدهم في الآفاق، من كلِّ هُمام من بني أرتق، لولاه لكان معنى الجُود[3] أرتق:

فَهُمُ الجَحاجِحُ والملوكُ الكُمَّـل ... مـا منهمُ إلّا مليـك أفضـلُ
طالُوا فطالوا فوق غاياتِ النُّهى ... في موطن عنـه الكواكب تنزلُ

هذا وفي الشاهد ما يغني عن الخبر، ومن وصل إلى العين لم يسأل عن الأثر، فقد شاهدنا درويشهم من الفضائل، سعيداً حائزاً من دُرِّ غُرر المعاني درا نضيداً فكم قلدت منه أجياد الأجياد، ورقى فيما رقم بما يشابه من المقل والبياض والسواد، فسبحان من فاوت بين خلقه، ووافق في حُسن خَلْقِهِ حسنُ خُلقُهِ، فلا تحصر الأقلام محامده، إذ نثر في الأذهان فوائده وفرائده، فكم شادَ من المعاني رباعاً، وساد فتوّج هاماً وشَنَّف أسماعاً:

فلا روض إلا دون روضَتِه[4] الغَنّا ... فـاجعُ دوح المجد في دوحها غَنّى

---

(١) في ب: واقتقدوا.

(٢) بقية الحديث: إن رشدوا.

(٣) في ب: الجواد.

(٤) في ب: فلا روض دونه روضه

يحـدث عن قوم سُراةٍ سوابـقٍ فدرويشهم أهل المعارف قد أغنى

فقـد آنسنا من جانب طورسيناه من المعاني نوراً، وكشف عن مخبآت بنات الأفكار مستوراً، وأدار على العقول شمول شمائله، وأدرّت من سحائب فضله نوادر وابله، فحيهلا ليراع[1] رقم طرسه، وبنان صاغ فصه، لقد أبدع فيما صنع، وأحكم ماله اخترع، فوجب أن ترعف من شميمه آناف الأقلام وأن تسير في مدحته على رؤوسها لا على الأقدام، كيف وهو بحر العلوم الزاخر والفائز بتحقيق كم ترك الأول للآخر، فحقُّه أن يثني عليه هذا[2] الفكر الفاتر، والنظر الذي هو عن مناظرته قاصر، فأنشأ وأنشد:

حدائـقُ أوراقٍ بها يَبْسِم الزَّهْر وأحداقُ عينٍ فعلها دونها السِّحرُ
وأي مثـانٍ أو مثالـثُ معبـد بها أخضع السُّماعَ أو حمل السَّكْرُ
وزهر نجوم أو جمان قلائـــد لنـثر ونظم حار في وصفها الفكرُ
أفي خَبَـل عَقلِي فأضحى مُشَبَّهاً لمـا لا يُضاهَى أو يماثله قـدرُ
فلله كم أنْشَى بـه عقلُ سامعٍ وأنـى بـه قُسًّا فليس له ذكرُ
ولله درويش لـــه كـل نعمـة غدا مثلَ بحرٍ[3] منه يُستجلب الدُّرُّ
بـه آل طالوٍ طاولوا النسر رفعة وطـاب لهم بالسعي في بابه فخرُ
فـلا مصر إلا أن يحلَّ بساحِها فمُذْ حَلّ فيها أصبحت روضةً مصرُ
فيـا رَبِّ قرِّب دُونه ما يرومُه ليعلُو لـه قدرٌ ويزهو به الدَّهْرُ

---

(١) في ب: فجهل البراع، وهو تحريف واضح، والحيهلا هي اختصار لقولهم: حيّ على الفلاح.
(٢) في ب: على.
(٣) في ب: غدا كل مثل.

فمن أثنت عليه ألسنة الأقلام بهذه الأرقام، وقامت خطباءُ الفصاحة على منبر البلاغة بالثناء لحامده البديعة النظام، وحل من فنن المعارف أعلى المراتب، وحل أقفال المعاني بنظر فكره الصائب، لجدير بأن تتوجه إليه أنظار الخلافة العثمانية، وتتوجه إليه بالمناصب الباذخة الخاقانية، فالمسئول من سلطان سلاطين العالم، ظل الله على كافة العوالم، أمير المؤمنين، ماحي رسوم المبتدعة والمضلين، أن يوجه نظره عليه لكماله لهذه القابلية، القابلة للكمالات العلية، فما تحسن له يدا الخلافة من وضع الشيء في محله، وإيصال الحق إلى أهله، أبقى الله هذه الدولة إلى يوم القيام، بجاه محمد المصطفى عليه أشرف الصلاة وأفضل السلام، قال ذلك عجِلًا، ورقمه خجلًا، محمد أبو السرور الصديقي سبط آل الحسن بن محمد بن أبي الحسن، أسبغ الله عليهم نعمه فيما ظهر وبطن والحمد لله.

تقريظ الشيخ أبي المواهب

«ومن أبدع تقاريظ الأقلام، وأبلغ معاريض الكلام» مما يليق أن تُقَرّط به آذانُ الحسانِ الكواعب، وأن تقلَّدَ منه جواهر عقوده الأجيادُ والتّرائب، تَغارُ من حُسْنه النجومُ الثواقب، ويحسدها طالعةُ زهر الكواكب:

نـثرٌ هو الـدُّرُّ إلّا أنـه فِقَرٌ نَظمٌ هو العِقْـد إلّا أنّـه كَلِمُ

لو رأتْه عقودُ الثريّا لنثرتْ فيه نظامَها، أو قلاصُ النجوم[1] لألقت

(١) قلاصي النحوم: هي المتضامة المجتمعة، أو الجدة في سيرها الماضية فيه.

إليه زِمَامها، أو كوكبُ الجوزاءِ لخلعتْ عليه نطاقَها[١]، وقد راقَها منه ما راقَها، أو الشِّعْري العَبُور[٢] لما دعاها للمجَرَّةِ العُبور، أو سُهيلٌ[٣] لسَلاَ عن ثُرَيَّاه، وأعرض كفُّها الخضيبُ بمحيَّاه، كيف لا وقد نشأ عمَّن نشأ في حِجْر العلوم العمليَّة والنَّقْلية، واعتكف في محاريب الفنون كلِّها سِيَّما الأدبيَّة، من حاز من تلك المزايا أسنى المفاخر والمناقب، وفاز بأعالي المقامات والمراتب، وسار في الآفاق صِيتُ علمه مَسْرى الصَّبَا والجنائب[٤]، سيِّدُنا العلامةُ أخو الكرم أبو المواهب[٥]، أدام الله توفيقه، وجعله في الدارين رفيقَه، آمين:

«بسم الله الرحمن الرحيم، إنّ أرفَعَ قُنٍّ[٦] خضع له الأَشَمُّ[٧] الباذخ، وأفرغَ قِمٍّ تأطَّر[٨] له الفارعُ الشَّامخ، حمدُ الله الذي جعل من شاءَ في محاريب العلوم العقلية والنقلية إماماً، ولشَتَاتِ الكَمال بالذِّهْن الذَّهِن، والعقل الرَّصين نظاماً، واجتباهُ لسيادةٍ تتقاصرُ عباراتُ خطباء البلاغة عن مدائحها، وخالط بمحبّته أرواحَ القُدْسِيِّين من أوليائه، ومازَجَ بمودَّته قلوبَ الصَّفْوة من اصفيائه، مولانا علامة الزمان، نادرةُ العصر والأوان، أبو المعالي درويشُ لا زالت محافل الدروس بإفادته الشريفة عامرة،

---

(١) نطاق الجوزاء: ثلاثة كواكب في وسطها.

(٢) الشعري العبور: كوكب يكون في الجوزاء، والأخرى: الشعري الغيمصاء.

(٣) سهيل: نجم عند طلوعه تنضج الفواكه وينقضي القيظ، وهو من النجوم اليمانية، والثريا نجم سمي بذلك لكثرة أنجمه مع صغر منظره تشبيهاً له بالثريا المعروفة.

(٤) الجنائب: ما يجنب إلى خيل السباق حتى إذا كلت هذه من الجري ركبت هذه.

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) القن: الجبل المرتفع في السماء.

(٧) في ب: الاسم.

(٨) القم: القمة العالية، وتأطر: اعوج وانحنى

ومهارقُ الطُّروس[1] بعبارته المنيفة ونَسَبُهُ الباذخُ رياضاً ناضرة، والجدُ أن آباءه ملوك الزمان السابق فلا نظير، والسعدُ يخدُمُ بابَهم مهما يسيرُون يَسير، فهو من الذُّرِّيَّة الدُّرِّية، والشجرة الزَّاهية الزاهرة المُضِيَّة:

ابنُ الكرام السَّابقينَ لرتبةٍ	شَمَّاءَ يقصرُ دُونها التطاولُ
من آل أرتق نسبةً ما مثلها	ظهرتْ لهم بين الأنام فضائلُ
فاللهُ يعطيه المرادَ معجَّلاً	ويُديمَ ما يختارُهُ ويواصلُ
فلا بدْع أن يتبعَ الفرعُ أصلَهُ	ويجمعُ اللهُ بالكمالات شملَهْ
درويش منه طنّت[2] حصاة فَخرِه	وامتلأ الكونُ بطيبِ ذكِرهْ
فرعُ كماة بالمرام طالُو	والعُلوُّ والسموُّ طالُوا
سبحانَ من أنشاه بدراً طالعاً	وفي العلوم غيثَ فضلٍ جامعا
تعلو بشأوِ مجده المراتبُ	تعنُو لِعزٍّ جيده الكواكبُ
سَلْني وسَلْ ما شئت مَنْ مُصَادِقِ	ومِن عَدُوٍّ أحمقٍ منافقِ
الكلُّ يدرُون بِصِدْقِ قولي	لكنهم مُذَبْذَبُون حَوْلي
لأنني أعلمُ مَنْ فِي العَالَمِ	بِقدْره العالي على النعائمِ[3]
أبقاهُ رَبِّيَ دائماً إلى الأبدْ	مبلغاً كلَّ من أمَّ قدْ قصَدْ

فقد أُلف لمولانا هذا الكتابُ الدالُّ على فخر نسبه الطاهر، وأصلِه الظَّاهر، قال الله تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أصلُها ثَابتٌ وفَرْعُهَا فِي

---

(١) مهارق الطروس: صفحات الأوراق التي يكتب عليها.

(٢) طنت: صوتت ورنت.

(٣) النعائم: منزلة من منازل القمر، صورتها كالنعامة.

السَّمَا﴾[1]، والله يديم لمولانا السُّمَا[2]، ويرقبه لمقام تتطامن له الكواكب، وأجلَّ مَحلٍّ يُزَاحَم النَّاسِعُ[3] بالمناكب، وقد أفصح مصنف هذا الكتابِ المؤلَّفِ عن مقال فتق رَتْقَ البلاغة بألْسُنِ البيض القواضب، وأبدع فيما أودع في هيكل هذا المصنف النفيس صنائعَ بضائع الحِكَم الإلهيَّةِ فلا مُمَاثل ولا مُضَارِب، وأينع مَغَارِس العلم الأسْنى بصَوْبِ صواب فِكْرٍ تعنُو له الشوارقُ والغوارب، وقد شرّف الله بجُدُودِ مولانا الدُّوَل القَعْساءَ فلا مُدانِيَ ولا مُقَارِب، فمولانا جديرٌ بما يُسدَى إليه من المناصب العالية الشان، العليّةِ المكانة والمكان، من حضرة سُلطانِ سلاطين العالم، حامي كافّةِ أبناء آدم، خليفةِ الله على خليقَتِه، الذي أغاثَ اللهُ بعدلِهِ البلادَ، ورحم كافَّة العباد، وجعل دولتَه غُرَّةَ جِباه السيادة، وأيامه الشريفة قُرَّةَ عُيون السعادة، السلطانُ الأعظم، والخاقانُ المكرَّم، والمُرادُ الأفخم، خلّد اللهُ تعالى إشراق أنوار العناية، وإغداق أنواء الرعاية، بمزيد عنايته لعبده الّذي اختارَهُ لسلطنةِ المشارقِ والمغَارب، وسَيّر بسعادتِهِ المناقِب، واختارَهُ لحمايةِ بيتِهِ الحرام، وخِدْمَةِ نبيِّه عليه أفضل الصلاة والسلام، وصلى الله وسلّم على أشرف الأنبياء الكرام، والمُرْسَلين العِظام، الحبيب المحبوب، الذي عنده المطلوب، محمد وآله وصحبه، وشيعته ووارثيه وحِزْبه، ما سَجَعَتِ الحَمائم، ونفحت الكمائم، وغَدقَت الغَمائم، ولاحت أنوار العناية مُشْرقة، وسَحَّتْ سحائبُ المطالب مُغْدِقة، وخَطَت الأقلام بتبليغ المرام، وخَطَتِ الأقدامُ إلى ذلك

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٢٤.

(٢) السما: ذهاب الصيت وبعد الصوت، يقال ذهب صيته في الناس وسماه: صوته، وذلك في الخير لا في الشر.

(٣) الناسع: العنق الطويل.

المقام، والحمدُ للهِ في الأوَّلِ والآخر، والباطن والظّاهر، قال ذلك عَلى وَجَلٍ: محمد أبو المواهب بن محمد بن أبي الحسن، غفر الله له ولوالديه آمين. انتهى ذلك.

ومما قاله في مدح قاضي المحلة

ومما دعت إليه الصناعة الأدبية، وأنا بالقاهرة المُعِزِّية، ما كتبت به لقاضي المحلة، أعلى اللهُ قَدْره، ورفع محلَّه، عبد الباقي الشهير بالجمالي، وقد تشرفَتْ بقدومه مِصر وغَدَا جيدُها منه حالي، لما اجتمعتِ الآراءُ على مدائحه، وقد غمرها بغامِرِ منائِحه، قولي:

أشرقتْ مصرُ مُذْ أتاها الجَمَالي — واكتستْ ثَوْب بَهْجَـةٍ وجَمَـالِ
وأنـارَتْ أقطارُهـا من مُحَيَّـا — قـد أعَـارَ البـدورَ عند الكمالِ
عـالمٌ عامـلٌ تقِيٌّ نقيٌّ — طاهرُ الذَّيْـلِ مستفيضُ النوالِ
فخرُ آلِ الجمالِ قومٌ عُلاَهُم — مثـلُ شمسِ النهار بين المَوَالِي
نسبٌ طاهرٌ وأصـلٌ زكيٌّ — وفروعٌ نَمَـتْ بحُسْنِ الخِصَـالِ
منهمُ العـالمُ العـليُّ مقامـاً — طاب مثواهُ في الجنان العوالي[1]

---

(١) يعنى به العلامة علاء الدين علي بن أحمد الرومي الحنفي الجمالي، مفتي السلطنة على عهد السلطان بايزيد، وكان السلطان شديد الإكبار له، ولما بنى مدرسته بالقسطنطينية ضمها له إلى الفتوى، وكان رجلاً كريم الأخلاق منصرفاً إلى التلاوة والعبادة، وحظي لدى السلطان سليم أيضاً حتى إنه أراد أن يكون قاضي العسكر فوق منصبه فرفض قائلاً: لقد أعطيت الله عهداً ألا تصدر عني لفظة حكمت. توفي الجمالي عام ٩٣٢ هـ، أقول: وما زال القضاة إلى يومنا هذا يتفادون هذه الكلمة.

انظر شذرات الذهب ٨/ ١٨٢.

قــد مَضَوْا سادةً ولكنَّ بــاقٍ　　منهمُ شَمْسُهُمْ بأفـــق المَعَالِي
مَنْ لـه في البـلاد صَيْتٌ بعيد　　بنوالٍ يلقــاكَ قبْــل السُّؤَالِ
دامَ في نعمـــةٍ ورفعـــةِ شأن　　وسرورٍ عـــلى المـــدى مِنْوَالِ

حضرتُ مجلسه مراراً باستدعائه، وقد حُفَّ بفضلاءٍ من أُدبائهِ، وهو المجلسُ المُطِلُّ على بِركة الفيل، وقد جَرى لُجَيْنُ مائها على ذَهَبِ الأصيل، عكس ذلك التمثيل والتشبيه الذي قيل[1]، فكم ليلةٍ سامرتُ فيها قمرَ طلعته، إلى أن أشرف صَبَاحُها بضياء غُرَّته، في أدباء أكياس، وأرآمٍ كناس:

من كـلِّ أغْيَـدَ كالقضيـبِ إذا انثنى　　وأخِي الغَزالـةِ إن تَلَفَّتَ أو رَنَا

يطوف على جُلّاسه بقهوةٍ إيناسه، كأن فنجانها بياضُ اللُّجَين، وهي فيه تحكي سواد العَيْن، أو كما قال أديبُ الحجاز، على الحقيقة لا المجاز، جمالُ الدِّين بن إسماعيل بن المولى عصام، جاد مثواه صوبُ الغمام:

فنجـانُ قهوةِ ذا المليح وعَيْنُهُ الـ　　ـكَحْلاءُ حارتْ فيهـا الألبابُ
فسوادُهـــا كسوادِهِ وبياضُـــهُ　　كبياضِهـا ودُخَانُهـا الأهــدابُ

أنشدنيها بمنزلي بدمشق الشاب الفاضل اللَّوْذَعِيٌّ الكامل عبد العزيز المكِّي القاضي خاني عام سبعٍ وسبعين وتسعمائة، ولا يَخْفَى حُسْنُ تشبيه الدُّخَان الصّاعد من الفِنجان، بأهداب الأجفان، فلِلّهِ دَرُّه من أديبٍ شاعر، لمثله يُقال: كَمْ تَرَكَ الأوَّلُ للآخِرِ.

---

(١) يعني به قول الشاعر:
والشمس تجنـح للمغيـب وقـد جرى　　ذهـب الأصيـل عـلى لجين المـاء
وما أتى به من كلامه عكس ذلك القول.

يتأهب للعودة إلى الشام

هذا ولم أزلْ مدة إقامتي بالقاهرة، يختصُّني بِنِعَمِهِ السافرة الوافرة، حتى أعملتُ للسَّفَر الركاب، نحو دمشق الشام منزل الأحباب، أنشدني في موقف التوديع، حالة التَّشْييع:

ولما صَحَّ توديعي سُلَيْمى ورأيي أنْ أُخَلِّفَها ورائي
بكتْ شَجناً لفُرْقتنا وقالتْ جه بودي كربنودي اشنائي

ولم تزلْ تَخِدُ بنا تلك القلاص النجائب، وتَطْوي بنا في سيرها المهامِهَ والسَّبَاسِب، حتى أرتْنا غُرَّة الشام غَزَّةَ هَاشِم[2]، واستبانتْ منها رُبُوعُها والمعالم:

أقَمْنا بها يوماً ويَوْماً وثالثاً ويوماً له يومُ التَّرَحُّلِ خامسُ

فكتبتُ أثناء ذلك لأمير لوائها، وشمس أفقها المنير وبدر سمائها، مُقَنْطِرُ الفرسان يومَ الطِّعان، بألسنةِ البيض وأسِنَّةِ المُرَّان، بل مُعَطِّر ذلك القُطر بعطر الإحسان، الأمير أحمد بن أمير الأمراء رضوان[3]،

---

(١)

(٢) غزة: مدينة أشهر من أن تعرف، وهي في أقصى الشام مما يلي مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل وهي من نواحي فلسطين، وفيها مات هاشم بن عبد مناف جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها قبره ولذلك سميت غزة هاشم، معجم البلدان ٣/ ٧٩٩.

(٣) هو الأمير الكبير صاحب القدر الخطير والجود الغزير أحمد بن رضوان. تولى إمارة غزة ما يقرب من ثلاثين سنة من غير عزل، واستوطنها فطابت له وطناً.

كانت القافلة المصرية بوجوده تجد الأمن والإحسان، ولولاه لأخافتها عصاة الغربان، انتشر في أيام إمارته بغزة علماء وفضلاء.

تقاعد سنة ١١٠٩، وصير إمارة غزة لبعض أولاده.

انظر تراجم الأعيان ١/ ١٩٢.

تغمده اللهُ برضوانه، وأسكنه فسيح جنانه، بهذه القصيدة الفريدة، والقوافي المتناسقة النَّضِيدة، ذاكراً فيها ما اشتمل عليه الطريق من المنازل والمراحل، والمناهل، الآهل منها وغير الآهل، وهي هذه:

ولما أَرَتْنا العِيسُ غَزَّةَ هَاشِمٍ عِيانا أَنَخْناها بتلك المَعَالِمِ
رَواجعُ من مصرٍ نوازعُ للحِمَى حِمَى الشَّام تُهْدَى بالبُروقِ البَواسِمِ
وقد هجرتْ فُسْطاطَ مصروأعرضتْ بجانبها عن نِيلِه المُتَلاطِمِ
وفارقتُ بالمقياسِ والنيلُ طافحٌ تصافحُه كفُّ الرياحِ النَّواسِمِ
وروضتُه الغناء طاب مَقِيلُها تغرّد فيها ساجعاتُ الحمائمِ
وسارتْ عن الأهرام أرفع بنيةٍ تخبِّرها عن عصرها المتقادِمِ
وصدَّتْ عن النيل الفراتِ صواديا تَؤُمُّ مياهَ الشام مِيلَ الجماجمِ
تُجَاري نَعَامَ الدَّوِّ طَوْراً وتارةً تُباري بأعلى الجوِّ سَيْرَ النَّعَائِمِ
وما ذاك إلّا أنها قد تذكّرتْ مَرَابعها بين الغُوَيْر فجاسِمِ
ومنبجساً في ظِلِّ أحْوَى كأنّه وقد نسجتْه الريحُ وشيُ أراقمِ
على أنَّ بالفسطاطِ أبقتْ معاهداً تحنُّ لذكراها حنينَ الرَّوَائِمِ
سقاها وحيَّاها الإلهُ مَعَاهِداً سَحَابَ دُنُوِّ العَهْد من أمِّ سَالمِ
أضاء لها البَرْقُ الشآمِيُّ مَرَّةً فأثّر في أخفافها والمناسِمِ
حننتُ وحَنّتْ إذْ أضاء وإنما حنيني لو تَدْرِي لبَرْق المبَاسِمِ
وأغدَى حِصَاني قطعُها البيدَ فانثنى يجوبُ الفلا جَوْبَ النياق الرَّواسِمِ
فودّع ربعَ العادليَّةِ سائراً ولم يُثْنِهِ عن سيره لَومُ لائمِ
فوافى رُبُوع الخانقاةِ عشيَّةً ومَرَّ على بِلْبِيسَ مَرَّ النَّسائمِ
وأصبح خَطَّاراً بخطارة المُنَى وجاز بها كالبَرْق لاح لِشَائِمِ

وجاوز وِرْدَ الصَّالحيَّة كالقطَا لقَطِّيَّةِ ليلاً قبلِ ورد الحَوَائِمِ
ترفَّع عن بئر الدُّوَيْدارِ قَدْرُه وخَلَّفها مَطْرُوقة للسَّوَائِمِ
وأهوى لبئر العَبْد كالنجم غائراً لأُمِّ الحَسَا والليلُ وَحْفُ القوادم
وقابله رَمْلُ العَريش فعافَهُ عن السَّيْر إذ خانته إحدى القوائمِ
وغيَّبَه عن حِسِّه هولُ صَعْقَةٍ تَخِرُّ لها كُومُ المطيّ الرَوَازِمِ
فودَّعْتُه طِرفاً أغرَّ مُحجلا كريمَ السجايا من عِتاقٍ كرائمِ
وقلتُ له هَلَّا حَمَلْتَ على وجىً فتى سيرُه للشَّام ضربةُ لازِمِ
فقال مَقالاً كنتُ أجهلُ قدرَهُ وعيناه فاضتْ بالدُّموع السَّوَاجِمِ
أتشكو الجوى إذ جئتَ غزَّةَ هاشمٍ وفيها أميرٌ أرْيَحيُّ المكارمِ
سَمِيُّ نبيٍّ اللهِ أحمدَ مَنْ غدَا حديثُ نَداه ناسِخاً ذكرَ حَاتِمِ
كثيرُ رمادِ القِدْر دَان نَوَالُهُ طويلُ نِجاد السَّيفِ ماضِي العزائم
سليلُ الملوكِ الصِّيدِ من خَضَعتْ لَهُ قبائلُ من تَيْمٍ وقيْسٍ ودَارِمِ
وذو النَّسَبِ الوَضَّاح والجوهر الذي أقام فَريداً في مُتُونِ الصَّوارِمِ
أميرٌ تَرَدَّى المجدَ دِرْعاً وشاحُها طِوالُ العَوَالِي في طوال اللهاذِمِ
وقد أَلِفَ البيضَ الصَّوارمَ والقَنَا وقَتْلَ العِدَا من قبل عَقْدِ التمائمِ
اخو الحربَ يَغْشي اللَّيْثَ والليث مُشْبِلٌ
وتخشاهُ في الهيجاء أُسْدُ الضَّراغِمِ
ترى بابَه للوافدين مَحَطَّةً فمِنْ راحلٍ مُثْنِي وآخرَ قادِمِ
وردتُ وصحبي مستفيضاً نواله فرحَّلني عنه بأسْنى الغَنَائمِ
فلا زَالتِ الأقدارُ تَخْدُمُ سَعْدَهُ بغزَّةَ في عِزٍّ مَدَى الدهر دَائِمِ

الخطيب التَّمرتاشي

وممن لقيتُ في خاتمة مطافي وجَوْبي البلاد وتَطْوافي، وقد أنختُ بغزَّة هاشم، مطايا الهِمم الرَّوَاسم، من العلماء الأعاظم، والأفاضل الأفاخم، عَلّامةُ زمانه، وفَهّامةُ عصره وأوانه، رئيسُ علمائها، وشيخ مشايخ إسلامهـا، والمُعَوَّل عليه في تمييز حلالها من حرامها، إمامُ المعقول والمنقول، والمرجعُ إليه في الفروع والأصول، صاحب التآليف العديدة، والتصانيف المفيدة، شيخ مذهب النعمان، والمشارُ إليه في ذلك بالبَنَان، بل قطبُ دائرة تلك الديار، ومركزُ محيط ذلك الدوَّار، والمتخلِّق بالأخلاق الإلهية، والمتصف بالصفات الربَّانية، من أصبح صيتُ علومه ومعارفه في جميع البلاد المصرية والشامية فاشي، شمسُ الملة والدين محمد بن محمد بن محمد الخطيب التَّمرتاشي[1]، مد الله ظلّه الوارف، ولا برح ذَرَّافَ العَوارف والمعارف، تمتعتُ بلقائه واستمتعتُ بآلائه، وقد استجزتُ منه أثناء لقائه، متَّع الله العالم بطول بقائه، وأدام للطلاب عِلْقَ[2] ارتقائه، رواية ما يرويه عن مشايخه الكرام، وأساتذته الفِخام، من كُتُب المذهب المعتبرة، وعيونِ المذاهب سِيَّما مما اختاره من مصنفاته، وما وقع عليه اختياره من مؤلفاته، كتنوير الأبصار، الجامع بين مسائل

---

(١) اسمه محمد بن عبد الله بن محمد كما ورد في خلاصة الأثر ١٨/٤، الخطيب العمري التمرتاشي الغزي الحنفي، شمس الدين، شيخ الحنفية في عصره، ولد بغزة سنة ٩٣٩ هـ، وتوفي بها سنة ١٠٠٤ هـ.

من مؤلفاته، تنوير الأبصار وجامع البحار في الفقه، وشرحه منح الغفار، والوصول إلى قواعد الأصول، والفتاوى، وعقد الجواهر النيرات في بيان خصائص الكرام العشرة الثقات.

انظر خلاصة الأثر، الأعلام ١١٧/٧، معجم المؤلفين ١٩٦/١٠.

(٢) العلق: النفيس من كل شيء يتعلق به القلب.

الهداية والمنار، وغير ذلك مما له من جميل الآثار، وجليل الاختيار، فأجاز لي عنه رواية ذلك كله، وأن أحدِّثَ به عنه جُلَّه وقُلَّه، وسائرَ ما يجوزُ له روايته من العلوم والمعارف، وما يتْبع ذلك من نوادر الشِّعْر وأنْواع اللطائف، حسبما استَنّ به في المضمار طِرفُ يراعته[1]، وافتنّ به مُنعِماً لَطِيفُ براعته، وسأوردُ صورة ما رَقَمَه بيده ووشَّاه، وأضعه في موضعه كما رسمه، إن شاء الله.

العودة إلى دمشق

وحين بانتْ لي من دمشق الشام أعلام قَاسْيُون، أجريتُ لرؤيتها من العيون مياه الشُّئُون، لكنها كانت دُموعَ فَرَحٍ بها العين قَرّتْ، لا دموعَ تَرَحٍ غيرُ الأفراح أقرت:

هَجَم السُّرُورُ عَلَيَّ حتى إنَّني ... مِنْ عُظْمِ ما قد سَرَّني أبْكَانِي

فطفقتُ أنظمُ بها شملَ الأصحاب، وأتعاهدُ منها منازلَ الأحباب، ولم أخاطبها بما خاطب به الشَّريفُ الرَّضِيُّ ديارَ أحبابه، واستفهامه عن عهود لِدَاتِهِ وأترابه:

يا ديارَ الأحبابِ كيفُ تَغَيَّرْ ... تِ ويا عَهْدُ ما الَّذي أبْلَاكَا[2]

ولم أزلْ على تلك الحال بُرهة من الزمان، ونُهْزةً[3] من العصر والأوان.

(١) استن الفرس ونحوه: جرى على نشاطه في جهة واحدة، والطرف بكسر الطاء: الجواد الكريم.
(٢) ديوانه.
(٣) النهزة: الخلسة والفرصة.

كتابه إلى داود الأنطاكي

فمما كتبتُ في أثنائها وأنفذتُه للديار المصرية، من دمشق المحميّة، إلى الأستاذ العلّامة شيخ العلوم الرياضية، سيّما الفلسفة والطِّبِّية، من انتظمتْ جواهرُ مآثره في سلك هذه العقود، شيخُ عصره وعَلَّامة مِصره الشيخ داود، في تاسع عشر رجب من شهور سنة تسع وتسعين وتسعمائة:

لنا بِحِمى فسطاط مصرَ شُجونُ — وذكرى لَمَغْنَى ربعها وحنينُ
حنينُ رَؤومٍ بان عنها وحيدُها — فما هي إلّا أنّةٌ ورنينُ
وذاتُ جَنَاحٍ غاب عنها هَديلُها — فتَنْجاعُها فوق الأراكْ أنينُ
تُباري حَمَام الغوطتين بِشَجْوِها — وفي قلبها داءُ الفراق دفينُ
ويَذْكرُها المقياسُ والرّوضةُ التي — بشاطئه عذبٌ هناك مَعِينُ
إذا ضربتْهُ الريحُ خِلْتَ بمَتْنِه — مُضاعَفَ سَرْدٍ أحكمتُه قُيُونُ
جرى فوق حَصْباء اليواقيت أشبهتْ — لآليءَ دَمْعٍ يوم بان قَرينُ
ذكرتُ به من أمّ سالمَ معهداً — به القلبُ إذ سار الركابُ رهينُ
فتاةٌ أناةُ الخَطْوِ صَفْرٌ وشاحها — بألحاظها جيشُ الغَرامِ كمينُ
ولم أَنْسَ يوم البَيْن وقفةَ ساعةٍ — ولي ولها عند الفراق شُئونُ[1]
وقد حلفتْ أن تحفظَ الوُدَّ بيننا — وليسَ لمخضوب البنانِ يمينُ[2]
ترحلتُ عنها والفؤادُ بربْعها — مقيمٌ وهل يرعى الوداد خدينُ

---

(١) الشئون: مجاري الدمع من العين.

(٢) تضمين لبيت مشهور لابن الرومي هو:

وإن حلفت لا يخلف النأي عهدها — فليس لمخضوب البنان يمين

وفارقتُ فيها مَنْ أُحِبُّ وجيرةً | لهم بين أحناء الضلوع شجونُ
ولا سيما شيخُ الفلاسفة الذي | تَسَلَّمُ يونانٌ له وتَدِينُ
سَمِيُّ نبيِّ اللهِ داودَ مَنْ أتى | على فترة فاستعبدتْه ظُنُونُ[1]
وظن فيه غيرُ ظَنٍّ مُرَجَّمٍ[2] | على أن ظنَّ الألمعيِّ يقينُ
عليه سلام الله ما ذَرَّ شارقٌ | ورَوَّى حِمَى فسطاطِ مصرَ هَتُونُ
وما غردتْ ورقٌ سواجعُ بالحمى | ومالتْ بترجيعٍ لهنّ غُصُونُ
أسُكَّانَ قيسون لئن جارَ بعدكُم | عَلَيَّ زمانٌ باللقاء ضنينُ
فواللهِ ما فارقتكم قالياً لكم | ولكنّما يُقْضَى فسوف يَكونُ[3]

صورة النثر: شَوْقِي للقاءِ سَيِّدي الأجَلِّ، عَمَرَ اللهُ بذكره رباعُ الفضل، كما غَمر طلاب العلوم الحقيقة نائله الجَزْل شوقُ الوامِقِ بعُذراه، وعُرْوة بعَفْراهُ[4] بل شَوْقُ غَيلان لمَيَّة[5]، والحَادرَة سُمَيَّة[6]، أو كحمامةٍ

(١) يشير بذلك إلى قوله تعالى ﴿وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب﴾
(٢) المرجم: الظن من غير دليل.
(٣) وهذا شاهد نحوي شهير.
(٤) يعني بعروة، عروة بن حزام بن مهاجر العذري، وهو شاعر من متيمي العرب، كان يحب ابنه عم له اسمها عفراء، ولما كبر خطبها عروة فطلبت أمها مهراً لا قدرة له عليه فرحل إلى عم له باليمن وعاد فإذا هي قد زوجت بأموي من أهل الشام فلحق بها فأكرمه زوجها فأقام أياماً ثم ودعها وانصرف، فضنى حباً ومات قبل أن يرجع إلى حيه، نحو سنة ٣٠ هـ.
انظر مصارع العشاق ١٣٢، الشعر والشعراء ٢٣٧.
(٥) وغيلان هو غيلان بن عقبة العدوي المعروف بذي الرمة، وهو شاعر من الفحول في عصره، وكان يعشق مية المنقرية ويشبب بها حتى اشتهر أمرها، وله ديوان شعر طبع عدة مرات، توفي سنة ١١٧ هـ.
انظر الشعر والشعراء ٢٠٦، وخزانة الأدب ٥١/١.
(٦) الحادرة لقب لقطبة بن أوس بن محض الفزاري الغطفاني، ومعناه الضخم، وهو شاعر جاهلي مقل، كان حسان بن ثابت معجباً بقصيدته التي أولها: =

أضلّت هَدِيلا، وفارقتَ بعد المواصلةِ خليلا، وأنا أُهْدي لحضرته سلاماً كالرَّاح، تبعثُ مَيّتَ الأرواح، يزيدها القِدَمُ طِيباً، ولا يُوجد صريحاً قطيباً[1]، والحلاَّتُ وإن كانت مُتَقَاصية، فإن الخلات كما يشهد وُدُّه مُتَناصيةٌ[2]، وها أنا مُذ سُيِّرتُ عن حضرته الجليلة، ما نسيتُ أياديه الجميلة، وهل ينسى المُدلجُ قَمَرَ ليلِه، وساكنُ اليَمَنِ مَطْلَعَ سُهَيْلِه، على أنَّنِي لم أزلْ بالشام أسوقُ من أَرْجه طيبَ بَشَام[3]، وهو بالفسطاط، والمنزل شَطَاط، شاكراً فضل أياديه، وشَرَف مجلسه ونَادِيه، وإن قلتُ إنّ أفواه الحمائم، أو بروق الغمائم، تقدِرُ أن تصفَ ما أُجِنُّه من الارتياح لقُربه، والانتظامَ إلى شِيعته وحِزْبه، فقد شهدتُ أنها أبلغ من سحبان، وأفصح من صعصعة بن صُوحان[4]، على أني أسأل وَهَّابَ الصُّوَر، وخلَّاقَ القُوى والقُدَر، فياضَ المعارف، ذَرّافَ العوارف، أن يهبَ أقراباً[5] صافياً من الكَدَر، مُغْنياً عن وُرود المكاتبةِ والصَّدَر، وأنا أُجِلُّ سيدي

= بكرت سمية غدوة فتمتع وغدت غدو مفارق لم يرجع

وهو يعد من شعراء الغزل الحبين، من أمثال قيس بن الملوح وذي الرمة وكثير وجميل، فقد كان شغفه بسمية كشغف هؤلاء بحبيباتهم.

انظر ديوان شعره تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد.

(١) الصريح: الصرف غير الممزوج بشيء، والقطيب: الممزوج، والمعنى أنه ثابت قوي، لا يكون صريحاً مرة وقطيباً أخرى.

(٢) المتناصية: المتصلة، يقال: هبت الريح فتناصت الأغصان أي اتصلت وتضامت.

(٣) البشام: شجر طيب الرائحة والطعم، يستاك به، وهو صغير الورق لا ثمر له إذا قطع ورقه أو غصنه سال منه لبن أبيض.

(٤) العبدي، من سادات عبد القيس، من أهل الكوفة، كان خطيباً بليغاً عاقلاً، وله شعر أيضاً، شهد موقعة صفين مع علي، وله مع معاوية مواقف، قال الشعبي: كنت أتعلم منه الخطابة، توفي سنة ٦٠ هـ.

انظر الإصابة الترجمة ٤١٢٥.

(٥) الأقراب جمع قرب وهو الدنو، أو القرابة، يقال: بيني وبينه قرب.

الشيخَ إجلالَ الأَمَةَ بُنيَّها، والأم الشفيقة صبيَّها، وفي القلب إلّا أن تدنو الديارُ أُوَار، ولكلٌّ سائلةٍ كما يعلمُ الله قَرَارُ.

تقريظ قصيدة للعلموي

ومما قلته متلفِّظاً، وكتبتُ به مُقَرِّظاً، لقصيدةِ الفاضل الأديب، الكامل الأريب، جمال الأدب وطراز حُلَّته، والراقي من هضابه أعالي ذروته، من كادت قَوَافِي الشعر تُثني عليه بألسنة الرَّوِي، جمال الدين يوسف العَلْمَوي[1]، وقد امتدح بها قاضي قضاة دمشق الشام، مصطفى أفندي الشهير والده بأحمد القاف بين الأنام، المتخلِّصُ يومئذ بفيضِ الله[2]، دامت عليه نعم الإله، وذلك عند قدومه أواسط ذي الحجة الحرام، عام تسع وتسعين وتسعمائة قولي:

سماءُ رياضٍ أطلعتْ أَنْجُمَ الزَّهْرِ	تلوح على الأَغصان كالأَنْجُم الزُّهْرِ
أقامتْ نعام الأفقْ فيه رَوَائِماً	وقدعطفتْ فيه الزَّبَانِيعلى الغُفْرِ[3]
أَمِ الحُورُ قُلِّدْنَ النُّحورَ بمثل ما	حَوَتْه الثغورُ اللُّعْسُ من وَاضِحِ الدُّرِّ

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) هو فيض الله بن أحمد، المعروف بابن القاف، أحد فضلاء مشاهير الروم، ولد سنة ٩٥٠ هـ، وتولى في ابتداء أمره قضاء حلب، ثم قضاء الشام سنة ٩٩٩؛ ثم عزل عنها، وتولى قضاء الغلطة، ولم يزل يترقى حتى تولى قضاء العسكر، وله شعر وأدب.

توفي سنة ١٠٢٠ هـ.

انظر خلاصة الأثر ٣/٢٨٨، نفحة الريحانة ٣/٩٣.

(٣) النعام أو النعائم، منزلة من منازل القمر، صورتها كالنعامة، والزباني: الإناث تدفع أبناءها عند الرضاعة بأرجلها، والغفر: ثلاثة أنجم صغار، من منازل القمر.

تبَسَّمْنَ عن مثـل الأقاحِي كأنّما سَقَتْه النُّعَامى من سحائبها الغُرّ[1]

يجولُ بـه مـاءُ الحيـاة وإنمـا يُسَمِّيه ظَلْماً[2] ظالمٌ وهو لا يدري

أم اللؤلؤُ الرَّطْـبُ البديعُ نظامُه من الغِيدِ ما بين الترائب والنَّحْرِ

فَوَحّدْنَـهُ عقـداً فريـداً كأنّـه نظامُ عقودِ العَلْمويِّ أخِي البِشْرِ

وأعـني عُقُوداً زان سِلكَ نظامِها مدائـحُ فيض اللهِ عَلاَّمة العَصْرِ

مؤيِّـدُ شَرْعَ اللهِ ناصرُ دِينـــه بسُمْرِ يَرَاعٍ دُونها عاملُ السُّمْرِ

إمامٌ لـه سِرُّ البلاغـة مثل ما إليه انتهى عِلْمُ الشريعة بالحَصْرِ

همامٌ جليـلٌ من مَبادِي عُلُومِه علومُ المَبَادِي الخاليات عن الفكرِ

قضى في دمشق الشام بالحقِّ فاغتـدتْ على سُنن الشيخين أحكامُه تجرِي

وأحيا بدَرْسِ العِلْمِ دَارِسَ رسْمها فأصبـحَ مَعْمُور الجوانب بالذكرِ

وشاع لـه عـدلٌ به مـلأ المَـلاَ فنُجْبُ الفلا في الخافقين به تَسْري

فسلْ حَلَـبَ الشهباءَ عن عَدْلِهِ بها وعن لُطْفِ ما أوْلَى بنيها من البِرِّ

فـكم عَمَّ منـهُ فيـضُ جُودٍ لها وخَصَّ لَعَمْري أهلها بالندي الغَمرِ

مرقاه على الفِرْدَوْسِ بابُ جنانها وناح لغير الحُزْن من دَوْحها القُمْري

ومـذْ سار عنها نحو جِلِّقَ أصبحتْ كأفـقِ سماءٍ غاب عنه سَنَا البدرِ

وحـلَّ دمشقَ الشام رُكنَ هدايةٍ يؤيـدُ أحكـام الشرائـع بالنَّصْرِ

فقـام خطيبُ الدّوح فيها مغرِّداً على مِنبر الأغصانِ بالحمد والشكرِ

تجاوبـــه وُرْقُ الحمامِ سَواجعـاً لـدى روضةٍ غناءَ طيبةَ النَّشْرِ

تدفَّـقَ فيـها كاللُّجَـين جداولٌ جَرَت فوق حصباء الجُمانِ من التِّبْرِ

---

(١) النعامى: ريح الجنوب، وهي في جزيرة العرب أندى الرياح وأطيبها.

(٢) الظلم بفتح الظاء: ماء الأسنان وبريقها.

يَصِلُ حصاها تحت كوثر مائِها ضليلَ حُلِيٍّ الغانياتِ على الصَّدْرِ
وأطربَ في الخَلْخَالِ ساقٌ وألبَسَتْ أسَاوِرَها ريحُ الصَّبا مِعصَم النَّهْرِ
فما إرَمٌ ذاتُ العِماد سَمَت على الـ ـبِلاَدِ سِوى مَغْنَى دِمشْقٍ بلا نُكْرِ
فخُذْ من فتًى وَصَّافِ بعضَ صفاتِهـا وإنْ هِيَ جلَّتْ في الإحاطةِ عن حَصْرِ
هو العَالِمُ الفَرْد الـذي سار ذكرُه مسير الرِّيَاح الهُوج في البَرِّ والبَحْرِ
تردى رداء الفضـل بُرْدًا غدَا به يُجرِّرُ أذيـالَ الفخارِ على الفَخْرِ
له النَّسَب الوَضَّاحُ والحَسَبُ الذي أنافَ على هَام السِّمَاكَيْن والنَّسْرِ
له المشربُ الأصْفَى له العِلْمُ والتُّقـى له المنطق الأحْلى يفوقُ على السِّحْرِ
لـه هِمَمٌ لا مُنتهـى لكبارها وهمتـه الكبرى أجلُّ من الدَّهْرِ
له الخُلُقُ الأزكَى الّذِي ضاعَ عطْرُه وفاح بِقُطر الشام كالمَنْدَلِ الشّحْرِ
أقام على أبْوَابه الفَضلُ سَائِلاً معاملـةَ الأقوامِ بالعَفْوِ والسُّرِّ
ولا زال محرُوس الجنـاب مؤيَّداً بسعدٍ له الإقبالُ منه مَدَى العُمْرِ
بقيتَ جمالَ العصرِ شاعِرَ عصرنا تديرُ على الأسماعِ راحاً من الشِّعْرِ
فـهاك قريضاً طالَوِيًّا مُقرِّظاً مدائحِ فيض الله فيَّاضِها البحرِ
تساقَطُ في الأسماع لُؤْلُؤُ لفظِـه تساقُطَ أنداءِ الغَمام على الزَّهْرِ

فقيـهٌ لـه نَهْجُ البلاغة مذهبٌ وشيـخٌ سلوك سَيْرُهُ في العوالِمِ
فمن فاضِلٍ فوق المجرة قَـدْرُه وآخَرَ تحت العَرْشِ ماضي العزائمِ
ولاسِيَّما القُدْسِيّ أستاذُنا الذي لـه رُتْبَةٌ في العلم فوق النَّعائمِ
كـذا شيخنا شيخ الطريقة والـ ـحقيقة منصورٌ على كلِّ ظالم
هُمُ أسْرَتي و« المرءُ معْ منْ أحبَّ » في شريعتنـا حـكْمٌ لأعـدل حاكم
رعـى اللهُ أياماً بظـلٍّ جنابهم خلَتْ ثم مَرَّتْ مثل أحْلاَم نائمِ

وسَرَى إلى المِقْياسِ والنيلُ طافـحٌ تصافِحُـه كـفُّ الرياح النَّواسِمِ
لدى الرَّوْضة الغنّاءِ والسـرحة التي رَقَتْ عَرْشَ ماءٍ مائج مُتَلاطم
بحيـث ظلالُ الدَّوحِ فوقَ نَميرِهِ تُخَـالُ على الكُثبانِ سُودَ أراقِم
سقاها وحيّاها الإلـه مَعَاهـداً سَحـابَ دُنُوِّ العَهْدِ من أُمِّ سَالِمِ
ولازال خفّـاق النسيم مُبَلِّغـاً سَلاَمِي عليها مثْلَ نَشْر اللَّطَائِمِ

وقلت صدر كتاب آخر:

عـلى ساكني فُسْطاطِ مِصْرَ تحيةٌ من المُغْرِم المشتاقِ والَوالِه الصَّبِّ
أقامُوا وسِرنـــا والفؤادُ لديهم وما حالُ جِسْمٍ في الهوى سَارَ عن قَلْبِ

خبر الشيخ بهاء الدين القزويني وبعض أشعاره

ومن لطائف الأسمار وظرائف الأخبار، وما حدثني به - والحديث كما قيل شُجُون - بالبيت المقدَّس، والحرم الأقدس، أيامَ زيارتي مَرَاقِدَ الأنبياء، وتعهدي معاهد الأصفياء، الشاب الفاضل زين الأفاضل رضيّ الدين بن الشيخ العلامة جمال الملة والدين يوسف الشهير نسبه الخطير بابن أبي اللُّطْفِ الشافعي[1]، أدام الله توفيقه، وجعل زاد التقوى رفيقه، أوانَ اجتيازي إلى الديار المصرية، وارتيادي رياض القاهرة المعزيّة، قال:

---

(١) محمد بن يوسف بن أبي اللطف المقدسي (رضي الدين)، أديب، مفسر، من مؤلفاته: حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي، وشرح جواهر الذخائر في الكبائر والصغائر للغزي.
توفي سنة ١٠٢٨ هـ.
انظر خلاصة الأثر ٢٧٢/٤، شذرات الذهب ١٦١/٨.

ورد علينا من مِصْر رجلٌ من مهابته محترم، فنزل من بيت المقدس بنباء الحرم، فناء المسجد الأقصى، ولم يُسند أحدٌ مدّة الإقامة إليه نقصاً، فألقى في روعي أنه من كبار العلماء الأعاظم، وأجِلَّةَ أفاضل الأعاجم، فما زلتُ لخاطِره أتقرَّبُ، ولما يرتضيه أتحبَّب، حتى أَنِس بي واطمأنّ إليّ، وظهر من حاله لديّ، فإذا هو ممن يُرحل إليه للأخذ منه، وتُشَدُّ له الرحال للرواية عنه، يسمى بالشيخ بهاء الدين الحارثي القزويني فسألتُه عند ذلك القراءة في بعض العلوم، فقال: بشرط أن يكون ذلك مكتوم، فأجبتُه لسؤاله، وقرأت عليه شيئاً من العلوم الرياضية كالهيئة والهندسة، ثم سار إلى الشام نحو أراضيها المقدسة، قاصداً بلاد العجم، وقد خَفِي عنّي أمرُه واستعجم، هذا ما حدثتُ عنه بحرم القدس الشريف، ومهبط الوحي المنيف، ولما جئمت بفسطاط مصر، وأنخت بها المطيّ ملقياً عنها أثقال الإصر، سألتُ عنه بعض فضلائها فأخبرني عن بعض أخباره حسبما شاهد منه، ورآها عنه، من أنه كان يجتمع مدة إقامته بالأستاذ الأعظم، والمقتدى المعظَّم الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري الصديقي، قدّس اللهُ رُوحَه، وأجزل من نُزُلِه فُتوحَه، وامتدحه بقصيدةٍ بديعةِ المباني، كاملة الأوزان والمعاني، وَقَعتْ من الأستاذ إبن أبي الحسن، ذلك الموقع الحسن، ثم إني لما رجعتُ إلى دمشق الشام، سألتُ عن أخباره مِمّن له بها إلمام، فأخبرني عنه أنه أقام بدمشق ليال دون الثلاث، فاجتمع به ليلة ودارت بينهما نفائسُ الأبحاث، صحبة مولانا الحافظ الحسين الكربلائي القزويني أو التبريزي نزيل دمشق صاحب كتاب الروضات الذي صنفه في مزارات تِبريز، لما كان بينهما من المؤاخاة في تلك الديار.

ثم أن ذلك الفاضل استنشده شيئاً من مقاطيعه وأشعاره، واستعلمه

عن اسمِهِ وكُنْيتِه ومالَقبَه في أسْفاره، فذكرَ له أنّ نسبتَه إلى حارث هَمْدان قبيلةً، وأن جَدَّهُ هو الذي خاطبه أمير المؤمنين بقوله: يا حار همدان، وسرد عليه من بعض أخباره.

وهذه صُورةُ ما أملانيه حيث قال:

ورد سنة ٩٩٦ قافلاً من مصر الشيخ الفاضل الأفضل، العارف الأكمل، الحَبْرُ النِّحريرُ، ذو الفَضْل الغزير، والعِلم الكثير، الجامعُ لأشْتات العلوم، المُطَّلع على ما تضمَّنَته من منطوقٍ ومفهوم، سيدنا الشيخ بهاء الدين شمس الدين من الشامي أصلاً الخراساني مولداً، رحل والده الحسين بن عبد الصمد إلى عراق العجم، ثم إلى خراسان وصار بها شيخ الإسلام، ومقتدى الأنام، ونشأ ولدُه هذا فاضلاً كاملاً، نبيلاً جليلاً، بالغاً في الفضل الغايةَ القُصْوى، وفي الذكاء النهاية التي لا تُسْتَقْصى، ورحل إلى الأقطار، وتفنّن في تنقيحَ الأنظار، وحجّ البيت الحرام وأتى القدس الشريف وزار معاهده، وورد موارده، واجتاز بدمشق ولم يقم بها إلا بمقدار أن قيل له: أهلاً وسهلاً، ومرّ قاصداً عراق العجم مُرْتَبَعَ شَبابه، ومنتجعَ أخْوانه وأترابه، وهو الآن مقيمٌ بقزوين عند ملك العَجَم عبّاس، وله بها الكلمة النافذة في الناس، والحَظْوَةُ التامة، والاعتبارُ الكلّي عند الخاصّة والعامة، كما أخبر به القادمون من تلك الدِّيار، وتواترتْ بذلك الأخبار، وله التصانيف الرائقةُ الحسنة، والتحريراتُ المتقنة المستحسنة، سيَّما في العلوم الرياضية، التي هي عند العقلاء راضية مرضيّة، سُئل عن معنى كونه حارثيًّا، فقال: نسبه إلى حارث همدان قبيلة معروفة، وحارث هذا هو الذي كان موالياً أمير المؤمنين عليًّا كرَّم الله وجهه، وخاطبه بقوله: يا حارِ ويا حارثُ، تارة بالترخيم، وأخرى بالتفخيم، وقِصَّتُه على التفصيل مذكورة في كتاب

الأمالي لابن بَابَوَيْه[1]، فمن أراد الاطلاع على ذلك فليراجع ذلك الكتاب، والله أعلم بالصواب.

فمن شعره الرائق الحسن الرقيق، النائب مَناب سُلَافة الرَّحيق، قوله متغزلاً ولمعانيه مُجْزِلاً:

يـــا نديمي بمُهْجَتِي أفديـــك	قُمْ وهات الكُئُوس من هَاتيكْ
خمرةً إن ضللـــتَ ساحتهـــا	فسنا نورِ كاسهـــا يهديـــكْ
يـــا كلـــيمَ الفؤاد دَاوِ بهـــا	قَلْبَـكَ المُبْتَلَي لكي تشفيـكْ
هي نـــارُ الكلـيمِ فاجتلهـــا	واخلَعْ النعلَ واتْرُكِ التشكيكْ
صـاح ناهيـك بالمُـدَامِ فَدُم	في احتساهـا مخالفـاً ناهيـكْ
لستُ أنساه إذْ أتـــى سَحَراً	وحْـدَه وَحْـدَه بغـير شريـكْ
طرقَ البـــابَ خائفـــاً وَجِـلاً	قلـتُ من؟ قال: كلّ ما يرضيكْ
قلتُ: صَرِّح، فقال: تجهلُ مَنْ	سيـفُ ألحاظــه تحكَّم فيـكْ
قـال لي مـا تريـدُ قلتُ لـه	يـا مُنَى القلب قبلةً من فِيكْ
قال خُذْها فمـذ ظفرتَ بها	قلتُ: زدني فقال: لا وابيـكْ
ثم وَسَّدْتُـــه اليمـــينَ إلى	أن دَنا الصُّبْحُ قال لي يكفيكْ

---

(1) هو محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، أبو جعفر، المعروف بالصدوق، مفسر، فقيه شيعي، أصولي، محدث، عارف بالرجال، من أهل خراسان، ورد بغداد وتوفي بالري عام ٣٨١ هـ.

من تصانيفه: الأمالي الذي ذكره المصنف، وهو مطبوع باسم أمالي الصدوق، والجمعة والجماعة، والمواعظ والحكم، ومن لا يحضره الفقيه، وغير ذلك من الكتب التي يقال إنها بلغت ثلثمائة كتاب.

انظر: معجم المؤلفين لكحالة ٣/١١ وفهرس المخطوطات المصورة ١/٣٣٧.

قلتُ مهلاً فقال قمْ فلقد   فاحَ نَشْرُ الصَّبا وصاح الدِّيكْ

والقصيدةٌ التي امتدح بها حضرة الأستاذ الشيخ محمد البكريَّ روّح اللهُ روحه في الجنان، وسقي ضريحه شآبيب الغُفران، وأنشدها له بمصر قوله: يا مصر سقياً لك من جنّة، فلما تمّ إنشادُها سأله من مَحْتِدِه، فقال: قزوين، قال له: عَرَبيّتك عزيزة، أو كما قال، يريد أنك عربيٌّ الأصل، كذا أخبرني عنه بعض تلامذته من فضلاء العجم بدمشق الشام، وهو قافل من الحجاز أواخر صفر المظفر سنة خمس بعد الآلف، وذكر لي أن مطلع هذه القصيدة كان هكذا وأنشده:

سقيا لكَارِزْكَاه من جنة

وهو مكان منتزه بقزوين، فحُوِّل إلى مصر، فقال منشداً:

يا مصرُ سُقياً لك من جَنَّةٍ   قطوفُها يانعةٌ دانيهْ
ترابُها كالتّبرِ في لُطفِهِ   وماؤُها كالفِضة الصَّافيةْ
قد أخجل المسكَ نسيمٌ لها   وزهرُها قد أرخص الغَاليةْ
دقيقةٌ أصناف أوصافها   ومَالَها في حُسْنِها ثَانِيهْ
منذ أنختُ الرّكْبَ في أرضها   أُنسيتُ أصحابي وأحبابَيهْ
فيا حماها اللهُ من روضةٍ   بهجتُها كافيةٌ شافيهْ
فيها شِفَا القَلْبِ وأطيارُها   بنغمةِ القانون كالزَّاريهْ
تركتُ مُذْ حلَّ ركابي بها   الحساب والهيئةَ من ناحِيهْ
والطبَّ والمنطقَ من جانبٍ   والنحوَ والتفسيرَ من زاويهْ
كذا معانٍ وبيانٍ لهُ   أسهرتْ عيني بُرْهة وافِيهْ
وحكمةً ثم كلاماً به   فُقتُ أهل الأعصر الماضيهْ

فـذا زمـانٌ ليس يُرْجى به لصاحِب الفضل سوى بَارِيَه[1]

من شاءَ أن يَحْيَا سعيداً به منعَّماً في عيشةٍ راضيـه

فليـدع العـلمَ وأصحابَـهُ وليجعـل الجهـلَ لـه غاشِيَـهْ

وليـترك الـدرسَ وتدريسَه والمتْنَ والشرحَ مـع الحاشيـهْ

إلى مَ يـا دَهْرُ وحتّـى متى تُشْقـي بأيامِـك أيّامِيَـه

تُحقّـقُ الآمـالَ مستعطفـاً وترفـعُ النقـصَ بآماليَـه

وهكـذا تفعـلُ في كـلِّ ذي فضيلـةٍ أو هِمَّـةٍ عَاليـه

فـإن تكنْ تحسَبُنـي منهُم فهي لَعَمْري ظنَّـةٌ واهيـه

دعْ عنـك تعذيـبي وإلا فأشْـكُوكَ لـدي ذي الحَضْرة العاليه

سيدُنـا الأستـاذُ كهفُ الورى منقذُهُمُ من دَرَكِ الهاويَـه

ومرشدُ الخلقِ إلى الحقِّ ذي الْـمناقـبِ الطّاهِرَةِ الساميَـه

وسَرَتْ مـع الركبانِ في مشرق ومَغرب أكرمْ بهـا سَارِيَـه

إن كنتَ تبغي أن ترى جنة الـفِردَوْسِ فاحْضرْ سَاعَةً ناديَـهْ

والثْم ثَرَى أعتابِـه خاضعـاً وعفِّرِ الخَـدَّ مـع النَّاصِيَـه

وشنِّـف الآذانِ بألفاظِـهِ إن كنـتَ من أُذْنُـهِ واعِيَـه

لتشهـد الفَيـضَ اللدني والـأسْرَار مستكشِفَـةً بادِيَـه

يـا سيِّدي إنِّي أمروٌ لم أزلْ إلى العُـلا ذا قَـدَمٍ سَارِيَـه

قـد طفتُ في الأرضِ بأكنافها من حَضَرٍ فيهـا ومن بَادِيَـه

وأبصرتْ عينـاي كـلَّ امرئٍ في فَنِّـه ذا قـدم رَاسِيَـه

وكـلَّ طودٍ شامـخ يُهتـدى بنوره في الظُّلمـة الدَّاجيـه

---

(١) البارية: الحصير.

حتى توصلتُ إلى خدمة الـ | أستاذِ مِن مَمْلكة نائِيَه
أطوِي الفَيَافِي قاصداً نحوه | مُيَمّماً سُدَّتَهُ العالِيَه
فاستحقَرَتْ عيناي من كنتُ قد | أبصرتُه في الأعْصُر المَاضِيَه
من أبْصر البحرَ فمِنْ شأنه | أن يستقلَّ النهر والسَّاقِيَه
مولاي عُذْراً إنَّ فكريَ غدَا | مشتَّتَاً من سُوءِ أحوالِيَه
صفاتكُمُ أعْلى مثالاً من أنْ | تَخْطُرَ مولاي على بَالِيَه
وهذه الأبياتُ كاللَّغْوِ والـ | أستاذُ لا يستمع اللاَّغِيَه
خَلَتْ من المَعْنَى فكُنْ قَانِعاً | مولاي بالوَزْنِ مع القافية
لازال حُسَّادُك في ذِلَّةٍ | ومُقْلَةٍ دَامِعَةٍ دَامِيَه
ولا بَرِحْتَ الدَّهْرَ في عِزَّةٍ | ونعمةٍ واسعةٍ ضَافِيَه

ومن الدُّوبيت قوله:

أهْوَى رَشأً عَرَّضَني للبَلْوى | ما عَنْه لِقَلْبِيَ المُعَنَّى سَلْوَى
كم جئتُ لأشتكي فمذْ أبصَرَني | من لَذَّةِ قُرْبِه نسيتُ الشكْوَى

قلت: وهذا المعنى مُعَرَّب عن الفارسية، وكذا نقل عنه، وله في المعنى من ذلك:

يا غَايب عن عِيني لا عَنْ بالي | القُرْبُ إليكَ مُنْتَهى آمالي
أيامُ نَواك لا تَسلْ كيف مَضَتْ | واللهِ مضتْ بأسوأ الأحْوالِ

وله غير ذلك من الأشعار الرائقة، والمُرَبَّعات الفائقة، فلنَكْتَفِ بهذا القدر منها إذ ليس الرِّي عن النُّشَاف[1].

---

(١) النشافة: الرغوة تعلو اللبن، جمعها نشاف.

تهنئة إبن بستان بمنصب الفتوى

ومما كتبتُ به في أوائل ربيع الآخر سنة ألف، زمان وصولي، وأوان حصولي، بدار السلطنة السنية، قُسْطنطينية المحميّة، خلّد اللهُ مُلْكَ مالكها ظِل الله في العالم، صَفْوَةُ اللهِ ومُرَادُه من بني آدم، لجناب المولى الأعظم، والأستاذ الأكرم، المؤيد باللُّطْف من الملك المنان، محمد أفندي إبن المولى بُسْتان، وقد تشرَّف منصب الفتوى بتقْليده، لازالت الأحكام الشرعية مؤيدة بتأييده، هذه القصيدة الفريدة، وإن اشتركتْ مع غيرها في حُسْن الديباجة، فلأمرٍ دَعَتْ إليه الحاجة، قولي:

ولما أرتْنا العِيسُ غَزَّةَ هاشمٍ ... عِيَاناً أنَخْناها بتلك المَعَالِمِ
رواجعُ عن مصرٍ نوازعُ للحِمَى ... حِمَى الشام تُهْدَى بالبروق البواسِمِ
وقدهجرتْ فسطاط مصرٍوأعرضتْ ... بجانبها عن نيلِهِ المتلاطمِ
وفارقت المقياسَ والنيلُ طافحٌ ... تصافحه كفُّ الرياحِ النواسمِ
وروضتُهُ الغناءُ طاب مقيلُها ... تغرِّد فيها سَاجعات الحمائمِ
وسارتْ عن الأهرام أرفعُ بنية ... تخبِّرنا عن عصرها المتقادمِ
وصَدَّتْ عن النيل الغزاة صواديا ... تؤمُّ مياه الشّام مِيل الجماجمِ
تُجاري نعام الدَّوْ طوراً وتارةً ... تُباري بأعلى الجَوِّ سَيْر النَّعائِمِ
وما ذاك إلاّ إنّها قد تذكرتْ ... مراتعهَا بين الغُوَير فجاسمِ
ومنبجساً في ظل أحْوى كأنَّه ... وقد نسجتْه الراحُ وَشْيُ أراقمِ
على أن بالفُسطاط أبقت معاهداً ... تحنُّ لذكراها حنينَ الروائمِ
سَقَاها وحَيّاها الإلهُ معاهداً ... سَحَاب دُنُوّ العهدِ من أمِّ سَالِمِ
أضاء لها البرقُ الشآمِيُّ مَرَّةً ... فأثّر في أخفافهـا والنَّواسِمِ

حننتُ وحَنَّت إذ أضاء وإنّما حنينيَ لو تدري لِبَرْقِ المباسِمِ
وأعدي حِصاني قطعه البيد فانبرى يجوبُ الفَلاَ جَوْب النِّياقِ الرواسمِ
فودَّع رَبْــع العادليــة سائراً ولم يُثنــه عن سَيرِه لومُ لائمِ
ووافَى رُبُوع الخانقــاهِ عشيّــةً ومر عــلى بلبيس مَرّ النَّسائمِ
وأصبح خطـاراً بخطَّارة المُنـى وجـازَ بهـا كالبَرْقِ لاحِ لشَائِمِ
وجـاوز وِرْدَ الصَّالحيـة كالقَطَا لِقَطيّـةِ ليـلاً قبل وِرْدِ الحَوَائمِ
ترفّـع عن بئر الدويـدار قَذْرُه وخلَّفهــا مطروقَــةً للسَّوائمِ
وأهوى لبئر العَبْـد كالنجم غائراً لأمِّ الحَسَا والليلُ وَخفُ القوادم
وغيّبــه عن حِسِّهِ هولُ صعقـةٍ تخرُّ لهـا كُومُ المطيِّ الرَّوازِمِ
وآنَسَهُ في خــان يونس نفحــةٌ سَرَتْ من رياض الشام غِبَّ السَوَاجِمِ
سرتْ منـه مَسْرى الرّوحِ في الجسم فانبرتْ
تُبـاري الصَّبَـا من بعـد ضعفِ القوائمِ
وحـلَّ رياضَ الشَّامِ مُخضَلَّة الرُّبَا سَقَتْها الغَوادي المُزْنُ صَوْبَ الغمائمِ
أبحـتُ لـه فيها الإقامة بعدما وصفتُ له بالرُّومِ رَوْضَ المكارمِ
فحرَّمهــا واجتـازَ يلتهمُ المَـدَى إلى الرُّومِ لا يَلْوي لِلَوْمِ اللَّوائِمِ
لـهُ من هلال الأُفق نعلٌ مُفَضَّضٌ ومِن ذهـب الآصال حُلَّة رَاقمِ
ومن أنجم الجَوْزَا عليــه قلائـدٌ ونَجْم الثُّرَيّا فيـه عِقْـدُ تَمائِمِ
ومـازال مثل البدر يطوي منازلاً إلى الرُّومِ حتى خِلتُهُ غيرَ راجمِ
ولما دنا من روضةِ الفضل رَاعَهُ عــلى سنـا إشراقـةٍ في العوالمِ
فأحجمَ عنهـا هَيْبــةً ثم قـادَهُ رَجَاءُ عَفْوِ مَوْلَى للمساكين رَاحِمِ
صفوحٍ عنِ الجـاني وقد جاء تائباً عَطُوفٍ عـلى إخْسانه غير نَادِمِ
وأهْوَى بأجفـانِ الجُفُون مُقَبِّلا ثَرَى رَوْضِ علمٍ من يدِ الفضلِ باسمِ

وأغنِي به رَوْض إبن بُسْتانِ مَلْجأ الْـ ـعُفَاةِ إمَامِ العصرِ مولى الأعاظِمِ
مُؤَيِّدِ شَرْعِ اللهِ ناصرِ دينهِ بِسَمٍّ يَراعٍ مِثلِ بيـضِ الصَّوَارِمِ
إمامُ الهُدَى بَحرُ النَّدى قامعُ العِدَا مُفيضُ الجَدَا في الوقتِ ماضِي العزائمِ
مُرْسِي طودَ عِلْمٍ شامخ القدرِ رُكْنَهُ لنا من صُروف الدهر أمنعُ عَاصِمِ
أقـام بناء الشَّرْعِ بعد انهدَامِهِ فكانـتْ لـه أقلامُـهُ كالدَّعَائِمِ
وقام بأمْرِ الشَّرْعِ يَنْشُرُ في الورى شريعـةَ خير الخلق مفخرَ هاشِمِ
فَتَاوَى سَرَتْ في الخافقين مع الصَّبَـا يحـدِّثُ عنها راحلٌ إثْرَ قادِمِ
يقرُّ بها النعمانُ عيناً ولم يَزَلْ لَعَمْريَ إعجاباً بها مثلَ هَائِمِ
فيا أوْحَدِيَّ العَصْر يا أعْلَمَ الورى ويـاذا العطايا الجَمِّ ياذَا المَراحِمِ
تعطَّـفْ على درويش بَابِكَ راحماً ولا تأخذنْه بالظنون الرَّوَاجِمِ
فما اجتابَ قُطْرَ الأرض إلا لنَشْرِه مَدِيحَـك فيها مثلَ نشر اللَّطَائِمِ
بسيَّـارة مثـل النَّجوُم طوالـع قوافٍ لَعَمْري افحمت كلَّ ناظِمِ
تساقَط في الأسْماع لُؤْلُؤ لَفْظِها تَسَاقُـطَ طَلٍّ فوق زَهْرِ الكَمَائِمِ
ودُونَك من وصافِ مَدْحِك ما أتـى به عَنْ إمامِ الوقت لا وَهْمُ وَاهِمِ
وقرَّ بـه عيناً وطِبْ فيه مُهْجَةً فقـد عُقِدَ الإجماعُ من كلِّ عالِمِ
بأنّـكَ من يأتي على الألفِ قائماً يجـدِّدُ هذا الدين يا خيرَ قائِمِ
بقيتَ بقاءَ الدَّهْرِ في عزٍّ دَوْلَةٍ لهـا شَرَفٌ فوق السُّهَا والنَّعَائِمِ
جَنَابُـكَ محروسٌ وبابُـك مَلْجَـأً بسعدٍ وإقبالٍ مَدَى الدَّهْر دَائِمِ

قصيدته في مدح محمد المصاحب

ومن أملح الشعر وأبْدعِه، وأعزّه عند الأدباء وأرْفَعِه، ما نظمتُه

أيضاً بدار الخلافة، قُسْطَنْطِينِيَّةَ حُمِيتْ من كلِّ آفَة، لجنابِ منتجع الفضائل والفواضل، ومَرْجعِ أعْيان الأفاضل، صاحبِ الهمّة العليّة والرأي الصائب، حضرة محمد أغا المصاحب، وقد بَنَى بشاطىء البحر سبيلاً، وأجْرَى فيه ماءً سَلْسَبيلا، بمحلة طُوْبخَانه قُرْب منزلِهِ الشَّريف، ومَحلِّه المُنيف، غُرّة رجب الفرد عام ألف قولي:

سَبيلُكَ في الدنيا سبيلٌ إلى الأخرى ... وما كلُّ من أجْرَى سَبيلا حَوَى أجْرا
ويَسَّرَهُ المولى لمثلــك والــذي ... يعامـلُ وجـهَ الله يُسِّر لليُسْرى
قصـدتُ به وجه المهيمنِ خالصاً ... ومن أخلص الأعمال كانتْ له البُشْرى
ولم ترضَ ماء الأرض وِرْداً لشاربٍ ... وهمتك العلياء تستنزلُ النَّسْرا[1]
فأجريـتَ من نهر المَجَرَّة جَدْوَلا ... غـدا سائـلاً ما ردَّ سائلَه نَهْرا
تودُّ النجومُ الزُّهْرُ في الليـل أنها ... تقابلُه فَخْراً ولا تدركُ الفَخْرَا
وتَهْوَى نعامُ الأفق وهي شواردٌ ... تَرَى حَوْضَه الصَّافِي ولو عَدِمَتْ بَحْرَا
كـذاك عُقَابُ الجوِّ والنَّسْرُ واقعٌ ... على الحَوْضِ أن يجريَ به ذلك المَجْرَى
ومـا هو ماءٌ بل رحيقٌ خِتَامُهُ ... لشارِبيــهِ مِسْكٌ يفوحُ لهم نَشْرَا
رجوتَ بـه من كوثر الماءِ شَرْبَةً ... يسقِيكَها من حَوْضه صاحِبُ الإسرا
سميُّـك خـيرُ الأنبيـاء محمـدٌ ... أبو القاسِمِ المَحْمُودُ أعْلى الورى قَدْرَا
ذمامُـك منـه إذْ سَمَـاكَ محمـدٌ ... ومَنْ مثلُه أوفَى ذماماً ومن أحْرَى
سيسقيـك مختومَ الرحيق فتغتَدِي ... مع الملأ الأعْلَى ولا تنظر الحَشْرا
جزاءً بما أجريتَ في سُبُل الهُدى ... ومنـه سبيلُ الماء أجْرَيْته نَهْرا
يُرَوِّي عِطَاشاً في الهجـير فتنثني ... ولا مُهْجَةٌ عطشى ولا كبدٌ حَرَّى

(١) النسر: مجموعة من النجوم معروفة بشابهتها للنسر، في النصف الشمالي من القبة السماوية.

وصَوَّرتَـهُ في العقـل ثم وضَعْتَـهُ ... فجاء بحمد اللهِ قد طابق الفِكْرَا

بِنَـاءٌ رفيعُ القدر أعدلُ شاهدٍ ... عـلى أن بانيه له الآيةُ الكبرى

وساعدك المقـدارُ حيث بنيتَه ... بعصرِ إمامٍ رأيُه صَرَفَ العَصْرا

سليـلُ السَّلاطين العظام أجَلُّ من ... على قَدَمِ الأقْدام قد وَطِىءَ الغَبْرا

مُرَادٌ مُراد الله صَفْوَةُ خَلْقِــهِ ... أدام لـه الإقبالَ والعِزَّ والنَّصْرا

هو المُصْدِرُ الأفعالِ في الخلق والـذي ... ينـازعُ فيما قلتُ قد جهل الأمـرا

هو القـائمُ الموعودُ بالنصر والهُدى ... ولكنْ عيونُ القوم عن دَرْكِهِ حَسْرى

ولولا حجـابُ القوم قلتُ لصاحبي ... ولكنّـه لن يستطيعَ مَعِي صَبْرا

ومن عـاش لا يَدْري إمامَ زمانهِ ... وماتَ فَفِي الدّنيا لقد خَسِرَ الأخرى

سِوَاك فأنت الصاحبُ المجتبى الذي ... بِهِ رُفِعَتْ في الخافِقَيْن لك الذكْرى

وكنـتَ لهـذا الملك سَلْمانُ بَيتِهِ ... وصاحبُـه لا شكَّ في كونه أدْرَى

ولا زال فيَّاضاً ولا زلتَ قائلا ... إذا ما اغْتَدى شمساً يلوحُ به بَدْراً

فيـا أيها البَانِي سَبيلاً إلى العُلاَ ... لَهُ الخَبَرُ المرفوعَ بين الورى طُرًّا

رُوينـا حديث الماء فيه مُسَلْسَلا ... عن مَعِينٍ صَحَّ من طُرُق أخْرَى

وأسنَــده لابن الفراتِ بَنَانُــهُ ... عن القَطْرِ عن كفٍّ له تخجلُ القَطْرا

أبحتَ بـه عَيْنَ الحيـاةِ لشارب ... فما عُذْرُ من يلقاك ألاَّ يَرَى الخِضْرَا[1]

وفي كَوْنـه في سِيفِ بحرٍ إشارةٌ ... إلى مجمع البَحْرين يُمناك واليُسْرا

وثقتُ وأرْسَيْـتُ فُلْكَ مطالبي ... بــه أنَّهـا وقـد أشْحِنَتْ تِبْرا

وعَـامَ بـه غوّاصُ فِكْرَتِيَ التي ... متى شِئْتُ نَظْمَ الشِّعْر تنتظِمُ الشِّعْرى

---

(١) يشير بذلك إلى ما يقال من أن الخضر عليه السلام قد شرب من عين الحياة ومنح بذلك الخلود.

فجاء بعقد الشعرِ فيك مُنَضَّداً فَخُذْه وقلِّدْه الترائبَ والنَّحْرَا
نظاماً بديعاً طَالِويًّا نِجَارُه
بمدْحِك أضحى يُخجل الزَّهْرَ والزُّهْرا
من الشام وافى بحر جُودِك قاصداً وقد جاء في شِعْرٍ ومن قَصَدَ البَحْرا[1]
بقيتَ لهذا المُلْكِ سيفاً مُهَنَّدا يبيحُ به ثغراً ويحمي به ثَغْرَا
بحُرْمَةِ خير الأنبياء محمد سَمِيِّك من نال الزَّمانُ به فَخْرَا
وقَصَّرَ عن علياك كلُّ مماثلٍ وطوّل ربُّ العالمين لَكَ العُمْرَا

تهنئة لابن روح اللهِ بتولي قضاء العساكر

ومما كتبتُ أيضاً بقسطنيطينية دارِ العدل والأمان، حماها الله من طوارِق الحدثان، إلى الجناب المولى الأفضل صدر العُلماء العظام، وذُخر الفضلاء الفِخام، المحفوف بعون عناية الملك الباري، مولانا أحمد بن روحِ الله الأنصاري، وقد ولى قضاء العساكر المنصورة، بولاية روم أيلي الآهلة المعمورة، وذلك أوائل شهر شوال عام ألف قولي:

عروسُ الرياض بدتْ تَنْجلي بزَهْر اللآلي وزَهْرِ الحُلِي
كَسَاهَا الحَيَا وَشْيَ ديباجة وكلَّلَ هامَ رُبَاهَا الوَلي
والبس أعْطافَها حُلَّةً مُطَرَّزةً بيدِ الشَّمْأَلِ
تُضَاحِكُ نَوّارها إذ بكى بها المُزْنُ عن طرْفِه المُسْبِلِ

---

(١) يشير بذلك إلى بيت المتنبي:
قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا
والشطر الثاني مثل سيار.

وشَقّ بهـــا الزَّهر أكمامَـــهُ ... وقـد هَاجَـه نَغْمَـةُ البُلْبُـلِ
فمن نَرْجَسٍ ناضرٍ ناظرٍ ... إلى وَجْنَـــةِ الورد كالمُجْتَلِي
وجيـــدٍ عُرارٍ لـــه لَفْتَـةٌ ... إلى لَحْـظ جَوْذَانِهـا الأشهَـلِ
وثغرِ أقـــاحٍ غـــدا باسِماً ... لِخَـــدٍّ الشقيـــقِ بحُسْنٍ مَلِي
بهـــا النَّهْرُ كافورُ أمْواهِـــهِ ... جَرَتْ فوق أرضٍ من الصَّنْدَلِ
كـــأنّ حَصَاهـــا ببطْحَائهـــا ... لآلٍ نُثِرْنَ عـــلى جَـــدْوَلِ
وحـــاك النسيمُ لـــه لأْمـــةً ... مضاعفـــةَ السَّرْدِ لم تَخْزَلِ(١)
يَمُرُّ الصَّبَـــا بـــين أغْصَانِهـــا ... فتحمـــلُ عنهـــا شَذَا المَنْـدَلِ
وبـــاتَ يُغَنّي عـــلى عُودِهَـــا ... بشيرُ الهَزَارِ بَصَوْتٍ عَلِي
سُرُوراً بأحمدَ مَوْلىً وَلِي ... قضـــاءَ العساكر في رُومِ إيلِي
سَمِيِّ نـــبي الهُـــدى الأفضـــلِ ... شفيـــعِ الوَرَى أحمدَ المرسلِ
سُلاَلـــة أنصـــاره من غـــدا ... لِحُلَّتِهـــــا كالطِّرازِ الجَلِي
كريمُ السَّجَايَـــا لـــهُ هِمَّـــةٌ ... لَدَيْهـــــا القناطرُ كالخَرْدَلِ
وَهُوبُ العَطايـــا، لـــه سِيمَـةٌ ... زكـتْ مثـلُ صَفْو من السَّلْسَلِ
لـــه راحـــةٌ مـــا لهـــا راحَـةٌ ... سوى في عَطــــاءٍ ولم تُسْألِ
إمـــامٌ هُمَـــامٌ تردّى الحِجَـــا ... ولاَثَ التُّقـى وهو أبْهَـى حُلِي
لـــه هَضْبَـــةُ العِلْم لو وَازَنَـتْ ... برضْوَى لخَـــفـتْ ولم يَثْقُـــلِ
يبيـــتُ بـــه الحـــلم مستعصماً ... إذا طَـاشَ يومـاً ذُرَى يَذْبُـلِ
له المنطـقُ العَـذبُ يَرْوي لنـا ... بلاغَتَــــه السِّحْرُ عن بَابِـــلِ
فكَمْ قـد جلـتْ غُرَّ ألفاظِـه ... دَقَائِـــقُ للفكر لم تَنْجَـــلِ

---

(١) تخزل: تقطع.

وأوضح بالكشف عن غامِضٍ وجَـلَّ عن المبحث المُشْكِلِ
مباحثـــهُ الزُّهْرُ سَيَّـــارَةٌ طوالـــعٌ في الدَّهْر لم تأفـــلِ
فنَجْمُ القَريـض هَوَى للحضيـ ـض بها وهي في الأوْج ما تأتلي
أمولايَ يـــا مَنْ لأعتابـــه غَدَتْ نسبتي وهو أمرٌ مَلِي
نوالُـــك كالغَيْـثِ عَمَّ الوَرَى وأرْبَى عـلى الهَيْدَب الأهْطَلِ
ولم يَبْـقَ بالبـاب من سَائِـلٍ سِوَى دَمْـعِ دَرْويشِك السَّائِـلِ
وجُـــدْ بِتَرقٍّ لــه فَاصِـلٍ كَعَزْمِـك أو حُكْمِكَ الفاصلِ
فكم وعـدِ صِدْقٍ لـه قَدْ وَعَدْ تَ فعجِّـلْ بإنجـازه عَجِّـلِ
ودُمْ عَالِي القَـدْر في مَنْصِـبٍ وأعْـــداك بالعَزْل في أسْفَـلِ

ومما كتبه إلى المولى سعد الدين

ومن ذلك ما كتبتُ به أيضاً وأنا بالروم إلى جناب الحضرة السَّامِية، والدَّوْحَةِ المنيفة العالية، سَعْد الملة والدنيا والدين، مَلْقَن ظِلَّ اللهِ في العالمين، أسْبَغَ اللهَ ظِلاَلَهُ، وضاعَف اقْتِدَاره وجَلاَلَه، غُرَّةَ ذي القعدة عام ألف، قولي:

بـين سِقْطِ اللِّوَى ومَعْطَفِ بانةٍ وأُثَيْـلاَتِ[1] مُلْتَقـــى كُثْبَانِـهِ
ظبياتُ غيد الطِّلاَ قاصرات الطَّرْ فِ ترنُو بأوْطَفٍ وَسْنَانِهْ
ناظراتٌ عن نَرْجَسِ الرَّوْضِ غضٌّ باسماتُ الثغور عن أُقْحُوَانِـــه
مُشْرِقَـــاتُ الوُجُوه أقمارُ حُسْنٍ مُخْجـلاتٌ للبَـدْرِ في عُنْفُوانِـه

---

(١) الأثيلات تصغير الأثلاث جمع أثلة وهي شجرة معمرة طويلة مستقيمة، جيدة الخشب.

كُـلُّ خمصانـةِ الوشاح تَثَنْتْـهُ عِقْـدُ دُرٍّ مُفَصَّـلِ بِجُمانِـه
وبأجيادهـا من اللؤلؤ الرَّطْـ ـبِ عقودٌ نُظِمْنَ في مَرْجَانِـه
قد كساها الشبابُ دِيَباجَ وَشْيٍ خِلْتُ وَرْدَ الخدود من أُرْجُوَانِه
فهي تهتزُّ فيـه حُسْنـاً وفي آ خر تحكي الرِّياضَ عن أَلْوَانِه
لِي فيهنَّ مائسُ العِطْـف أَلْمَى ناعسُ الطرف نَـدَّ عن غُزْلانِـه
كالقضيـب الرَّطيبِ يَعْلُوهُ بَدْرٌ فوق دِعْصٍ من الصَّبَا رَيَّانِـه
يـرتـعي حَبَّـةَ الفؤادَ بَديـلاً عن بَرِيرِ الأَراكِ في أغْصَانِـه[1]
لا تَسُمْـهُ سَرْحَ الرِّياضِ وذَرْهُ عن حِمَاهُ واسْتَكْفِ وَقْعَ سِنَانِه
وتجنَّبْ مراتعَ الظَّبْي واحْذَرْ لفتـةَ الرِّيمِ في مراتـع بَانِـه
لا تُعِرْ نظرة لساحِرِ طَرْفٍ قَـطُّ يومـاً واسألهُ حِفْظَ أمانه
قد رَمَانِي من بَيْنها ذلك الرِّيـ ـمُ بسحر اللِّحَاظ من أجْفَانِه
ملك القَلْبِ فهو سُلْطَانُ حُسْنٍ كامـلٍ فيـه جـلَّ عن نُقْصَانِه
فقلوبُ العُشَّاقِ بـين يَدَيْـهِ صِرْنَ مثل الكُرَاتِ في صَوْلَجانه
لم يزلْ بي حتى تملَّـك لُبِّي فجفـاني وَلَـجَّ في هِجْرَانِـه
أنـا والله هَالِـكٌ مِنْ جَفَـاهُ وَهْوَ لاهٍ عَنِّي برفعـةِ شانِـه
والـذي حَفَّ يَانِعاً وَرْدَ خدَّيْـ ـهِ بآس العذار من رَيْحَانِـه
وأحـالَ الرُّضَـابَ راحاً بثغرٍ رَصَّـعَ الـدُّرَّ منـه في عِقْيانِه
لا أطعتُ الوشاةَ فيه ولو اسـ ـرَفَ في ظُلْمِـهِ وفي عُدْوانِـه

(١) الأراك: شجر المسواك وهو كثير الفروع لين العود متقابل الأوراك، وله ثمر أحمر داكن يؤكل يسمى البرير، والأراك ينبت في البلاد الحارة، ويوجد في صحراء مصر الجنوبية الشرقية.

غـير أنّي أشكو جفَاهُ لمولىً هو قُطبُ الزّمان سَعْدُ زَمَانه
الإمام الجليل غوثُ البرَايا غَيْثُها المُرتَجَى نَدَى إحْسَانِه
ناصرُ الحقّ والشريعةِ والدّ ين بغَرْبَيْ سِنانِهِ ولسانِه
ذُو سَجايا مثلُ الرياضِ سَقَاهَا وابلُ القَطْرِ من نَدَى تَهْتَانِه
بحرُ جودٍ لهُ جداولُ عَشْرٌ في يديه تَدَفَّقَتْ من بَنَانِه
عالمٌ عاملٌ تَقِيٌّ نَقِيٌّ خاشعٌ للإلهِ في رِضْوَانِه
سار في الخافقين ذكرُ عُلاَهُ وعَلاَ قدرُه على كِيوانِه
فائضُ العلم عن رَوِّية فكرٍ كادَ يَجْلُو سِرّ القَضَا لعِيَانِه
ثاقبُ الفهم كم خَبَابا عُلُومٍ قد جَلاَهَا بالكَشْفِ من بُرْهَانِه
بسَنَا منطقٍ فصاحةُ قُسٍّ عنده باقل لدى سَحْبَانِه
فهو كشافُ مُشْكلاتِ مَعَانٍ حَلْيُ ألفاظها بديعُ بَيَانِه
أيُّها السَّعْدُ قد سَمَوْتَ مَحَلّاً قَصَّر المدحُ عن بُلُوغ رِعانه
كيفَ يتلُو المَقَال آيةَ وَصْفٍ كدرجاتٍ في الذكر من قُرآنِه
فإذا قلتُ والحديثُ شُجُونٌ فاستمعْ منه فيك بعضَ حِسَانه
أنت عينُ الوُجُودِ من أعْيانه بل محلُّ الإبصار من إنسانه
وأرى أنك المرادُ من الكَوْ نِ وقَصْدُ المحيطِ من دَوَرَانِه
علم الله كيف أنت فأعطَا كَ المحلَّ الجليلَ من سُلْطانه
ظلُّه الوارفُ الجليلُ مُرادُ الـ حَقِّ مَجْلَى الوُجُودِ من أكْوَانِه
قَرَّبِه اللهُ مُلكَهُ بك سعداً فَلَكاً دَائِراً بَسْعد قِرَانِه
خَطتْ اركانُهُ بعَزْم وحَزْمٍ قد أقاما المُنَآد من بُنْيَانِه
كان لولاك ركنُه يَتَدَاعى - لا تَدَاعَى - وشِدْتَ من أركانه

ما يراه أولو النُّهى غير جسمٍ أنتَ رُوحُ الحياة في جُثمانِه
ورآك العبادُ من نعم اللـ ـهِ عليه وطَوْلِهِ وامْتنانِه
إيه سعدَ الورى لعلّك تُصغِي نحو وَصّافِ مَدحِكُمْ حَسّانِه
عبدُك الطّالَويّ مَنْ قيل فيه شاعِرُ العَصْر بُحتُريُّ زَمانِه
كم لهُ فيك من فَوائِد غُرٌّ كالدَّرارِي يُخجلْنَ دُرَّ جُمانِه
مثل سَيّارةِ النُّجومِ زَوَاهٍ سِرْنَ في الخافِقين مَعْ رُكبانِه
فهي حَلْيُ الزّمانِ في جِيدِه العا طِلِ باقٍ والشُّنْفُ في آذانِه
أنت سَعْدُ الوَرَى ونَيِّرُها الأعْـ ـظَمُ والسِّر سَفَّ عن كِتْمانِه
عجبَ القَوْمُ من سَناك وقدْ أشْـ ـرَقَ هذا الوُجُودَ من لَمعَانِه
وأضاءَ الأكوانَ شَرْقاً وغرباً وتوارَى عن مَنْزِلي ومَغَانِه
ما توارى أستغفرُ الله ضَنّاً بلْ لِحَظٍّ ما زال في حِرْمَانِه
فعسى نظرةٌ من السَّعْدِ تُدْني عينَ حِرْمانِه إلى رَحْمَانِه
دُمْتَ للعالمين سَعْدَ البَرايَا باهرَ الفضْلِ في عُلُوِّ مكانِه

ومما كتبه لأسعد أفندي في طلب شفاعة

ومما كتبتُ به لولده أفضلِ العلماء، وأسْعَدِ الفُضَلاء، مولانا أسعد أفندي، وهو يومئذٍ مدرسُ السُّلَيمانية، راجياً من هِمَّتِه العلية، شفاعته لنيابة محمود باشا بقسطنطينية المحميّة، قولي:

أسعدَ شُهْبِ السَّماءِ أسْعَدُها وأسْعَدُ الفاضلين أسْعَدُها
إمامُها صَدْرُها مُهَذّبُها سَيِّدُها سَعْدُها مُسَوَّدُها

ربيعُهــا غيثُهــا مُؤَمِّلُهــا · صَمْصَامُهــا في الوغــى مُهَنَّدُهــا
شمسُ ضحاهــا هــلالُ ليلتهــا دُرُّ مقاصيرِهــا زَبَرْجَدُهــا
أرْوَعُهــا منطقــاً وأوْرَعُهــا نُطْقاً وفي البحث فهو أجْلَدُهــا
بمنطــقٍ لو وَعَــى فَصَاحَتَــه قُسُّ إيــادٍ لَرَاح يَحْسُدُهــا
من دوحة السَّعْدِ طاب مَغْرِسُهــا وقــد زكــى فرْعُهــا ومَحْتِدُهــا
ذو هِمَّــةٍ في السماء هَامَتُهــا حيــث سُهاهــا وحيــثُ مَرْقَدُهــا
وعزمــةٍ في الأمور ماضيــةٍ أقرب شيءٍ إليــه أبْعَدُهــا
تأبــى سَجَايــاه غيــر مَكْرُمَــةٍ أقرب منّي إليّ موردُهــا
قصــدتُ عــالي ذُراه يشفــعُ لي في خدمــةٍ منــه لي يقلّدُهــا
جيــدُ رجــائي كطوق سَاجِعَــةٍ بحُسْنِــه يَزْدَهي مُقَلَّدُهــا
محمود .باشا وتلــك منــه يــدٌ أشكرُهــا مُدَّتِي وأحْمَدُهــا
لا برح الدهرَ رُكْنُ ساحَتِــه كعبَة فضلٍ والنــاسُ تقصُدَهــا
في دولــةٍ سعدُهــا يؤيِّدُهــا إذا نقــض دَوْرُهــا يجدِّدُهــا

ومن شعره في الحنين إلى الشام

صدر مكاتبة من الداعي بقسطنطينية المحميَّة، إلى الديار الشاميّة، وقد شِمْتُ من نحوها بَرْقاً لمَوعاً، فأتبعتُه دموعاً، عام ألف:

إيــه يابرقُ قُلْ حديثاً عن الشَّا مَ فحيَّــا الإلــهُ عنّي الشّآمَــا
أهْرِعْــتَ الآفــاقَ تحمــلُ نحوي من سُليمْان حِفظَ الوِدادِ سَلاَما
أم حكيــتَ ابتسامَها لِيَ حتى لم أزلْ هائماً بهــا مُسْتَهامَــا
يــا سميري شِمْ بارِقَ الشَّامِ عَنّي إنَّ طَرْفي بدمعــه قــد أغَامــا

وسَلِ العَـارض الجنوبيّ يَحْـدِي بالنُّعَامِـيِّ هـل زار داراً اماما
فسقاهـا ريّـاً ولا رِيَّ بعـدي يـا سَقَاهـا دُنُوّ عهـدي سِجَامـا
أنـــا بالرَّومِ والمنـــازل بالشا مِ وقلـبي حيـثُ الغَرامُ أقَامَـا

صدر مكاتبة إلى الأستاذ علي بن غانم المقدسي

ومنْ ذلك ما كتبتُ به صدرَ مكاتبةٍ من الديار الرُّومية، إلى القاهرة المُعِزِّيَة، إلى الأستاذ بركةِ العباد والبلاد، شيخ مشايخ الإسلام، عَلاَّمة العالم ومفتي الأنام، عليِّ بن غَانم المقدسِيٍّ أعلى الله قدره، وأنفذ في العلوم العربية أمره، وذلك في عام ألف، قولي:

من العَالَمِ القُدْسِيِ الى العَالِمِ القُدْسِي مُنير مَنَار الشَّرْع بالرأي والحَدْسِ
سَلاَمٌ كزَهْرِ النَّرجَسِ الغض ايقظت لوا حظَهُ الوَسْنَى صَبَا مطلع الشمسِ
لـدى رَوضـةِ المقيـاسِ والمُشْتَهـى الذي غَـدَا دون رَوْضَاتِ المُنى مُشْتَهى النفسِ
بحيـث أفـاءَ الظِـلُّ فوق نَميرِهِ وغَنَّ حَمَامٌ بالحمى طَيِّبَ الجَرْسِ
فما الليـلُ إلاَّ السِّرُّ فوق لُجَيْنِهِ يسيلُ أو البَيْضَاءُ في حُلَّةِ وَرْسِ
سقاهـا وحَيَّاهـا الإلـهُ معاهـداً لحُسَّانَـةِ الآرامِ والرشأِ الأنـسي
ولا زال خَفَّـاقُ النسيم يطيفُ في مَعَالِمِ رَوْضِ الفَضْلِ والحَرَمِ القُدْسي

وصدر مكاتبة إلى الشيخ زين العابدين البكري

ومن هذا القبيل، وما يجري مجراه في التمثيل ما كتبتُ به من دارِ

الخلافة السنيّة، قسطنطينيَّة المحميَّة، صدر كتاب للقاهرة المعزّيّة، لمظهر الكمالاتِ الإنسانيّة، ومصدر المقامات العرفانية، شيخ العارفين الكاملين، الشيخ زين العابدين البكري سنة اثنين بعد الألف، قولي:

على ساكِني فسطاطِ مصر تحيةٌ ... من الصَّبِّ يزكُو نَشْرُها وسَلاَمُ

وخَصَّ مَغَانِي العِلْمِ والحِلمِ والحِجَى ... بها والتُّقَى والزُّهْد منه غَمَامُ

مَغَاني كراماتِ مَعَاني ولاَيَةٍ ... مَبانِيَ آيٍ وحيُهُنَّ كَلامُ

تحلَّى بها شيخٌ بوارقُ كشفِهِ ... يلوحُ سَنَاهَا للنُّهَى ويُشَامُ[1]

أقام بمصرَ الجودُ قطباً بعصره ... وفي كُلِّ عصرٍ للأنسام إمامُ

هو الفردُ زينُ العابدين الذي به ... لجمع البرايا عُرْوَةٌ وعِصَامُ[2]

به دَوْحَةُ الصِّدّيق طابتْ وأصبحتْ ... لها فوقَ طُوبَى رُتْبَةٌ ومَقَامُ

كرامة للعارف بالله محمد بن أبي الحسن البكري

آية باهرة، وكرامة ظاهرة، وهي ما حدّثني به بدار السلطنة السنيّة، قسطنطينية المحميّة، عام اثنين بعد الألف الوليُّ المهذَّبُ الخِيم، الشعراوي الشيخ عبد الرَّحيم[3]، عن الأستاذ الأعظم، والعارف الأفخم، محمد بن

---

(١) يشام: يرى من بعيد.

(٢) العصام: سداد فم القربة.

(٣) هو عبد الرحيم بن عبد الحسن بن عبد الرحمن الشعراني المصري، الشافعي، نزيل القسطنطينية، وأحد مدرسي المدرسة الأحمدية بها.

من مؤلفاته: إيقاظ الوسنان من سنته في بيان الموصول وصلته، وله شعر. توفي سنة ١٠٤٨ هـ.

انظر خلاصة الأثر ٢/٤١٠، هدية العارفين ١/٥٦٣.

أبي الحسن البكريّ الصّدّيقي، قال: كنتُ في خدمته بالحرم الشريف في بعض مجاوراته عند منزله بباب إبراهيم، وقد طلب منه نفقةً بعضُ خُدَّامه، فقال: نُرسل إن شاء الله، فعاد الخادم فأنّه بما أجابه أولاً، وتكرر الطلب من الخادم مراراً، فنهض الشيخُ إلى الطَّوافِ وأنا معه، وهو يقول ويكرِّر هذين البيتين، وهما:

صَوَّحَ النَّبْتُ فاسْقِهِ قَطْرَةً من سَحَائِبَكْ
وأغِثْنَا فإنَّنَا في ترجيٍّ مَوَاهِبَكْ

ولم يزلْ يكرِّرُهما، فبينما هو في الطواف كذلك، وإذا بشخص هنديٍّ قد أقبل على الشيخ وقبّل يده، ودفع له صرة مختومة من الدنانير،وقال: يا سيِّدي هذه هديةٌ أرسلها لك ملكُ الهِند معي، فتناولها وسجد شكراً لله تعالى، وكانتْ له كرامة، أحلّه الله دار المقامة.

قلت ومن هذا القبيل الأبيات المشهورة لبعض أكابر الصوفية وهي مما يستعان بها في الملمات، وتكشف بها الكُرُبات، كذا حدثني عنها بعض مشايخي من أهل الطريق، وهي هذه:

يا مَن تُحَلُّ بذكره عُقَدُ النَّوائِبِ والشَّدَائِدْ
يا مَنْ إليه المُشْتَكَى وإليه أمْرُ الخَلْقِ عَائِدْ
يا حيُّ يا قيّوم يَا صَمَدٌ تعالى عن مُضَادِدْ
أنت العليمُ بما بُلِيتُ به وأنت عليه شَاهِدْ
أنتَ الرقيبُ على العِبَادِ وأنْتَ في الملكوتِ وَاحِدْ
أنت المنَزَّهُ يا بديعَ الخَلْق عن وَلَدٍ ووَالِدْ
أنت المُعِزُّ لمنْ أطاعَكَ والمُذِلُّ لكلِّ جَاحِدْ

إمّن دعوتُـــــــــك والهمو   مُ جيوشُهـــا قَلْبِي تُطَـــارِدْ
فامزُج بَحْولِـــــك كُرْبَتِي   يــا مَنْ لَـــهُ حُسْنُ العَوائِــدْ
فخفيُّ لُطْفِــــك يُسْتَعَـــا   ذُ بــه عـــلى الزَّمَنِ المُعَانِــدْ
أنـــــــت المُيَسِّرُ والمُسَبِّـ   ـبُ والمُسَهِّــلُ والمُسَاعِــدْ
أنـــــــت المفرجِ للهمو   م إذا تعاسرت المقاصـــــدْ
يَسِّرْ لنـــا فَرَجـــاً مُريـ   ـبـــاً يـــا إلهي لا تـبـاعِـدْ
كُنْ رَاحِمِي فلقـــــد أيِسْـ   ـتُ من الأقـــارب والأباعِــدْ
يـــا ربِّ صَـــلِّ عـــلى النَـــبيِّ (م) وآلـــه مـــا خرّ سَاجِــدْ

أديب مغربي في زيارة القسطنطينية

ورد علينا قسطنطينية العظمى، ودار الخلافة الكبرى، عام إحدى وألف، الشابُّ الفاضل، اللَّوذعي الكامل، شمس الدين محمد الأديب المغربي[1]، الفاسيّ المالكي، فأنشدنا من لفظه الرائق، وحفظه الفائق، الأبيات الحسنة، المشتملة على النكات المستحسنة، وكان حسن الإيراد،

---

(١) هو محمد بن ابراهيم الفاسي، المعروف ببديع الزمان، كان أديباً شاعراً ذا نظم رائق ونثر فائق.

رحل من المغرب إلى المشرق ودخل الروم واجتمع بعلمائها، ثم ذهب إلى مصر حيث انتهى به المطاف إلى الإقامة بمدينة المحلة لدى قاضيها الذي يسر له المقام وأكرمه. ولكنه ما لبث أن توفى سنة ١٠٠٦ هـ.

ويقول الخفاجي في ذلك: إنه لم يزل باللهو معروفاً، وبغزلان النقا مشغولاً مشغوفاً... حتى أذهب هذا الأمر خبره وخبره، ومحا بيد الضنا عينه وأثره.

انظر ريحانة الألبا ٣٣٣/١، ونفحة الريحانة ٢١/٥، خلاصة الأثر ٣١١/٣.

مقبول الإنشاد، مع قافية من رقّةِ الحضارة، ودقة البداوة، قد جمع بين حسن البادرة، ولطف النكتة والنادرة، كتب إليّ من نظمه هذه القصيدة الغرّاء، والفريدة الزّهْرَاء، وهي قوله[1]:

لِدَمْعِيَ بعـــد بُعْدِهِمُ انهِمالُ ... فكمْ عن حفظ عَهْد الصَّبِّ مَالُوا
وحَلُّوا القلـبَ داراً واسْتَحَلُّوا ... دَمِي عَمْـداً وعن وُدِّي استحالُوا
وحـان الحينُ حين البينُ بانَتْ ... مطاياهُمْ وأعلاهـا الرجـالُ[2]
وقـال القلب مع صَبْرِي وعَقْلِي ... وأفْرَاحِي لنـا عنـكَ ارْتِحَالُ
وأبقـتْ لي النوى جِسماً كأنِّي ... لفرطِ السُّقْم حَـالٌ أو مُحَـالُ
أُفدِّيهِمْ بأموالي ونَفْسِي ... وهـل لي في الهوى نفسٌ ومَالُ
أأسلوهُمْ مَـدَى الدنيـا سَلُوهُم ... ولو أَصْلَوْا فؤادي ثم صَالُوا
شعـاري حُبُّهُمْ والمـدحُ دِينِي ... لمولى الفضـل دَرْويشِ بن طَالُو
هو النحرير بحرُ العـلم مَهْمَـا ... أهمَّ الأمر أو أعْيَـا السُّؤَالُ
ذَكِـيٌّ أَلْمَعِـيٌّ لَـوْذَعِـيٌّ ... سَرَى مالـه حَقّـاً مِثَـالُ
لـه عـلمٌ حنيفيٌّ محيـطٌ ... وحِلْم أحنفيٌّ واحـتمالُ
وفكرٌ عنـد ذي التحقيق ذكرٌ ... بشكر اللهِ مُغْرًى لا يَزالُ
حَوَى كُـلَّ المعـاني والمعـالي ... بعقـلٍ مالـه عنهـا[3] انْعِقَالُ
له نَظْمٌ كدُرٍّ في نُحُورِ الْـ ... ـغواني دُونَـه السِّحْر الحلالُ
مزيـدٌ في العُـلاَ[4] من غير نِدٍّ ... فَـدَعْ ما قيل أو ما قد يُقَالُ

---

(١) القصيدة التالية في نفحة الريحانة ٥/٢٢، ٢٣، وخلاصة الأثر ٣/٣١٢، ٣١٣.

(٢) في الريحانة: الرحال.

(٣) في الريحانة: عنه.

(٤) في الريحانة: المعالي.

فَيمِّمْ دَارَهُ وانزل ذُرَاهُ[1]	إذا جارَ الأعادِي واستَطَالُوا
وقُل للمدَّعي هَلْ حُزت أصلاً	لـه بالطالِويِّين اتِّصَالُ
لقينـاه بإسلامبول لَمّـا	عَدِمْنـا فيـه حُرًّا يُسْتَمـالُ
فَولاَّنـا وأولانـا بَشَاشاً	وبشراً دُونَـه العَـذْبُ الزُّلاَلُ
وأنسانـا بإينـاسٍ أُنَاساً	لهم في القلـب حِـلٌّ وارتحالُ
ألا يا ابن الأُلَى قد حُزَت فخراً	لـه في وَجْنَـةِ البدر انتعالُ[2]
وسُدْتَ اليوم أهـل الأرض فَاهْنَا	بِعِزٍّ مالَـهُ عنـك انتقـالُ
فخذها مثـل خُلْقِ منك سَهْلٍ	عَلَى الأعـداء صَعْبٍ لا يُنَالُ
كساهـا مدحـك المحمودُ حُسْناً	لهـا فيـه ازدهـارٌ واختيـالُ
فتبـدي تـارةً دلاً لديكُمْ	ويَغرُوهـا عـلى الدنيـا دَلاَلُ
ترجِّي أن تُنيلُوهـا قَبُولا	عَسَى يبـدُو بها منـك احتفالُ
فإن أحسنتَ كان الأمرُ بِدْعاً	وإلا منـكم يُرْجَى الكمالُ

ثم أعقب هذا النظم بنثر[3] بديع، وشَذَر منيع، أبدع فيه كلَّ الإبداع، وأتى بما يروق النواظر ويشنف الأسماع، وهو[3] قوله:

رَضِيَ اللهُ عنك وأرضاك، وأخْصب في مربع الحامد مَرْعَاك، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، سلاماً يتخذُه البدرُ بَرْقَ مُحَيّاه، وقام لإجلاله سنا شمس الضحى وحَيّاه، وَافَتْكَ حَاسِرةً حَسِيرَة، ونُزْهة يسيرة، يُشَرِّفُها ذكرك، ويكرِّمُها شُكْرك، والعُذْر واضِح، وتَفْسِيرُ الواضح فاضح، فإنْ

---

(١) في الريحانة: حماه.

(٢) في الريحانة: له في جنة الدهر انتقال.

(٣) لم ترد هذا العبارة في الريحانة.

لي خاطراً متى تفكّر تفطّر، وإن راجع وتدبّر القدر تصبّر، والحُرّ خِلٌّ عَاذِر، واللئيم خِبٌّ غادر، ومثلك يَغُضّ ولا يُغضي، وحلمُك لا شك إلى الرضا يُفْضي، والسلام.

وكتبه المحب الأكبر، والفقير الأصغر، النائي عن الإخوان والأوطان، محمد المدعو بين فضلاء الأوان، ببديع بل بشنيع الزمان. لطف اللهُ به آمين[1].

وحنَّ يوماً إلى وطنه، حنين النجيب إلى عَطَنِه، والمهجور إلى سكنه، وقد ذكر مَسقط راسه، ومُشْتَعل نبْراسِه، وهي البلدة البيضاء أعني فاس، فتصاعدتْ منه لفُرقتها الأنفاس، حتى ذرفتْ عيناه بالدُّموع، شوقاً إلى تلك المنازل والربوع، فلما أن رأى الحاضرون حاله، رَقّ كلٌّ ورثى له[2]، فقلت على لسان حاله، وقد توجه لمنزلة ببلباله، قطعة سبقته إلى النادي، وكانت عندي كبعض الأيادي، مع لُغْزٍ في اسم بلدةِ مُرَّاكُش وكان قد جرى شيءٌ من ذكرها، فنظمتُ ذلك أيضاً في إثرها:

رَبَعَتْ على تلك الرُّبوعِ هَتُونُ	وطَفَاءُ فيها للبروقِ حَنِينُ
مَسْفُوحةُ العبراتِ سَفْح مَدَامِعِي	نحو الدِّيار كأنّهنَّ عُيُونُ
فسقى معالم فاس حيث صَبَابتي	وصَدَايَ[3] فيها صاحبٌ وخَدِينُ
فارقتُها وأنا الضَّنِينُ ورُبَّما	يَسْخو الفتى بالرُّوح وهو ضنينُ

---

(١) يرد النص التالي برمته في الريحانة، مصدراً بقوله: وحكى الطالوي أنه... وكذلك يرد في خلاصة الأثر.

(٢) في الريحانة: رق كل له ورثى له.

(٣) في الريحانة: وصباي.

فَعَلى مَعَالِمِها تحيَّةُ مُغْرَمٍ   في قلبهِ لَهوَى الديارِ شجونُ

وأمـــا اللغز فقولي

وما اسْمٌ خُمَاسِيٌّ مُسَمَّاهُ بلدةٌ   تركَّبَ من شَكَّيْنِ وهو يَقِينُ

فَشَكٌّ تراهُ العينُ بادٍ بِلاَ مِرَا   وشَكٌّ بقلبٍ لا تراه عُيُونُ

فكتب إليَّ بسُرعة، لما وصلتْ إليه الرقعة: وما زال العبدُ من حين مُفَارقتكُمْ لا يَقرُّ له قرار، إلى أن وَرَدَ شَذَا نَظْمكم المِعْطار، فقال طالباً القَبُول، على استعجالِ من الرسول:

مولاي لا زِلتَ فَرْداً في المكارم يا   أبا المعالي ودُمْ في أرْفَعِ الدَّرَجِ

ألْبَسْتَ فَاساً وأهليها ثيابَ عُلاً   قـد نَمَّقَتْها يَدَا تقريظِك البَهِجِ

لما جَرَى ذِكْرُها في رُحْبِ خَاطِرِكُمْ   أنشدْتها قولَ صَبٍّ بالهَوَى لَهِجِ

لتَهن يا فَاسُ واخلع ما عَليك فَقَدْ   ذُكِرْتِ ثَمَّ على ما فِيكِ من عِوَجِ

وأما لُغزكم السَّهْل المُمْتَنع، فهو في بلدةٍ هي لقلب الصَبِّ الحَبِيب المُمْتنع، وعاجلني الرَّسُول، على نَظْمٍ بعض الفُضُول، ولكنْ إن شَاء الله في غَدٍ يَقَعُ الإتمام، وعالماً ومُقِرًّا أن لَيْس له[1] بساحةِ اقتِداركم والله إلْهام، فعطفتُ عنان اليراعة ثانياً، وكتبتُ إليه ثانياً، قولي:

مـا ذاتُ عودٍ لها لَحْن من الهَزَجِ   باتَتْ تُغَنِّي به في رَوْضِها البَهِجِ

لهـا بدعوةِ نُوحٍ طَوْقُ غَانِيَـةٍ   على وِشَاحٍ من الأزْهَارِ مُنْتَسَجِ

مخضُوبةُ الكفِّ لا مِنْ عَنْدمٍ خُضِبَتْ   ذاك البنان ولكنْ من دَمِ المُهَجِ

---

(١) في الريحانة: أن له.

مُدَّتْ قوادمُ ليلٍ فيه لاحَ لنا　　بيضُ الخَوافِي كصُبْحٍ منهُ منبلَجِ
يوماً بأحسن مرأى من نِظام فَتىً　　بذكر فاسَ ومَغْنَى رَبْعِهَا لَهِجِ[1]

وخرجنا يوماً من المنزل المعهود وهو دار التعليم بمحلَّةِ سُلْطان سَلِيم، في وقتٍ غَابَ واشِيه، ورقَّت حَوَاشِيه، فكأنما هو الزَّمان الذي غنَّاه الطَّائِيُّ[2] بقوله:

رَقَّتْ حَوَاشي الدَّهْرُ فهي تُمَرْمِرُ　　وغَدَا الثَّرَى في حَلْيِه يَتَكَسَّرُ[3]

لبعض الحدائق المعمورة، وهي باللَّذَّات مَغْمورة، تُعرف بأرض قاسم باشا، والوقتُ يُصَرِّفُنا كيف شا، وقد جَلَتْ علينا السَّمَا من عَرائسها من بنات فخر، فقابلَتْها الأرضُ بخمائِلِ الزهر، فافتتحت المقال، بنظم واقعة الحال، في ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وألف:

سِرْنَا بإسْلاَمْ بُولَ نَبْغِي نُزْهَةٍ　　دَعَتْ النُّفُوسَ إلى الفَضَاءِ المُطْلَقِ
ثم امتطينا البَحْرَ في نُوحِيَّةٍ　　تجري بنا في لُجِّ مَوْجٍ مُطْبِقِ
نَشَرتْ قَوادِمَ طائرٍ ومَشَتْ بنا　　فيه كنَسْرٍ في السماء مُحَلِّقِ
بَارَتْ عُقابَ الجَوِّ إذ طارتْ بِهِ　　بمثالِ قَادِمَتَيْ جَنَاحِ العَقْعَقِ[4]
فكأنها بازٍ ونحن بمَتْنِها　　تَهْوي بنا طوراً وطَوْراً تَرْتَقِي
حتى رَسَتْ في شاطِىء ورَمَتْ بنا　　تلك المَذَانِبُ[5] وسط روضٍ مُونِقِ

---

(۱) إلى هنا ينتهي ما ورد في الريحانة والخلاصة.
(۲) هو أبو تمام، والبيت صدر قصيدة يمدح بها المعتصم، انظر ديوانه ١٥٦.
(۳) تمرمر: تتمايل، ويتكسر: يتثنى.
(٤) العقعق: طائر نحو الحمامة طويل الذنب فيه بياض وسواد، وهو نوع من الغربان.
(٥) المذانب: جمع مذنب، وهو مسيل الماء إلى الأرض.

فـإذا بأرضٍ في الصفاء كَعَسْجَدِ — والمَنْـــدَلُ الشحْرِيّ في المُتَنَشّقِ
حُفَّـتْ بسَرْوٍ كالقِيَـانِ تَلَفَّعَتْ — خُضرَ المُلاَ وكَشَفْنَ عن سَاقٍ نَقِي
نَصَبَتْ كأمثَـال الزَّبرجَدِ دَارَةً — في صَحْنِ تبْرٍ بالزُّمُرُّدِ مُحْـدَقِ
وكأنهـــا وَقَفَـــتْ لردِّ تحيـــةٍ — منّـــا على قَـدَم بطَرْفٍ مُطْرِقِ
في روضـة بـات السِّمَاكُ يُظِلّها — والنجمُ باكرَهَـا بغيـثٍ مُغْـدِقِ
وشقائـقُ النُّعْمان وَسْطَ لِقَاحِهـا — مثـلُ العقيقِ بصحنِ دُرٍّ مُشْرِقِ
وغـدا الهزار بها يُحاكي صَوْتُـه — ألحـــانَ قُمْرِيٍّ وسَجْـــعَ مُطَوَّقِ
والغـــيمُ في وَسْطِ السماءِ كأنَّـهُ — قِطَـعُ اللُّجَيْن على بِسَاطٍ أزْرَقِ
ونَديمُنـا لَـدْنُ المَعَاطِـفِ جسْمُـهُ — رَيَّـانُ من مَـاءِ الصِّبَا المُتَرَقْرِقِ
قيـدُ النَّواظِرِ حُسْنُـهُ ولِحاظُـهُ — شَرَكُ المَهَـــا وحبالَـةُ المُتَعشّقِ
وخليلُنـا من أهل فاسٍ فاضلٌ — لكنَّـــه للنُّسْك غـــيرُ مُوَفَّـــقِ
مـازال يذكر فاسَ والدَّوْحَ الذي — فيهـا وشاطـىء نهرهـا المُتَدَفّقِ
حـتى لخلنـــا أننـا منها على — وادِي الجواهر أو بِرَبْوَةِ جِلّـقِ

فكتب تقريظاً لهذه الأبيات بأبيات بديعة، كأنها في رَوْض الأدب وشيعـة [1]، وهي قوله:

أنسيمُ روضٍ طـابَ في المُتَنَشّقِ — أمْ نَقْرُ عُودٍ أم هَدِيرُ مُطَوَّقِ
أم قطعـةٌ من نظم شعرٍ حَاكَهَا — فكرُ الجيـــدِ الطالويِّ المُفْلِـق
أم نسبـةٌ يسْمو بهـا أوْجَ العُلاَ — كـلآلِيءِ في الجيد أو في المَنْطِقِ
يَرْقَى بها دَرَجَ المفاخِرِ مَنْ لَهُ — فيهـا انتسابٌ نحو رفعة أُرْتُقِ
وأبو المعـــالي وابنُهـا وخَليلُها — من زَهْرِهَا مِثْلُ الهلال المشرقِ

---

(١) الوشيعة: الألوان في الثوب من حمراء وصفراء.

وجاءنا يوماً وقد ضاعت له سُبْحة كانت معه، وقد جزع عليها جزعاً أسال مدمعه، فأنشدته على البديه، من غير تمويه، مضمناً بيت العجاج، وهو لمفارقتها في انزعاج:

وصاحبٍ أضاع يوماً سبحة   أصبح منها في اضطرابٍ وقَلَقْ
قلنا له صِفْ شَكْلَها قال لنا: فيها خُطُوطٌ من سَوَادٍ وبَلَقْ

فنسي بها تسبيحه، وجعلها ورده وتسبيحه.

وضَمّنا معه مجلسٌ بديع المعاني، رفيع المباني، وسط روض ناحتْ أطْيَارُه، وفاحت أزهارُه، وقد مَرّ النسيمُ فيه على بِركةٍ ماؤُها كالنسيم، وبها نَوْفَرَةٌ[٢] فَوّارة قد أسرف الماء من شُرُفاتها، وكان يسيلُ من حافّاتها، فقال: يا سيدي أنظر إلى هذه النوفرة والماء فيها إلى فيها، بالله إلاّ قلت شيئاً فيها، فقلت على البديه:

ونَوْفَرةٍ كعينِ الصَّبِّ سَكْرَى   تَجُمُّ الماءَ[٣] خَشْيَةَ أن يُرَاقَا
ذكرتُ لها النَّوَى يوماً ففاضتْ   وصَارتْ كُلُّها للدَّمع مَآقَا

فكاد أن يطير فرحاً، وازداد نشاطه مرحاً.

ومما أنشدنا له وقد أغضبه إنسان بفاس، فتوجه إلى تلمسان، وقال مُنْشداً:

---

(١) الشطرة الثانية لهذا الشطر من شعر رؤبة:

كأنه في الجلد توليع البهق

(٢) النوفرة: الفسقية، وهي حوض من رخام مستدير غالباً، تمج الماء فيه نافورة، ويكون في القصور والحدائق والميادين.

(٣) تجم الماء: تحفظه وتجمعه.

فارقتُ فَاساً وأهْلِيها وقلتُ لَهَا ... ما أنتِ دارٌ لِحُرٍّ بلْ لإنِسانِ
كم من وضيعٍ وذِي خَرَق ومَنْقَصَةٍ ... يَحْظَى لديك ويُفْضِي خلف إحسانِ
إليك عني وعن مِثْلي الثبات فقد ... أصبحتُ منكِ مهيناً في تِلْمِسانِ
والنفسُ آلتْ وعينُ اللهِ تحرسُها ... حتى تُبَلِّغَني أقصَى خُراسَانِ

ومما أنشدنا من حفظه لابن حَمْدِيس الصِّقِلّيِّ، وهو بديع، من قصيدةٍ يصفُ فيها النُّوق:

ونوقٍ حَنَاهُنَّ الهُزَالُ كأنَّها ... حَنِياتُ نَبْع في أكُفٍّ جَوَاذِب[1]
إذا وردتْ من ذُرْقَةِ الماءِ أعْيُناً ... وقَفْنَ على أرْجَائِها كالحَوَاجِبِ

وأنشدني من قصيدة لمحمد بن هانىء شاعر الأندلس، في جعفر بن عليّ أمير المسيلة والزاب[2]:

المُدْنَفَانِ من البريةِ كُلِّها ... جِسْمِي وطَرْفٌ بَابِليٌّ أحْوَرُ
والمُشْرِقاتُ النيِّراتُ ثَلاثَةٌ ... الشَّمْسُ والبدرُ المنيرُ وجَعْفَرُ

ومما أنشدنا لصاحب الريحانة إبن الخطيب[3]، قوله:

تَقَلَّدَنِي دَهْرِي حُسَاماً مُهَنَّداً ... لَهُ في رِقَاب الدارعينَ صَليلُ

---

(١) حناهن: ثناهن، والنبع: شجر تتخذ منه القسي والسهام، والقوس تنثني في يد الجاذب فشبّه النوق الهزيلة المحنية بها.

(٢) هو جعفر بن علي بن أحمد بن حمدان الأندلسي، أبو علي، ابن غلبون، أمير الزاب (من أعمال إفريقية) كان جواداً، ولابن هانىء فيه مدائح، ونشأت فتنة بينه وبين زيري بن مناد الصنهاجي فقتل زيري، فقام ابنه بكلين بن زيري، فانقلب جعفر إلى الأندلس فقتل فيها، وهو باني المسيلة من بلاد المغرب.

انظر وفيات الأعيان ١/١١٣، (الأعلام ٢/١١٩، ١٢٠).

(٣) هو محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، لسان الدين، وزير مؤرخ أديب، كان يلقب بذي الوزارتين: القلم والسيف، ويقال له ذو العمرين لاشتغاله =

وما زال يُلفَى في الحوادث ضَازِباً ففيـه لأحـداثِ الزمـان فُلُولُ

وأنشدنا قال: أنشدها إبنُ الخطيب صاحبُ الريحانة في كتاب له سَمَّاه « السِّحْر والشحر » في جواد:

ومن جُودِهِ يَرْمِي العُـداة بأسْهُمٍ من الذَّهبِ الإبْريز صيغَتْ نُصُولَها

يُدَاوِي بها المجروحُ مِنْها جراحَهُ وتتخـذُ الأكْفَـافَ منهـا قتيلُها

وأنشدنا غير ذلك، هاجر للقاهرة المعزية، فاخترَتْهُ المِنْية، رحمهُ الله.

وقال في الحنين إلى الشام وسكانها

ومما كتبتُ به غُرةَ شعبان عام إحدى وألف من الديار الرومية إلى دمشق الشام، لا أغبَّها صوبُ الغمام، متشوقاً لسُكَّانها من الفُضَلاء، وحُمَاةِ سَاحَتِها من الأمراء، ومشايخها من الصُّوفيّة، قولي:

أنُسَيْمَـــةَ الروضِ المطــير بالعَهْـــــد من زَمَن السُّرُورِ

وأنيـــق أيَّـــام الشَّبَـــاب وعيشِهِ الغَــضِّ النَّضِـــيرِ

ووثيـــقِ أوْقَـــاتِ التَّصَـــابي يَـــا لَمَعْهَدِهـــا الخَطـــيرِ

= بالتصنيف في ليله وبتدبير المملكة في نهاره، وزر لأبي الحجاج يوسف بن اسماعيل سلطان غرناطة ولابنه الغني بالله، وانتهى به الأمر إلى الهجرة من الأندلس إلى تلمسان، حيث قتل بأحد سجونها سنة ٧٧٦ هـ.

وله مؤلفات كثيرة منها ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب وهو مجموع رسائل ديوانية وإخوانية، والسحر والشعر الذي يذكره المؤلف باسم السحر والشحر، وكان رسالة لأحد الإخوة الجزائريين لنيل درجة الماجستير من كلية الآداب بجامعة عين شمس.

انظر في ترجمة ابن الخطيب الكتاب القيم الذي ألفه باسمه المقري وسماه « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب »، وقد طبع مراراً.

ومعاهدِ كان الشَّبابُ وشَرْخُه فيها سَمِيرِ
هَوَّمْتُ فيه فصاح بي داعِي الصَّباحِ المُسْتَنيرِ
فطفقتُ أنظرُ منه في أعقابِ بَرْقٍ مُسْتَطِيرِ
قد كان حُسَّانُ المرَا بع فيه حُسَّانَ البُدُورِ
أيَّانَ غُصْنُ شبيبتي رَيَّانُ من مَاءِ الغُرُورِ
وذُؤابتي شَرَكُ المَهَا وحُبَالَةُ الظَّبْيِ الغريرِ
حيثُ الشَّبيبةُ رَوْضَةٌ عَنَّاءُ صَافِيَةُ الغدِيرِ
فَنَّاء رائدُها المَهَا ة الرُّودُ من رِيمِ الخُدُورِ
من كلِّ مخطفة الحَشَا كأخي الرَّشَا أُخْتِ الغزيرِ
طلعتْ بليلِ ذوائبٍ أبْهَى من القمَرِ المُنِيرِ
بيضاء وشحَتِ التَّرا ئبَ والنُّحورَ من الصُّدُورِ
وكسا معاطفها الشبا بُ الرُّوقُ حُسَّانِ الحَبيرِ
تمشي أناةَ الخَطْوِ فيها رَوْعةُ الظَّبْيِ النَّفُورِ
قَوِيَتْ على قَتْلي وفي ألحاظها ضعفُ الفُتُورِ
وبما جَرَى يَوْمُ النَّوَى من دُرٍّ مَدْمَعِها النَّثِيرِ
كالعقدِ أسْلَمَهُ النّظا مُ من التَّرائِبِ والنُّحُورِ
وبوقفةِ التوديع والـ أنفَاسُ تَصعَدُ بالزَّفِيرِ
ويَدُ الفِراقِ تَشُبّ في الـ أحْشَاءِ نيرانَ السَّعِيرِ
إلاَّ سَرَيْتِ مع الصَّبَا يا نَسْمَةَ الرَّوْض المَطِيرِ
فاجتزتِ من أرضِ العَرَا قِ على الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ
ووقفتِ بالزَّوْراء وَقْـ ـفَةَ زائرٍ أوْفَى مَزُورِ

وحَمَلْـــــــتِ للكَرْخ التَّحِـ ـيَــــةَ من أخــي سِجْنٍ أسِيرِ
ونزلــــــــتِ من نهر الأُبُلَّـ ـةِ والصَّرَاةِ عـــلى شَفِـــيرِ
وأقمــــــــتِ في شَطٍّ الفرَا تِ بمُلْتَقــى العَــذْبِ النَّمِــيرِ
وسمعـــــتِ هَيْنَمــــة الرِّيَــا ضِ وصَوْتَ جائِشَةِ الخَرِيرِ
وجذبـــتِ في تلــك الحــدا ئِــقِ طَوْقَ سَاجعـــةِ الهَدِيرِ
حُفَّـــــتْ بسَرْوٍ كالقِيَــــا نِ تَلَفَّعـــــتْ خُضرَ الحَريرِ
ولثمـــتِ خَــدَّ الرَّوْضِ فِيـ ـهِ نَبَـــاتُ رَيْحـــانٍ طَرِيرِ
وثنيـــتِ عِطْفَـــك والصَّبَــا حُ يكــــــادُ يُؤْذِنُ بالسُّفُورِ
وأتيـــتِ بابـــلَ فاصطَبَحْـ ـتِ بمثـــلِ مصبـــاحٍ مُنِــيرِ
يُغنيــــك مُتْهِمَــــةً ومُنْـ ـجِــدَةً سَنَاهـــا عن خَفِــيرِ
ثم انبريـــــتِ مـــــعَ الجَنُو بِ وحُــدْتِ عن مَسْرَى الدَّبُورِ
حــتى نزلــتِ بــذي الأرا كَــةِ أوْ رَثَيْتِ عــلى ثَبِــيرِ[1]
فسقطـــــتِ من أرض الخُزَا مَــى والبَشَامِ عــلى الخَبِــيرِ[2]
وشممـــتِ من طفــل العَشِيِّـ ـةِ نَفْحَــــةً عنـــــد المُرُورِ
وطلعـــتِ نَجْــدًا والدُّجَــى يَنْسَلُّ عن أثوابِ قِـــــــيرِ
ومشيـــــــتِ فوق عُرَارِهِ مـــا بَـــين حَوْذَانٍ وخِيــر[3]

(١) رثى: قعد ولم يستطع القيام، وثبير: اسم جبل.
(٢) الخزامى: عشبة طويلة العيدان حمراء الزهرة، طيبة الريح، ليس في الزهر أطيب ريحاً منها، والبشام: شجر طيب الريح والطعم يستاك به، والخبير: النبات أو العشب، والمؤلف هنا يستعمل ما يسمى في البلاغة بأسلوب الاستخدام، فهو يستخدم المثل القائل (على الخبير سقطت) في معنى طريف آخر غير معناه المعروف.
(٣) الحوذان: نبات عشي من ذوات الفلقتين منه أنواع تزرع لزهرها وأخرى تنبت برية، =

وهبطـــتِ غَوْر تهامـــةٍ والشّهْــبُ مالـــتْ لِلغئورِ
ونزلـــتِ في سَفْـــح الأرَا ك وسُفْـتِ زاهيـةَ البَرير[1]
وسلكـــتِ من وادي العَقيـ ـقِ منابتَ العَمَمِ الشّكِيـرِ[2]
وأملـتِ فيـه ذوائـبَ الأغْ ـصانِ من طَلْـعٍ نَضِيرِ
وهصرتِ بانـــاتِ النّقــا هِصْر الرَّوادِفِ للخُصُورِ
فحملـت عنهـا من غـوا لي المسكِ فَاغِمَـــةَ الزُّهُورِ
وعـــبرتِ دَارين العِطَـــا رِ وشُمْـتِ غاليـةَ العَبـيرِ
وازدَدْتِ من أرج الكِبـــاَ ءِ[3] ورَنْـــدِهِ عنـد المَسِيرِ
وجَزَعْتِ وادي الشِّحر ليـلاً[4] وانثنيـــتِ مـــع البُكورِ
والصُّبـحُ يَخْطِرُ في الدُّجَـى كالوَحْيِ يَخْطِرُ في الضَّمِيْرِ
والنسْرُ فيـــه واقِـــعٌ خَوْفَ الصَّبَـاحِ لـدى الوُكُورِ
وكواكـبُ الجَوْزَاءِ مُمْسِكَـةُ الـ أعِنَّـــــــــةِ عَنْ مَسِيرِ
خَافَـتْ سُهَيْـلاً فانتضَـتْ سَيْفــاً من الشِّعْرى العَبُورِ
والنجمُ يَهْوى للغُرُو بِ كأنّـــه كـفُّ المَسِيرِ
فهبطـتِ رَبْـعَ الشَّامِ دَا رَ اللّهْوِ بَـلْ مَغْنَـى السُّرُورِ
ونزلـــتِ بالوادي المقـــدَّ سِ شاطئـاً غَيْرِ الشَّطِيرِ[5]

= والخير ويقصد به الخيري، نبات له زهر وغلب على أصفره لأنه الذي يستخرج منه الدهن، ويدخل في الأدوية، ويقال للخزامى خيري البر، لأنه أزكى نبات البادية.

(١) سفت أي شحمت، والبرير: هو ثمر شجر الأراك، وقد سبقت الإشارة إليه.

(٢) العمم: النبات طال قليلاً، والشكير: الغصن أول ما ينبت.

(٣) الكباء: عود البخور أو ضرب منه.

(٤) جزع الوادي: قطعه عرضاً.

(٥) الشطير: البعيد.

وخطوتِ من بَطْحَـــــاء وا | دي النَّيْرَبَيْنِ عـــلى الصُّخُورِ
ووقفـــتِ في تِلـــك الرُّبَـــا | مـــا بـــين رَوْضٍ أو غَدِيرِ
وقرأتِ سُكّـــــانَ القُصُو | رِ بهـــا السَّلاَمَ بـــلا قُصُورِ
لاسِيَّما شيـــــــخُ العُلُومِ | مفيـــدُ أرْبَـــابِ الصُّـــدُورِ
شمسُ الهدايـــــة والـــدِّرَا | يـــةِ شَيْـخُ جَامِعِهـا الكَبِـيرِ
كَشَّافُ أسْرارِ البَـــــــلاَ | غَـــةِ عُمْـدَةَ الفَتْـحِ القَدِيرِ
مُعْلِي مَنَــــار الشَّرْع مُغْ | ـنِي المُغْتَفِي كَنْزُ الفَقِـــيرِ
ورئيسُهـــا قـــاضي الجَمَـا | عَـــــةِ والمُحَكَّمِ في الأمُورِ
الفاضـــــــلُ اللَّسِنُ المُفَوَّ | هُ والمُنَزَّهُ عَنْ نَظِــــــيرِ
أعـني بـه القاضي محبٌّ الدِّيـ | ـن ذي الرأي المنـــــــيرِ
مَوْلى أراعَ يَرَاعُــــــــــه | قَلْــبَ الطُّرُوسِ مـع السُّطُورِ
ببديــــعِ وَشْيٍ مُخْجِـــل | وَشَىَ البَدِيـــعِ أو الحَرِيرِي
وأبي الضيـــــا حَسَنٌ حَليـ | ـفُ الفَضْـــل والأدب الغزيرِ
عجبـــــاً فـــاق الأوا | ئـــل وهو في الزمن الأخـيرِ
أدبٌ يروقُـــكَ مِثْـــل زَهْـ | ـرِ الرَّوْضِ غـبَّ حَياً مَطِيرِ
وجنـــابُ سَامِي القَـــدْرِ عَبْـ | ـدِ الحَيِّ ذي الفضـلِ الشَّهِـيرِ
والأكْرَمِيُّ الأرْيَحِيُّ الألْـ | ـمَعِيُّ أبُو السُّرُورِ
ومُشَيِّـــــدي أركانَهـــــا | أُمَرَاء مَعْلَمِهـــا الخَطِـــيرِ
منهُمْ جنـــــابُ الطَّالُو | يِّ سَلِيـلُ أرْتُـقَ ذِي السَّرِيرِ
في السِّلْمِ كالغَيْـــثِ المَطِيـ | ـرِ والحَرْب كاللَّيْـثِ الهَصُورِ
مُحْـــــيي مكـــارِمِ حَاتِمٍ | بـــين الأنَـــامِ بـــلا نَكِـيرِ

وعـــــلـيٌّ المِصْرِيِّ كَهْـ ـفُ الجودِ أمْنُ المُسْتَجِـــيرِ
والمنجكيُّ محمـــــــدُ السَّا مِي عـــلى الفَلَـــكِ الأثِـــيرِ
فهو الأمـــــيرُ ابنُ الأميـ ـر إبن الأمـــيرِ إبنِ الأمـــيرِ
وشيوخُهـــا البُـــدَلاء[1] أهْـ ـلُ الكشفِ حَقًّـــا والحُضُورِ
وأئمةُ العِرْفـــــان مِنْهُم شيـخُنـــا مُوسَى السُّيوري
والشيـــــخُ ناصِرٌ عامرُ الـ أوْقَـــاتِ بالذكرِ الجَهِـــيرِ
ذكرَتْهُم . الأنْواءُ ذِكـ ـرَى بالعَشَايَـــــا والبُكُورِ
وكَسَاهم خِلَـــعَ السَّنَـــا ءِ الرُّوقِ مُقْتَبَـــلُ الدُّهُورِ

مما كتبه إلى الأمين السابقي وقد شكا رمداً

ومما كتبتُ به نثراً، عام ألف وأنا بدار الخلافة السنية المحمية، قولي للأخ الفاضل المكين محمد الأمين السابقي[2] وقد شكا رَمَداً.

بقائي على وُدِّ سَيِّدي ثَبَّتَ الله وَطْئَةَ الأدَبِ بيراعَتِه، ونَضَّر رِيَاضَ

---

(١) البدلاء أو الأبدال، هم مجموعة من شيوخ الصوفية والأولياء الصالحين لا تخلو الدنيا منهم أبداً، ويقال إنهم يبلغون الأربعين عدداً، ويقال إنهم أكثر من ذلك، فلا حرج على فضل الله يؤتيه من يشاء.

(٢) العجمي الأبهري الأصل، القزويني المولد، الدمشقي السكن والإقامة، أحد ذوي النباهة والشأن، رزق الحظوة والاقبال. وكان قد ورد دمشق سنة ٩٨٣ على صورة فقراء العجم، وأقام بدمشق مدة ثم رحل إلى القسطنطينية فتعلق بخدمة معلم السلطان مراد المولى سعد الله فعلا شأنه وولاه على أوقاف عمارة السلطان بايزيد في دمشق فتأثل وبنى وعمر، وتردد إليه أكابر المدرسية وأرباب الحوائج، وكانت له صلة وثيقة بسلطان المغرب، توفي عام ١٠١٩هـ. انظر خلاصة الأثر ٤/٢٩٠.

الفَضَائِل بِصِدْقِ رَوِيَّتِه، وصَادق رِوَايَتِه، وقَرَنَ العَافِيَة بطُولِ السَّلَامة، وزاد بصرَه نُوراً يتحدى به زَرْقَاءَ اليَمَامة، حتى يحكي به على أَلْوانِ طَوْقِ الحَمَامة، بقاء نَضْرَةِ يانعِ الآس، وسط روض مئنَاس، يَزْدَهِي بحضرته كلَّ حين، على نَوْرِ زَاهِيَة الرَّيَاحين، كما قال أبو الوليد بن زيدون، والحديث - كما يعلم مولانا - شُجُون:

لاَ يَكُنْ وُدُّكَ وِرْداً إنَّ وُدِّي لَـــــــكَ آسُ

أو كفانية عَذْرا، أودعها الدَّهْر جَوْفَ قَوْرَا، تُحدِّث عن عَهْد عَاد، وإرمَ ذاتِ العِماد، تزيد على القدم جِدَّة، وتزداد سَوْرتُها حِدَّة، تكاد تَشْفِي من الهَرَم، وتبعثُ البخيلَ على الكرم، ثم ما شوق الرَّوائِم لفصيلها، والحمائم لهديلها، باتتْ على الأغصان، تُرجِّع الألحان، بأعظم من شوقي إلى لِقاء جنابه، والتأدب بباهر آدابه، وغير الموفق عندي من يهجرُ مَجلِسَهُ الرئيس، ولا يلتقط من دُرٍّ جوهره النفيس، سوى أن المرء يعرض له أحوال يكون فيها موزع البال، فيثقل عليه إذ ذاك ظِلُّه، ويرى أن الأرض لا تُقله، وربما يعلم المولى من حال عبده الآن، بل وفي كل الأزمان، ما يقيم له به عُذْراً، لأنَّ صاحبُ البيت وصاحبُه كما قيل أدرى، وقد سبق الوعد الكريم، بالتكلُّم مع سند الفُضَلا وسَيِّد الخادِم، أسبغ اللهُ ظلاله، وطَيَّب أسْحَارَه وآصَالَه، وأظن ما وقع التأخير إلاَّ لارتقاب وقتٍ قابل، لعلم العبد أن المولى عن الحال غير غافل، وبعد إهدائي لحضرته أرَجَ سَلامٍ زكيّ، عنبريَّ النشر أو مِسْكي، أودعه القلب وأنا به ضنين، على الثقة به أنه أمين.

ويجيب عنه في رسالة أتته من أسعد أفندي

وحضرتُ مجلسه يوماً وقد أتتهُ رُقعةٌ بيتان يتضمنان السُّؤالَ عن حال رَمَدِه، وما يعانيه من كَمَده، مع رسول سيد الفضلا، وسيد النبلا، أسعد أفندي وهو مُدرّس بالسُّلَيْمانية يومئذ، فكلفني الجواب بحضرة رسوله، فكتبت هذه القطعة على مقتضى سُولِه، وهي قولي:

أتــتْ أبياتُــكَ الغرّ اللّوَاتي ... أقرّتْ إذ قرأناهــا العُيُونَـا
قوافٍ والنجومُ لهـــا قوافٍ ... تُسيِّرُهــا سُهُولا أو حُزُونـا
عرائسُ مثلُ زهر الرَوْضِ بانتْ ... عَزَالي السُّحْـب تَسْقيه هَتُوْنَا
جَلَوْتَ بثاقِبِ الأفكار مِنْهَا ... عـلى الألحَاظِ أبكاراً وعُونا
فحركـت السواكن من ضميري ... إلى اللُّقْيا وضاعَفَت الشُّجُونَا
فدم يا أسعـد الفضلاء بَدْراً ... اميناً من مَحَاقٍ بل مَصُونَا

رسالة إلى السابقي من أسعد أفندي ورد المؤلف عليها

وكتب إليه أيضاً مرة أخرى، وهو بالسليمانية أيضاً بهذه الأبيات كلفني جوابها، وهي هذه:

دُعَــاءً بــأن يُسْتجــابَ قمين ... سَلاَمٌ نَقِيٌّ كــدُرٍّ ثمينْ
إلى خِلِّيَ الخالــصِ السِّرِّ والـ ... أمــين الوداد محمــد أمــين
محبتُـــهُ لي كحُبِّي لَـــهُ ... ووالله في صدقِهــا لاأمــينْ
لندعو شفاءً لـه ما استَطعنـا ... وإني لأكره حِنْــث اليَمــينْ
شَفَـاك وعافاك عن كلِّ ما ... يَسُوءك لُطْـفُ اللَّطيـف المعين

عُيُونُ العِنَايَــةِ والعَوْنُ منْــهُ   يَقِينُك فاثبتْ على ذي اليَقينْ
فإيَّـــاكَ نَعْبُـــد يــا ربَّنَــا   وإيَّــاك في ذا الدُّعَا نستعينْ
تقبـلْ دُعــائي أجبْ حاجتي   أمــينُ إلَــهِ البرايــا أمِينْ
بجـــاه رسول رءوف رَحــيم   نــبيٍّ كريمٍ شفيــعٍ أمِــينْ
عليـــــه السَّلامُ سَلامُ السَّلام   الاعْـلى الكبـيرُ القويَّ المَتِـينْ

فكتبتُ له عن لسانه، وفُهتُ عن جنانه، بهذه القطعة السنيّة، والقوافي الأبيّة، غرّة جمادى الأولى، سنة ألف، قولي:

أطافــتْ علينـا بكـأس مَعِـين   من اللَّحْـظِ حسناء من حُورِ عِينْ
تضوَّعُ مسْكـــاً وتَرْنُو طـــلاَ   وتَهْتَزُّ غُصْنـــاً يُثَنِّيــهِ لــينْ
وتَبْسمُ عن لؤلؤٍ زَانَـــــــهُ   نظــامٌ بديــع سَبَــا النَّاظرينْ
قوافٍ رَأتْهـــا نجومُ الدُّجَـــى   سَوَار فخرَّتْ لهـــا سَاجــدِينْ
فما الجوهر الفرد في حُسْنــــه   ولا اللُّؤْلؤ الرَّطْـب بالنظم زينْ
بأحسن منهـــا نظامــاً وَقَــدْ   وَشَى بُرْدَهــا أسْعَـد الفَاضلينْ
بطُرْز سَلاَم إلى خلِّـــــــه   وعبــد ذُرَاهُ مُحمَّــد أمــينْ
شكرتُ أياديـــه إذْ أرسَلَـــتْ   لي المِسْكَ في صَفْحَـة اليَاسَمينْ
فقبَّلْـتُ منهــا سطوراً حَكَـتْ   دُجَـى طُرَّةٍ في صَبَاح الجَبِينْ
اتتْـني وعيــنيَ تَشْكُو القَـذَى   فزال قَذَاهـــا لوقــتٍ وحيـن
فكانـت قميص إبن يعقوبَ أو   أمَرَّ بهـــا اللمسُ رُوحَ الأمِــين
وقــد أيقنــتْ بدُعَــا سَيِّــدي   وحَقِّــك بُرْءًا بعــين اليَقــينْ
فَــدُمْ أسْعَــد العَصْر فردًا بـه   قَرينُـــكَ سَعْــدٌ ونعم القَرينْ

وقال في استدعاء كتاب «حسن المحاضرة»

ومما كتبتُ به، أواخر القعدة الحرام عام إحدى وألف، للأخ الأمجد المكين، السابقي محمد الأمين، استدعاء لكتاب حسن المحاضرة:

قـــد جرى في المُحَـــاوره	وغُضُـــون المُـــذاكـــرهْ
ذكرُ سَيحُونَ سَيِّـــــدبي	والـــذي كـــان عَاصِرَهْ
من أديـــــب وشاعر	حيـــثُ مـــا سار سَايَرهْ
وتصفحـــتُ كـــلَّ مـــا	كـــان عنـــدي فـــلم أرَهْ
من كتـــاب ودَفْـــتر	غـــيرَ حُسْنِ المُحَاضرهْ
فتفضَّـــل بـــه وكُنْ	إن جنـــى العَبْـــدُ ناصرَهْ
لا عَـــدَا رَبْعُـــك الغمَا	مُ مليئـــاً وبَاكَرَهْ

رسالة إلى السابقي من سلطان المغرب ورد المؤلف عليها

صورة مثال ورد من المغرب عن الحضرة المنْصُوريَّة الحَسَنيَّة[1] أسبغ

---

(١) يعني به سلطان المغرب آنذاك، مولاي أبا العباس المنصور بالله أحمد بن عبد الله بن محمد، ابن الخليفة المهدي.

وقد كان اشتغل في أول أمره بالعلم، وأظهر أنه غير طالب للملك، حتى إذا تولى ابن أخيه وعزم على قتل من بقي من أعمامه، حاربه وهزمه واستولى على المغرب وحكمه ثمانية وعشرين عاماً، وكانت العلاقة طيبة بينه وبين سلاطين آل عثمان.

وعرف هذا السلطان بالعلم والأدب وله شعر جيد، وكما هو واضح في النص فقد كان له اهتمام شديد باقتناء الكتب، وكان محمد الأمين السابقي يرسل إليه بها ويبدو أنه قد انقطع عن ذلك فترة لرضه فأرسل السلطان من يسأل عنه.

توفي السلطان أبو العباس سنة ١٠١٢ هـ.

انظر خلاصة الأثر ٢٢٢/١، نزهة الألبا ٢٨٩/١ - ٣٠٠.

الله ظلال ساحتها الوريفة، وضاعف جلال سُدَّتها المنيفة، لبعض سكان قسطنطينيّة المحمية، ودار السلطنة السنيّة، وهو الأخ الأمجد المكين محمد الأمين السابقي، وقد كان خدم تلك السُّدَّة والجناب الحسني بكُتُب وقعت الموقعَ من ذلك المقام السَّني، وكلَّفني الجوابَ فكتبتُ عنه ماستَطْلِعُ عليه بعد إيراد هذا المثال إن شاء الله تعالى وتقدّس[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً، من عَبْدِ الله تعالى المجاهِد في سبيله الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين إبن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين الشريف الحسني أيد الله أمره، وأعزّ نصره، بمنه ويمنه آمين، المنزلة التي لا حتْ دلائل محبَّتنا لهذا الجناب العُلُويّ من سماء الطُّروس، وأنضح من شواهد وَلاَئها وأمثلة خُلُوصها ما أشرق شروق الشموس، وارتضعت في الاعْتِلاق بحبلنا الحسن طرف الصَّفَا غير حَرُون ولا شَمُوس، مثابَة الفقيه المعتبر الأمين الأرْضَى المكين، الأحْظَى الماجد الحَسِيب، الأصيل العَرِيق النَّسِيب، الزعيم الملاحظ الأثير الوجيه الأديب، الفَهَّامة النِّحْرير المثيل أبي عبد الله محمد الأمين، بالقسطنطينية العُظْمى، زاد اللهُ رتبته عُلاَ، ومُصَاعدته لمراتب الكمال ارْتقا، سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد حمد الله مؤلِّف القُلوب المتنائية، تأليف الشَّرْطِيَّة في الالتئام للجزَائِية، والصلاة والسلام على الرَّسُول الأمين سيدنا ومولانا محمد النور الذي أنقذ اللهُ به من غياهب الهلاك، وأزاح بَهْدِيه ما للزَّيْغ والضَّلال من مُدْلَهمّات الأحْلاَك، وعلى آله ذوي الفضل

(1) أورد المحبي الكتابين التاليين في خلاصة الأثر ٢٩٢/٤ قائلاً، وقد ذكر الطالوي الكتاب الوارد إلى السابقي من مولاي أحمد في سانحاته، وذكر في أثره جوابه الذي كتبه على لسانه، وقد عن لي أن أذكرهما لئلا يخلو كتابي مما يخاطب به أمثال هذا الملك ويخاطب به... الخ.

الباهر، والسُّؤدد الظاهر، والشَّرف الذي عَزّ عن المساجل والمَفَاخِر، وصحبه الذين أجْرَوا جَدَاول السُّيوف، في رياض الحُتُوف، لاجتناء ثمر نضرة الشريعة، وفتحوا أبواب الجهاد سَدًّا لكل سبيل من النِّفَاق وذَرِيعة، والدعاء لهذه الخلافة الحَسَنية، بتأييدٍ يَهُدّ قواعد الكُفْر هَدًّا، ويَسُوق عَبَدة الصَّليب إلى مَسَاقط سَحَائب المَنَايا ورْداً، فإنا كتبناه إليكم من دارنا العلية، بحضرتنا المراكشيّة، حاطها اللهُ ومواهبَ الله مع الآناء مُتَهَلِّلة الأسِرَّة، وصنائعه الجمة كفيلة بنيل كل مسرّة، شكر الله سبحانه وتعالى هذا، وقد انتهى لمقامنا العَليّ من كتابكم المرْعِيّ، الذي لَجّ من سماء بلاغته كل وسْمِيٍّ ووَلي، ما أقام لكم بنادينا سُوق الوَلاَءِ على سَاق، ودفع لخلوصكم على صعدة الاحتفاء اللِّواء الخَفّاق، وتمكن ودّكم بهذا الجناب العُلَوي أي تمكين، واستقرّ من وافر القبول عليه بربوة ذات قَرَارٍ ومعين بأدلى لحجج تُسْفِر عن الأعتلاق بمحبتنا إسفار الصباح، وأدلة هي في مقام الظهور كالشمس في الاتضاح، فتقرر لدينا من حسن اعتقادكم، وصريح ودادكم، على ألسنة الأرسال والأقلام، ما لا يحتاج بعد إلى دليل يقام، والتحف الأدبية التي انتقتها أيدي عنايتكم لخزانتنا العليـة، وقد وافت إلينا من الهشّ إليها، والترحاب بها قسطاً لا يُقدر على تكييفه، ولا تمدّ أيدي الاسترابة إلى تَحْويله وتحريفه، نتيجةً عن مُقْدّمات في شكل المضاهاة مُعْملة، غير مُعَارَضةٍ بما يناقضُها ولا مُهْمَلة، والقَدْر الذي تتصوَّرُونه من المبالاة بكم، والاعتناء بشأنكم، لكم عندنا اضعافه مبرة)، مثيرة لديكم إن شاء الله أنواع الجذل والمَسَرَّة، وحظُّكم لدينا ملاحَظَةٌ بعين الإيثار، مرعين من عَلاَئنا بكل اعتبار، واللهُ يتولّى حرَاستكم، ويبقي نفاستكم، بمَنّه ويُمْنه والسلام، وكتب به في أواسط جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وتسعمائة.

الجواب عن الرسالة

وصورة ما كتبتُ به على لسانه إلى تلك المواقف الشريفة، والمواطن الغربية المنيفة، أعني السُّدَّةَ الحَسَنيَّة، والأعتاب العَلَويّة، أدام الله تعالى إجلالها، وضاعف إقبالها، وذلك أواخر ذي القعدة سنة إحدى وألف.

وَرَدَ - أدام الله تعالى جلال إقبال الدولة الإمامية، الحَسَنيَّة الشريفيَّة، وضاعف كل حَيِّز جلالها، وعقد رايات آياتِ النَّصر والظَّفَر بألويتها العَلَويّة الجاهديّة المنصورية، وأسْبغ في العالمين ظلاَلها، ولازال مَقَامُها الشريف المكان والمكانة في الخلافة محموداً، ولواؤها الخَفَّاق بالنُّصْرة الكاملة على الأعداء معقوداً، مضروباً سرادق مجدها الشامخ على هام المجرة والنجم والسِّماك، منوطاً شرفُها الباذخ بمستقر الأفلاك، فرع الدَّوْحة الهاشميَّة العَلَويّة، المتفرع من الأغصان الزكية المرتضوية فيا لها دوحةً زكا غُصنُها الرطيب في الخلافة ونما، من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرْعُها في السماء، مَهْبط الوحي ومنزل الروح الأمين، مقامَ عصمة الإمام أبي عبد الله أمير المؤمنين، مَنْزعُ الهِمُم ومَلاَذُ الإسلام، ومفزع الأمم ومصاد الأنام مقر السيادة والعِزّ المكين، وقرار السَّعادة والنّصر والتمكين، كتاب عن ساحة علا مجدها هام الكواكب، وزاحم شرفها الجوزاء بالمناكب، طلع في سماء الخلافة كوكبها السَّيَّار، وأنار ولمع نوره فكاد سَنَا بَرْقه يذهبُ بالأبصار، نسبُ طاهر، وحَسَب ظاهر، وليس له في شرفه من مُدَان، غير بني عبد المَدان، فللَّهِ كم جَلَتْ سَوَادَ الكُفْر عن المغرب بامواهها بيضُ صِفَاحه، وارتشفتْ من ثُغور اللَّمى بأفوه سُمر رمَاحه، وايْمُ اللهِ لقد تبسمتْ ضاحكةً تلك الثغور، من ذلك العَزْم النَّاصِري والرأي المنصور، لازالتْ هامُ الأعداء لسيوفها غِمْدا، يسوقهم

القَدَرُ كلَّ حين لمشرع الرَّدَى وزْداً، منوهاً باسم من تَشَرَّف بانتمائه إلى ذلك الجَنَاب سِمه، وقد شام من مخايل تلك الحَضْرة بارقَ الولا فصدق توسُّمه، فداخَلَه بذلك مَسَرَّةٌ وجَذَل، كادا يَرُدَّان عليه شَبَابَهُ المقتبل. حيث كان من النِّعم الجِسَام، التنويه بذكره في ذلك المقام، فشكرا على نَعْمائه الظَّاهرة، والآية المتظاهرة، وأما التَّنْويهُ بشأن ما خدم به ذلك القِمَطْرِى القَيْطُون[1] الشريف، برسم الخِزَانَة العِلْمية والقمطر المُنيف، على يد أخينا ذلك الفاضل الأديب، الكامل الأريب، مَنْ نُورُ الفَضْل في جبينه متلالي، أبي عبد الله محمد الفشتالي [2]، خادم السُّدَّة الشريفة، والعَتَبَة المُنيفة، فأمرٌ لا تَفِي الألسنةُ بشكره والأقْلَام، على توالي الأزمنة ومَرِّ الأيام، حيث وقع الموقع من ذلك الجناب، المُضَمَّخة سُوحُهُ[3] الشريفيّة بالإناب، هذا وإن العبد مازال رافلاً كل آن، في حلل الامتنان والإحسان، مُعْلناً في كل نادي، بشكر تلك الأيادي، التي وصلته من المقام الرفيع ناديه، الفائز بالسعادة حاضره وباديه، فيها على السندس والاستبرق مَزِيَّة، حيث وافقت شعار السادة العَبَّاسِيَّة، على يد قاصد الحضرة عبد العزيز ذلك الشيخ الجليل، فكانتْ جُمَلاً أغْنتْ عن التفصيل، وفي الأعتاب الهاشمية، والأبواب العُلَوية العلية، مكارم

---

(١) القمطرى: الرجل القصير، والقيطون: البيت في جوف بيت، انظر القاموس وشفاء الغليل.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عيسى الفشتالي المغربي، من الكتاب، كان يكتب للسلطان المنصور أحمد الشريف الحسني، الذي أشرنا إليه آنفاً، وله من المؤلفات الممدود والمقصور من سنا السلطان المنصور، ذيل به كتاب وفيات الأعيان لابن قنفذ القسنطيني، وسرور المهج والألباب في رسائل الأحباب. توفى سنة ١٠٢١ هـ.

انظر هدية العارفين ٢٦٩/٢. (معجم المؤلفين ١٠٧/١١).

(٣) السوح: جمع ساحة، وهي المكان الواسع، ويقال أيضاً نزل بساحته: أي نزل به.

أخلاق إن شاءت قامتْ بعُذْرِ خُدَّامها، في التَقْصير عما كان اللأئقَ بمقامها، من إرسال نفائِس الكُتُب الأدَبية، لتتشرفَ بانحيازها إلى تلك الخِزَانة الشريفيّة العلمية، لعارض صبري[1] جَرَّ آخَرَ إليه بالجوار، سلب معهما عن الجَفْنِ الغِرَار[2] والقَرَار، ومولى بابها وعبد جنابها، مولانا عبد العزيز[3] على ذلك شاهدُ عادل بل عَدْل، وحكمُه في هذه القضيّة هو الفَصْل، سيصدق الحضرة المقال، حيث شاهَد بالعِيَان حِكَايَة الحال، والعبدُ مازال في تَدَارُك ما فَرَط في جَنَاب مَوْلاه، في العام القابل إن شاء اللهُ، مواصلاً لَثم بساط الثَّرَى، متضرعاً لإله يسمع ويرى، أن يُخَلد ذِكْرَ الدَّوْلة المنصوريَّة على صفحات الأيام، ويربِطُ أطْنَاب مَعْدَلَتِها بأوتاد الخُلُود والدَّوَام، إلى قيام السَّاعَةِ وسَاعة القِيَام، بمحمّدٍ وآله وعِتْرته الطَّاهرين، وصَحْبه المُنتخبين، قاصراً عن فاتحةِ ثَنَائه، بنفسه في خاتِمِهِ دُعَائه.

ومما كلف به من كتابةِ تعزية وتهنئة لإبن الأعوج

ومما كلّفني بكتابته، على لسان حَضْرته، وأنا بالرُّوم دار الخلافة،

---

(١) الصبري نسبة إلى الصبر، وهو التجلد واحتمال المكروه، وفي خلاصة الأثر: لعارض جر حرماني.

(٢) الغرار: النوم.

(٣) هو عبد العزيز بن محمد الفشتالي (أبو فارس) وهو أديب كاتب شاعر، ولي الوزارة للمنصور الحسني، ولد سنة ٩٥٦ هـ وتوفى عام ١٠٣١ هـ.

من آثاره: مناهل الصفا من أخبار الملوك الشرفا، ومدد الجيش وهو ذيل علي جيش التوشيح لابن الخطيب.

انظر معجم المؤلفين ٢٦٠/٥، وانظر ريحانة الألبا في العديد من المواضع.

حَمَى اللهُ حِماها عن كُلِّ آفةٍ، غُرة شعبان المعظم سنة اثنين بعد الألف، وقد وَرَدَ عليه من لواء الشام مُكَاتَبة الشَّابِّ الفاضل، والأريحيِّ الكامل، حَسَنِ بن مُحمد الشَّهير نسبُه الخطِير بابن الأعْوَج[1] وقد ولى لواء سَلَمِيَّة[2]. بعد وصول خبر وفاة والده مُهَنياً ومُعزياً، فابتدأتُ في ذلك والرسول منتظر في صبيحة يوم من أقصر الأيام، ودفعته إلى الرسول قُبَيل ظُهْرِهِ مع الإتمام:

أحَالَ دُموعَ العَيْنِ في الخَدِّ عَنْدَما[3] ... مُصَابٌ له سَمْعُ الفلاصُمِّ عندَما[4]

وخَطْبٌ رُدِي بـه المجدُ يا له ... مُصَاباً لـه ركن المعالي تَهَدَّما

لقـد دَرَسَتْ بعدَ الأمير مُحَمدٍ ... مكـارمُ قـد كانت لحاتم مُنْتَمَى

وكاد يُجَارِي الأسْوَدَيْن[5] ببعضهـا ... فيقصُر عنها البحر والقَطْرُ إنْ هَمَى

سَرَى ذكرُها في الخافقين مع الصَّبَـا ... فأنْجَـدَ في رَبْع البـلاَدِ وأتْهَما

---

(١) هو الأمير أبو الفوارس حسن بن محمد المعروف بابن الأعوج، ولد بحماه ونشأ بها، وقرأ على علماء بلده علوم العربية وغيرها.

سافر إلى الروم في أيام السلطان مراد، واجتمع بمعلمه سعد الدين بن حسن جان فجمعه بالسلطان ومدحها بعدة قصائد فولاه ولاية حماه، ثم عزل عنها ثم ولى إمارة معرة النعمان ثم عزل، وتكررت التولية والعزل عنهما مراراً.

وكان مجلسه منتدى للأدباء والشعراء من مختلف الأقطار، واجتمع عنده ما لم يجتمع عند أحد من أدباء عصره، توفى سنة ١٠١٩ هـ.

انظر نفحة الريحانة ٤٢١/٢، خلاصة الأثر ٤٥/٢.

(٢) بلدة في آخر البرية من أعمال حماه. بينهما مسيرة يومين. وكانت تعد من أعمال حمص. انظر معجم البلدان ١٢٣/٣.

(٣) العندم: نبات أحمر يصبغ به، يشبه به الدم.

(٤) أي عندما سمعه.

(٥) الأسودان: تثنية الأسود، ويطلقان على التمر والماء أو الماء واللبن.

أميرُ عُلاً شُلَّتْ يدُ المجدِ بَعْدَهُ | وأمسَى به كفُّ المكارم أجْذَمَا
وقد كان يَغْشَى اللَّثْ واللَّيثُ مُشْبلٌ | ويُورِدُ يومَ الرَّوْحِ أسْيَافَهُ الدِّما
ويَدَّرِعُ الهَيْجَاءَ درْعاً وشَاحُها | قَناً تَخِذَتْ سَيْف المجرة لِهْذَما
سقت قبرَهُ الروضَ الأريض سَحَائبٌ | تضافُ إليه لا إلى صَيِّبِ السَّمَا
إلى أن أباح الدَّهْرُ من بعدِهِ حِمَى | حُمَاةَ فأضْحَتْ بعده الدَّهْرُ أيِّمَا
وفارقَ منها الأعْوجيُّ مَرَابطاً | وعُرِّيَ طرفُ الجُودِ عنها مُطَهَّمَا
وفاضتْ عيونُ الزَّورِ[1] فيها وجَرَتْ | على فَقْدِه فوقَ البَسِيطَةِ عَنْدَمَا
وزاد بها العَاصِي عُتُوّاً[2] وكم أتى | له طائعاً من قبلُ يَجري وقد طَمَا
وقد خفيتْ صوتُ النواعير بَعْدَمَا | أقامتْ عليه بالنَّوائح مَأْتَمَا
وأظهرتِ الشَّكْوى وزادَ نحيبُها | وأنَّتْ أنينَ المُرْزَمَاتِ تألُّمَا
فإنَّ لها من فَرْعِهِ من زكَتْ به | أصولٌ وطيبُ الفَرْعِ بالأصْلِ قد نَمَا
فيا حَسَنَ الأفْعال هُنِّيتَ منصباً | وعُوِّضْتَ عَمَّن فات أجْراً مُعَظَّمَا
ولا زلتَ يا رَبَّ الفَضَائِل والعُلاَ | تَقُودُ إلى الأعْداء جَيْشاً عَرَمْرَما
أميرُ لواءِ الفَضْلِ قائدُ جيشه | بعَزْمٍ وحَزْمٍ في الأوامر صَمَّمَا

---

(١) يقصد بعيون الزور أفرع النهر التي تخرج من الزور، إذ هو نهر يصب في دجلة قرب ميافارقين انظر معجم البلدان ٩٦٧/٢، وهذا هو المعنى القريب أما المعنى البعيد فإنه يعني به العيون السالة بالدموع، وهو مايقصده هنا، وهذا ما يسمى في البلاغة بالتورية، يطلق القائل لفظاً له معنيان ويريد البعيد منها.

(٢) العاصي: نهر حماه وحمص وسمي العاصي لأن الأنهار كلها تتجه جنوباً أما هو فيتجه شمالاً، وقوله إنه ازداد بها عتوا يجوز أن يكون استعارة مكنية إذ شبه النهر بالإنسان العاصي المتجبر وحذف المشبه به ثم رمز له بشيء من لوازمه وهو العتو، كما يجوز أن يكون تورية والشاعر لا يقصد هنا النهر الحقيقي بل الشخص العاتي الذي كان متكامناً في حياة القاضي ابن الأعوج ثم تجبر بعذ وفاته وعتا.

(٣) هذا البيت.

فقد قيل فيمن سُرَّ بعد عزائه	وأصبح بعدا الحُزْن جَذْلاَن في الحِمَى
هَنَـاءٌ مَحَا ذَاكَ العَزَاءَ المُقدَّما	فما عَبَسَ المَحزُونُ حَتّـى تَبَسَّمَا
وهَـاكَ فَخُذْهَا غادةً بنتَ ساعةٍ	عَرُوساً أتَـتْ تَبْغِي حمَاهُ تكرُّمَا
عَلَيْها عُقُودُ المَدْح دُرًّا مَنَظَّمَا	وقد وُشِّحَتْ منه التّرائبُ والغمَا
فَمُنَّ عليهـا بالقَبُول فَحَسْبُهـا	قَبُولَـكَ يا مولاي لا زلتَ مُنْعمَا

وأتبعتُ ذلك بنثر هو:

« نَبتهلُ بالضَّراعةِ إلى الله عزَّ وجلَّ أن يَلْطُف بعباده في كُلِّ فَادح أمْرٍ نَزَل ؛ ونستلهمُـه جميلَ الصَّبْر على بلائه ، ونستنزلُه جَزِيلَ الخير فيما ابْتَلَى به أولياءه ، لا رَادَّ لأمْره ، ولا مُعَقِّب لحُكْمه ، خَلَق الموتَ والحياة ، وجعـل الأرضَ للأنام كفات[1] ، بعد أن أجْرى على البَرِّيَّة بمشيئته حُكْم المنيّة ، فما هذه الدنيا الدَّنيّة ، غير شرَك البليّة ، ودار مَمَرٍّ لا مَقر ، مشُوب صَفْو مَشْرَبِها بالكَدَر :

دارٌ مـتى أضحكـتْ أبكـتْ غـداً تُبّـاً لَهَـا منْ دَار

فاللهُ يحفظ لنا حُسْنَ رِضاه ؛ ويثبِّتُنا على ما سَرَّ أو أحْزَن مما به قَضَاه ، من وُرُود خَبَر الخَطْبِ الذي صَغَّر كُلَّ خَطْب عنده ، وهَوّن على النُّفُوس تَحَمُّل المُصَاب بَعْده ، فياله خطبٌ أطَّتْ[2] عند ذكره الأضْلاع ، وصُمَّتْ لدى اسْتِماعه آذانُ الأسْماع ، تَسَاوَى النَّشَاوَى والصُّحَاةُ فيه ، وطَفِقَ كُلٌّ يَسْترجعُ بملْءِ فِيه ، وما هو إلاّ أنَّ شَامخ طَوْدِ الأعَاظِم ، وبَاذِخُ بيت

---

(١) كفات : يقال أرض كفات : أي جامعة للأحياء والأموات ، وفي التنزيل العزيز « ألم نجعل الأرض كفاتاً ».

(٢) أطت ، صوتت ، أو أنت من تعب أو ألم.

الشَّرَفِ والمَكَارم، خَارَتْ إلى الأرْضِ دِعَامَتُه، وشالتْ إلى دار النَّعِيم نَعَامَتُه، مستبدلاً بدار الغُرُورِ الفَانِية، دارَ السُّرُور الباقية، رغبةً في جِوار رَبِّه، وما أَعَدَّ له من نَعِيم قُرْبه:

وما هو شَخْصٌ قَضَى نَحْبَهُ ولكنه أُمَّةٌ قد خَلَتْ

فإنا لله وإنا إليه راجعون، ﴿إنَّكَ مَيِّتٌ وإنَّهُم مَيِّتُون﴾[1]، ومع ذلك لا يخفى على عِلْم المَوْلَى - لا وجدت الحادثات إليه بعد ذلك سبيلا - أن الجزع على الغائب لا يَرُدَّ - واللهِ - فَتِيلا، كما أن الأَسَفَ لا يُحْيي من رَاحَ بسيف المنية قَتِيلا.

يُدْرِكُ المَوْتُ كُلَّ حيٍّ ولَوْ أخْفَتْه في حُضْن سَرْجَها الجَوْزَاءُ

على أنّه من بقيت في الدنيا مآثره، ونُشِرَتْ بعد ما طوى فيها مفاخره، فهو حَيٌّ ما اختلف المَلَوَان، وتعاقب الجَدِيدان، فكيف بالذي ما اختار الرفيق الأعلى حتى استبقى بعده ذِكْراً حَسَناً، وهو جناب سيدنا المولى، مَتَّع اللهُ ببقائه الأيام، وشد عَضُدَه بإخوته السُّراةِ الكِرَام.

مَنْ تَلْقَ منهم تَقُلْ لاقيتُ سَيِّدهمُ مثلُ النُّجُوم التي يُهْدَى بها السَّارِي

فهو عِماد مَجْدها، وطَلَّاعُ ثنايا نَجْدِها، هَذَا ومن الأَلْطَافِ الإلهيَّةِ، وانعطافِ الأعطافِ السَّعِيديَّة، الإنعامُ عليكم بإمْرَةِ لِوَاء سَلَمِيَّة، فالحمدُ لله الذي أذْهَبَ عنَّا الحَزَن، بولاية سيدنا الحَسَن، إنَّ ربنا لكريم، وبعباده رَءُوفٌ رحيم، وسيدنا يعلمُ أنَّ أول الغَيْثِ قَطْرٌ لا يُعْقِبُه رَيْب، والوداد من المُخْلص للسَّيِّد المتخَصّص، على أتَمّ الخُصُوص، وهو كما يشهد به قلبه كبُنْيانٍ مَرْصُوص، وبعد إهدائي لحضرته أرج سَلَام كالنَّسيم

(١) سورة الزمر، الآية ٣٠.

السَّخْرِيّ، والشَّمِيم الشَّخْرِي، أُودِعُه القَلْبَ وأنَا بِهِ ضَنِين، على الثِّقَة منه إنه أمين.

ومما قاله في ناسخ أبطأ عليه بكتاب

ومما اتفق لي معه، أنني دفعتُ على يده رسالةً لناسخٍ فأبطأ بها وفات الميعاد، فكتبت إليه بهذه الرسالة متعرضاً للنَّاسخ، وكان من قَرْيَةِ أَيْدِيجَك، مِمَّن يلوذُ بِجَنابِه، ويَنْتَمِي إلى أَعْتَابه، وذلك غُرَّة شوّالٍ سنة اثنتين بعد الألف، قولي:

«إنْ كانتِ البقاعُ، لها تأثير في الطِّباع، والقُطْر الوَخِيم، له الأثر في الخِيم، والتُّرْبَة المَذْمُومة، تُؤْثِر في الأَرُومة، والبَلَدُ البعيدُ عن الاعتدال، على فساد الأمزجة دَالّ، بل قال الله تعالى: ﴿والبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بإذْنِ رَبِّه، والذي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلاَّ نَكِدًا﴾[1]، فَشَرُّ بَلَدٍ ما كان في هَجْمَة، ووُسِمَ بتَحَضُّرٍ وعُجْمَة، أو وقع في أرض بِنَجْوَة، بين شاهقٍ وفَجْوَة، جِبِلَّةُ في الأَشْكَالِ نَاسٌ، وفي الأفعال نَسْنَاس، قال اللهُ تعالى ﴿مِنهُمُ القِرَدَةُ والخَنَازِيرُ وعَبَدَ الطَّاغُوت﴾[2].

يا قَبَّحَ اللهُ بَنِي السِّعْلاَتِ عَمْرُو بن يَرْبُوع شِرَارُ النَّاتِ
لَيْسُوا بأخْيَارٍ ولا أكْيَاتِ

وسيدنا لا بَرِحَ جِيدُ الأَدَب حَالِياً بعُقُودِ مآثِرِه، ورَوْضُه مُحَلًّى

(١) سورة الأعراف الآية ٥٨.
(٢) سورة.

بزَوَاخِرِ جوَاهِرِه: مذ وَهِلَت[١] إليه شَوَارِدُ الأدَبَ بالإِينَاس، يَعْلَم أن الرَّاجِزَ أرادَ النَّاسَ والأكْيَاس، فأبدل التاء من السين، وهو بلُغةِ العَرَب قَمِين، وأمَّا السِّعْلاة فسَاحِرَة الجِنِّ في الفَلَوات، وفي قريض أديبِ مَعَرَّةِ النَّعمان، لشائنه المَعَرَّة والدِّمَان، بصفة حاله ببغداد مع مطاياه، مُلَمِّحاً لما قَصَّهُ بعضُ العَرَب في حكَايَاه:

إذا لاح إيماضٌ سَتَرْتُ وُجُوهَهَا كَأَنِّيَ عَمْروٌ والمَطِيُّ سَعَالِي

وقد كان المولى ثَبَّتَ الله به وَطْأة الأَدَب، قَصد نَهْضَة مُحِبِّه بإبْلاغ الأَرَب، فأمر بدفع تلك الرِّسَالة لشَخْص من أولئك الجيل الأَغْنَام، على أنه بنسخها كَفيلٌ بستَّةِ أيّام، فقد انقضتْ عنها شهور الصيِّف، وانصرم الوقتُ بين أَسَفٍ وحَيْف، فكأنما حَلَّقَتْ بها فَتْخاء الجَنَاحين، وبذلك على القلب جَنَى الحَيْن:

تبًّا لـه من خَادِعٍ مُحَاذِقٍ أَصْفَرَ ذي وجهين كالمُنَافِقِ

أما الحقيقيُّ فمنْقُوب، وما قَابَلَهُ فمثقوب، لا مُسْكَةَ له ولا مَسَكَة[٢]، وذاك مثل ظهر السمكة، دُوَدة كالخَنَّاز[٣]، وكَفَلْكَةِ[٤] مِغزل دار:

مثـل طِيزِ القرد في أسْفَلِـهِ شَعَرَاتٌ قـد سَكَنَّ المَخْرَجـا

---

(١) وهلت: فزعت إليه.

(٢) المسكة بضم الميم وسكون السين: الرأي والعقل، وكذلك الأصل، والمسكة بالفتح الشجاعة.

(٣) الخناز: الوزغة، وهي التي يقال لها سام أبرص، وقد جعلها بالراء المهملة مراعاة للسجع.

(٤) الفلكة من المغزل: القطعة المستديرة من الخشب ونحوه تجعل في أعلاه، وتثبت السنارة من فوقها وعود المغزل من تحتها.

أو كسَلْحَة الرَّمْكَه، نَقَبَتْها مناقيرُ الدِّيَكَة، وهو -لا زال الأدب يلهج بذكره، وينهج طريق شُكْرِه-، يَعْلَم أن الرَّمْكة أُنْثَى البَرَاذين[1]، وأكثر مَسَارها أَشْرَاج بلواج، ومسارب أيْدِين، قريةٌ بساحل البَحْر، اجتاز بها بعضُ التَّجْر، فسأل أهلها عن دِينهم، فقالوا له: أيَّ دين؟ فسميت بذلك ثم لحقها التحقير، والكافر ذليل حقير، وفي الحديث: «اطلبوا الخيرَ عند حِسَانِ الوُجوه»، ومن أمثالهم: «قُبِّحَ اللَّكَعُ ومَنْ يَرْجوه.»، وهو -أمتعَ اللهُ الأدبَ بطُولِ بَقَائِه، ودَفَعَ السُّوءَ عن شريف حَوْبَائه- عالمٌ بأن ذلك الناسخ، قَدَمُهُ في المَيْن رَاسِخ، ومع هذا لالوم عليه ولا تَثْريب، لأنه فيما أجتهد كان مُصِيب، فإن المؤمن غِرٌّ كريم، والكافر خِبٌّ لئيم، وهل يُثبتُ العَيْرَ إلاَّ شَحِيجُه[2]، ويُنبِتُ الخَطِيَّ إلا وَشِيجُه[3]، ورُبَّ سَاعٍ في وَطَر، عَرَض دُونه القَدَر.

على المرء أن يَسْعَى لما فيه نَفْعُهُ وليس عليه أن يُسَاعِدَه الدَّهْرُ

والآن شَبَّ عَمْرُو الصَّبْرِ عن الطَّوْق، وأدَّتْ الشِّرعة إلى غاية العَوْق[4]، فإن رأى المولى أدام الله له المَسَارَّ والمَحَابّ، استرجاعَ الرسالة الرَّاضية من الغنيمة بالإياب، فشِنْشِنَة أَخْزَمِيَّة[5]، ويَدٌ أعرفها له

---

(١) البرذون، جنس من الدواب يختلف عن الخيل العراب في أنه ضخم الجثة غليظ القوائم، وقد جعله المؤلف بالدال المهملة ليتوافق السجع.

(٢) العير: الحمار الأهلي والوحشي، وشحيجه: صوته.

(٣) الخطي: الرمح المنسوب إلى الخط، وهو موضع ببلاد البحرين تنسب إليه الرماح الخطية لأنها تباع به، والوشيجة: عرق الرمح الذي ينبت عليه ويتصل به، والمعنى أن الشيء الجيد لا ينبت إلا جيداً.

(٤) الشرعة: الطريق، والعوق: العائق والحائل دون بلوغ الأمر.

(٥) الشنشنة: العادة الغالبة، وفي المثل: «شنشنة أعرفها من أخزم» يضرب في قرب الشبه من الخلق.

سَابِقيَّة، وأنا أُهْدِي سامي حضرته أبرح سلام كورد الرياض في بهجته، ورَنْدِ الحياض في نُضْرَته:

بَاتَـا مَعاً في رُبَى وَشَتْ مَعَاطِفَها ... أيـدي الحَيَا وكَسَتْها ثَوْبُ أزْهَارِ

كـأنَّ أغْصَانهـا والرِّيحُ تَعْطِفُها ... معاطفُ الغِيدِ مَالتْ قَصْدَ أوْطَارِ

أبيات في رد هدية بمثلها

ومما اتفق بالديارِ الرُّوميةِ، دارِ السَّلطنةِ السَّنيَّة، أواخر المحرم عام اثنين بعد الألف ما كتبتُ به إلى الجناب العالي، والأخ الموالي، يحيى أفندي بن الشيخ كمال الدين[1] الدفتري بالشق الثاني، مع خوخة عَسَليَّة، وقد تَقَدَّم منه ما أوجب ذلك، قولي:

ذَاتُ مولايَ في الـذَّوَاتِ عَلِيَّـه ... كيـف لا والكَمَال فيها سَجِيَّه

هو فيهـا أصلٌ وفي النـاسِ فَرْعٌ ... ولأصْـلٍ عـلى الفُروع مَزِيَّـه

نسبٌ طاهر وعِرْقٌ شريـــفٌ ... فجميـــعُ الأنـــام فيـــه سَوِيَّـه

وعطـــاءٌ مثـــلُ الغَمَـام رَوِيّ ... وسجايـــا غرٌّ ونَفْسٌ زكيّـــه

خَصَّني منـه وهو بالروم غَيْثٌ ... أذكرتْـني خُلْجَانـه المِصْرِيّـه

(١) هو يحيى افندي بن زكريا بن بيرام، شيخ الإسلام ومفتي الديار الرومية في عصره وقاضي العسكر، ولد باستامبول سنة ٩٩٩ هـ ونشأ بها، وولي قضاء الشام ثم نقل إلى قضاء مصر، وعزل، وولي قضاء بروسة ثم قضاء أدرنه فقضاء استامبول، وعزل وولي مراراً، إلى أن توفي عام ١٠٥٣ في الروم ايلي، كان له في عصره الشأن الرفيع، ومدحه كثير من الشعراء، وله نظم عربي، منه تخميس البردة.

انظر خلاصة الأثر ٤/٤٦٧.

حين وافى مُكرَّراً بهاتِ حُلْوَةٍ في مَذَاقِنا سُكَّرِيه
وقعدنا عن شُكر الشكر عجزاً فبعثنا بخُوخَة عَسَلِيّه
ولنا العُذْرُ في القُصور وقَدْ قيل بقَدْر الهَادي تكون الهَدِيّه
والفقيرُ الحقيرُ يَصْبُو إلى الشَّام ولكنْ بالقِسْمَةِ العَسْكَرِيّه
دَام يَحيى في ظِلٍّ عيشٍ ظَلِيلٍ وبَنِيهِ بِجَاه خَيْر البَرِيَّه
ما رقت للسماء هِمَّةُ بازي الْجوِّ فصادتْ دَجَاجَةً ذَهَبِيَّه

قوله في الدجاجة الذهبية

قولي دَجَاجَةٌ ذهبية، تَلْمِيحٌ لما كلَّفَني به على لسانه جوابُ مكاتبةٍ وردتْ من دمشق الشَّام من بعضِ الإخوان، وهو الشَّيخُ نُعْمَانُ الإيجي، وفي صدرِ تلك المكاتبة أبياتٌ أُضَمِّن آخِرَها قول القائل:

ذَهَبَتْ دَجَاجَتُنَا الَّتي كانتْ تَبِيضُ لَنَا الذَّهَبْ

صورة ذلك قوله:

من كان ينفعُه الأَدَبْ ويُحِلُّه أعْلَى الرُّتَبْ
فلقد خسِرْتُ عليه مَا وَرِّثْتُ من أُمٍّ وأبْ
كم رزْقةٍ كانتْ تصُونُ الوَجْهَ عن ذُلِّ الطَلَبْ
أتلفتُها لا في القِيَان ولا هَوَى بِنْتِ العِنَبْ
بل في الحَوائِج والحوَادِث والعَوَارض والنُّوَبْ
كم قلتُ لما بِعْتُها وحصلتُ في اسر الكُرَبْ:
«ذهبتْ دَجَاجتُنا التي كانتْ تَبِيض لنا الذَّهَبْ»

وهذا ما أجبتُ به عن لسانه مداعباً:

خسر الَّــذي بَــاعَ الأَدَب	بالبَخْسِ في سُوقِ الطَّلَــبْ
أو مــا دَرَى أن القَنَــا	عَــةَ للفــتى مــالٌ يُحَــبْ
ورأى بــأن الحرَّ يَقْـ	ـنَــعُ بالقِليــل من النَّشَبْ
مــا رِزْقَــةٌ كانــتْ تصُو	ن ومــا الــذي ورثــه أب
حاشا لمثلــك من هَوى الـ	ـقَيْنَــات أو بنْــت العِنَــبْ
أو ناعم أطْرَافُــــه	عَــذْب اللَّمَــى حُلْوِ الشَّنَبَ
في كفــه لَهَــب المُــدَا	مِ وفي الحَشَا مِنْــه لَهَــبْ
كم من أخ كنَّــا نَظُنّ	بــه إخــاءُ ذَوِي النَّسَبْ
حــتى بَلَوْنــاً ودّه	فــازوَرّ يُنْشِدُ في غَضَــبْ
ذهبــتْ دجاجَتُنَــا الــتي	كانــتْ تبيــضُ لنــا الذَّهَــبْ
هَــلاّ تذكَّر ديكَهــا	إذ صــاح صيحتُــه العَجَــبْ
صُعِقــتْ دجــاجُ الحيِّ منهــا	فهي في قَفَــصِ الكُرَبْ
وغَــدَا يُقَوْقِي حَوْلَهــا	والقَلْــبُ من خَوْفٍ وَجَــبْ
فاشكرْ لبــازي ٌلجِوَحَيْـ	ـثُ حَمَى الحَمَامَ مِن العَطَبْ
لولاهُ أصبحــتِ الدّجــا	جــةُ لا جَنَــاحَ ولا ذَنَــبْ

ردّ على رسالة مداعِبة

سهرتُ عنده ليلةً بداره صقيبة مسجد أيا صوفيا وجِواره، وقد كان

أرسل إليه المولى الفاضل شَيْخُ المنطِقِ والمعاني، المُنْلا تَوْفيقِ الكِيلاني[1]، رُقْعَة تَتَضَمَّن مداعبةً، وبعثها إلى جنابه مُطَايَبَةً، يذكر فيها دَجَاج، وقهوةً لم تكن أُجاج، فكلَّفني عنها الجواب، ولم أر الرُّقْعة المُرْسَلة، فكتبتُ بهذه الرسالةِ عن لسانه بعد المسألة، بقولي:

« طريقُ التوفيق لسلوك الشريعة خَيْرُ منهاج، فطُوبى لمن عَرَّجَ على منيع حِمَاهُ وعاج، وأَمَّ يَمَّ زاخرِ علمه العَجَّاج، وقصد مَائِر بَحره المَوَّاج، حكيم إشاراته لطَرَف المَشَّائين مَعَاج[2]، وتَلْويحاتِ مُطَارحَاتِه لِمشَارِعِ الإشْرَاقِيِّين مِعْراج، كيف لا وشفاءُ مَنْطِقِه لعليل المزاج، نجاةٌ عن كليلاتِ قانونُ العِلاج، وإشرافُ رأيه في ليل المشكل الدَّاج، مستنيرٌ مثل ضوء السِّراج، أو كمشْكاةٍ فيها مصباح في زجاجة من خالص الزُّجَاج، الزجاجةُ كأنها كوكبٌ دُرِّيٌّ وَهَّاج، فما الليثُ عند الهياج، إذا نَصَب نفسه للبحث واهتاج، واشتدَّ من الخَصْم الضِّجاج، وطال من القرْن العِنَادُ واللَّجَاج، والغيثُ وهو ثَجَّاج، صادقٌ نوءَ المِرْزَمِ نَاج[3]، مَتَحَتْه دَلْوُ النجومِ فخافها العِنَاج[4]، فَسَحَّ على الأرض الجُرُزِ[5] ذاتِ الفِجَاج.

---

(١) المنلا توفيق بن محمد الكيلاني، نزيل القسطنطينية، أحد المحققين المشهورين بالفضل والحذق التام والمعرفة في الفنون الغريبة كالحكميات والإلهيات والرياضيات، حصل ودأب في بلاده ثم قدم إلى آمد واتصل بحسن باشا والي الشام وأقام بها مدة، ثم رحل إلى الروم وانحاز إلى الوالي سعد الدين بن حسن جان معلم السلطان، فعينه معلماً لأولاده، واتخذه نديماً ومصاحباً فاشتهر أمره وذاع صيته، حتى توفي عام ١٠١٠ هـ

انظر خلاصة الأثر ١/٤٨٠.

(٢) معاج: عودة ومآب، من عاج إذا عاد ورجع.

(٣) المرزم ويقال أم مرزم هي الريح أو ريح الشمال الباردة، والنوء: المطر، وناج: صاح.

(٤) متحته: جذبته، والعناج: حبل أو سير يشد تحت الدلو ويتصل طرفاه من أعلاها بما تتصل به آذانها، فإذا انقطعت آذانها أمسكها أن تقع في البئر.

(٥) الجرز: الجدباء.

بأجرأ منه على القِرْن الهِمْلاج[1]، وأحْرَى بإغْنَاءِ الفقير المُحْتاج، وردتْ لا زالت طالعة لدى السَّعْدِ الأكبر في رَوَاج، ما نَفَق سُوقُ الأدبِ في تلك الشِّدَّة ورَاج، منه رقعة من التَّاجِ على الحَجَّاج، بيضاء كصحيفةِ العَاج، سوادُ سُطُورِها نَوافِجُ مسكٍ غير نَفَّاج[2]، أو مُجَاجَة حَوض المُزْن ترمي به الأَمْوَاج[3]، وقذفتْ به إلى العَرين الأثْبَاج[4]، مُبَشِّرةً بأن المولى لا زالتْ مُوافَقَة كَدْخَدَاه الهَيْلاج[5]، مُوَفَّقاً لازدراءِ الخَشْكُنة لها الكَوْكبةُ تَاج[6]، تلبَّدَتْ عليه سوداءُ كَعَرْفِ دُبٍّ بَرِقَ نَحْرُه فهاج، من أكبر دِبَابِ صَحَارِي بِلْواج، قصد زيارة مُحِبِّه وهو في وعده ليس بسَدَّاج[7]، فحصل له بذلك سُرور وابتهاج، والمنزلُ كما يعلم على عادته ليس دُونَه رِتاج، وقد فُرِشَت فيه بُسُط الديباج، والنارق مصفوفة على الرَّوابي كالأدْرَاج[8]، وقد أُحْضِر من سمين الدَّجاج، ولحم طيرٍ مما تشتهي الأنْفُس كالأوزِّ والسُّمْن

---

(١) الهلاج: السريع السير في خفة وتبختر.

(٢) النوافج جمع نافجة، وهي وعاء المسك من جسم الظبي، وغير نفاج أي غير نقاذ الرائحة شديدها.

(٣) مجاج المزن: المطر.

(٤) الاثباج جمع ثبج: والثبج: وسط الشيء تجمع وبرز، ومنه: ثبج البحر وثبج الصدر.

(٥) الكدخدا والهيلاج: هما كوكبا المولود، فالأول لرزقه والثاني لعمره، فإن ولد في صعوده كان زائداً فيه، وإن كان في هبوطه كان بعكسه: وهذا مما ذكره الحكماء والمنجمون وأرباب المواليد وعربوه قديماً. قال ابن الرومي في الربيع:

ذو سماء كأدكن الخز قـــــد غيمـــت وأرض كأخضر الديبـــاج

فتجـــلى عن كـــل مـــا يتمنـــى موضع الكدخداه والهيلاج

(٦) الخشكنة أو الخشكنان خبزة تصنع من خالص دقيق الحنطة وتملأ بالسكر واللوز والفستق وتقلى، والكوكبة: النجم أو الزهرة خاصة.

(٧) السداج: الكاذب.

(٨) الأدراج: جمع درج، وهو السلم.

والدُّرَّاج[1]، مع ما يلي ذلك من نفيس الأطعمة التي توافقُ المِزَاج، كالتطباج[2] والإدماج، والزيرباج والسّكباج[3]، ونفائس الأشربة السُّكَّرِية مع الكُلاّج[4]، مصفوفة في صحون العِجَاج، عليها معالقُ من فِضَّة قَدَّرُوها للإمْلاج[5]، وفُقَّاع[6] الزَّجاج، كذَوْبِ تِبْرِ رَجْرَاج، فيه غَوَالِي الطِّيب أمْشَاج، والقهوةُ قد مُزِجَتْ بالصَّنْدل الشَّحْري أيَّ امتزاج، فمسكُ دَارِين لنَكْهَتِها مُحْتَاج، كزَبَادٍ في زَبَادٍ[7] ذاب فمَاج، يطوفُ بها ولدانٌ مَخَلَّدُون، بأباريقَ وصحافٍ جُون، وفي ذلك فليتنافِس المُتَنَافِسُون، وقد أحضر العُودَان، فأما ما يحرِّكُ فهو من السَّاج، وأما ما يُحَرَّقُ فماريّ النتاج[8]، إلى غير ذلك مما المجلسُ إليه مُحْتاج، من مقدماتِ ضَرُورية الإنْتاج، وبقدُوم سيدنا المولى يتمُّ المَرام، فليتفضل مُنْعِماً بالحُضور والسلام.

---

(١) الدراج: طير يدرج في مشيه يشبه الدجاج الرومي.

(٢) التطباج: نوع من الطعام، ووقع في بعض كتب الأطعمة تسميته لاكشه، وورد في شعر عرقلة:

ألا رب طاه جاءنا بعد فترة　　　بأطباق ططباج أشف من الثلج

انظر شفاء الغليل ١٨٠.

(٣) السكباج: طعام يعمل من اللحم والخل والبصل والكرات والعسل مع توابل وأفاويه القطعة منه سكباجة.

(٤) الكلاج: نوع من الفطائر يصنع من طبقات رقيقة جداً ويحشى باللحم ويحلى بالسكر.

(٥) الاملاج: الامتصاص.

(٦) الفقاع: شراب يتخذ من الشعير يخمر حتى تعلو فقاعاته.

(٧) الزباد: الطيب.

(٨) ماري النتاج: أي هو دخان متردد في الهواء.

مكاتبة من المولى أبي السرور البكري وجوابها

ومما دعت الضَّرُورة لكتابَتِه بالديار الرُّوميّة أيضاً على لسانه، والتفوض به عن جنانه، جوابُ مكاتبةٍ وردتْ عن الديار المصرية والقاهرة المُعزّية، صدرت إليه عن شيخ الإسلام المشهور بالمولى أبي السرور البكري الصديقي، أمتع الله الأفاضل بوجوده، وأسبغ عليهم من ظلال كَرَمهِ وجُوده، وذلك عام ثلاث بعد الألف، قوله:

لو أذِنْتُمْ لطيِّبٍ من نَسيم ... بسَلاَمٍ يُحَيي فُؤَادِ السَّليمِ[1]

لتلقّاه من وَدَادِي قَبُولٌ ... قانِعاً من شَذَاكُمُ بشَمِيمِ

أولو أنَّ الرَّسُولَ وافي برَقْمٍ[2] ... لمحبٍّ من شَوْقِهِ في جَحِيمِ

كانت النَّارُ مثلُ نارِ الخليل ... تَنْطَفِي بالسَّلام والتَّسْليمِ

حين وافى الإخْوانَ منكم طُرُوسٌ ... نظمُها فائقٌ كَدُرٍّ نَظيمِ

ثم جاء الأنامُ نحوِيَ سَعْياً ... يسألُوا الصَّبَّ عن نَبَاكِ العَظيمِ

هل تَنَاسَى الأميرُ منكم وِدَاداً ... أو ثناه الحُسَّادُ بالتَلْوِيمِ

قلتُ كلاَّ فإنَّ وُدَّ أميري ... مُحْكَمُ النَّصِّ كالكتاب القديمِ

إنّ يَحيى الأميرَ أعظمُ مَوْلَى ... لا يُبالي بعاذلٍ أو زَنيمِ

إنما الكُتْبُ للمباعدِ مَغْنَى ... يكتفي بالرُّقُومِ أهْلُ الرُّسُومِ[3]

---

(١) السليم: الملدوغ، وهو يسمى بالسليم تيمنا بشفاءه وسلامته.

(٢) الرقم بمعنى المرقوم والرقم: الخط.

(٣) أهل الرسوم: أي أهل الدواوين، والرسوم: الأشياء الرسمية التي يهتم أصحاب الدواوين بأن تأتي إليهم مكتوبة.

ثم أعقب هذه القطعة البديعة بنثرٍ هو لطراز حُلّة الأدب وشِيعَة[١]، بل كأنه سَنَنُ الفريد[٢]، قد وَهَى من نَحْرٍ وجِيد، هو قوله - أسْعَد اللهُ جَدَّهُ، وأدام عِزَّهُ ومَجْدَه: «خَلَّد اللهُ تعالى لدولةِ الجدِ والسَّعادة، وعُدَّة الفَخْر والسِّيادة، وسُمُو مَرَاتبِ يَعْتَذِرُ عن لَحَاقِها طَائِرُ الجَوّ، وعلوّ مناقب تَكِلُّ عن بلوغها رياحُ الدَّوِّ، وسُبُوغ نِعَمٍ لو أُذِنَ لسُكَّانِ الجَنَانِ سمعتْ أنباءهَا لطاب إليها الخَبَر، وبُلُوغ آمالٍ هي العينُ بل إنْسَانُها وسَوَادُها الأثَر، بقاءُ سَيِّدنا ومولانا وحبيبُنا وعزيزنا المقرِّ الكريمُ العالي، فَخْرُ أربابِ الرُّتَبِ العَوَالي، عينُ أعيانِ أُمَراءِ الدَّولة السُّلْطانية، وكبراء الخلافة الخَاقَانِيَّة، حضرة مولانا يحيى أفندي، ولا زال يُسْدِي المعروف لأحبابه ويُهْدي.

فكتبتُ على لسانه، وأنا علي جَنَاح سَفَرٍ إلى الشام، بما يُخْجِلُ الدُّرَّ التُّوَام، في سلك النِّظَام، وهو قولي:

أسلام من قول رَبٍّ رَحِيمِ	فَنَمَ الرُّوحَ منــــه رُوحَ نَسِيمِ
جـازَ بَانَ الحِمَى وكُثْبَ المُصلى	واللِّوى وانْثَنى بعَرْفٍ نَمُومِ[٣]
فيــه من بَانَتَيْ زَرُودٍ وحَزْوَى	نَفْحَـةٌ شَمُّهـا شفـاء السَّقِيـمِ
فكـأن الصَّبَا نثتْ[٤] مِسْكَ دَاريـ	ـنَ إليـه في جُنْـحِ لَيْـلٍ بَهِيمِ
أو خطَـتْ مَطْلَعَ الغُوَيْرِ فمرَّتْ	بين بانـات روضـةِ المَرْهُومِ[٥]

---

(١) الوشيعة: التطريز الملون.

(٢) السنن: المثال والطريقة، والفريد: الدر إذا فصل بين حباته بغيره من نحو فضة أو ذهب.

(٣) العرف: الرائحة الزكية والنموم: المنتشرة الفائحة.

(٤) نثت: أذاعت ونشرت.

(٥) المرهوم: الذي أصابه الرهام وهو المطر.

أو مَشَتْ بـالأراك من سَفحِ نَجْدِ ... فانثنـــتْ من عراره بشمِيـمِ
بـل أتَـتْ قـسط اللِّوى(1) حَيـثُ رَيَّا ... سفرت فيـه عن مُحَيَّـا وَسِيمِ
فـإذا ما انثنتْ فعن غُصْنِ بَانٍ ... وإذا مـا رَنَـتْ فعن لحظ رِيمِ
أم رياضٌ باتَ السِّماكُ يُعاطِي ... ثغر أزهارهـــا كُئُوس الغيُومِ
فغـــدتْ كالسَّماء غِـــبَّ غَمامٍ ... زَهْرُها النَّجْم مثلُ زُهْرِ النُّجومِ
وكـأنّ الغصونَ في الدار صَبٌّ ... حـــارَ بـين الوداع والتَّسْلِـيمِ
فرعتْهـــا وُرْقُ الحمائم تَشْدُو ... فوق أغصانهـا بصوتٍ رَخِـيمِ
أذكرتْـني بشجوهـا رَبَّـة العُو ... دِ تَغَنَّــتْ عليـــه بالمَزْمُومِ
بـين رَبْعيْ فُسطاط مصر ومَجْرى ... نيلِهـا العَــذْبِ راق كالتَّسْنِـيمِ
ألْبَسَتْــهُ الصَّبَا مُضاعَفُ سَرْدٍ ... نَسجَتْهُ باللُّطـفِ أيْدِي النَّسِيمِ
حيثُ شَرْخُ الصِّبَا إلى العين عَوْني ... وشَفِيعي إلى ظِبـــاءِ الصَّرِيمِ
والهوى قَائـدي إلى رَوْضة المِقْـ ... ـيَاسِ مَغْنَى الهَوَى مَقَرَّ النَّعِيمِ
مَـعْ سُعْـدَى وزَيــنبٍ ورَبَابٍ ... وسُلَيْمـــى وفَرْتَنَـا وظَلُوم
كُـلُّ خُمْصَانَـةِ الوشاح رداح ... كَرَشَا الرِّيم بالحَشَا المَهْضُومِ
يا خليـليّ والهَوَى غيْرُ خَافٍ ... عَنْكُمَـا والمُحِــبُّ غَيْر مَلُوم
خَلِّيـــاني ووَقْفَـة في الرُّسُوم ... أَقْضِي بَعْـــضَ بَثِّيَ المكْتُومِ
كم أُسَلِّي الفُؤادَ عن سَاحـةِ القصـ ... ـرَيْنِ والقَلْـبُ فيه نارُ الجَحِيمِ
فَصِـفَـا لي تلـكَ الرُّبُوعَ لَعَلِّي ... أجْتَلِيهـا بَطرفِ قَلْـبٍ كَلِـيمِ
واذكُرَا لي رَيْحَانَـةَ العُمْر فيها ... فَهَواهـا رُقْيَـا لقَلْـبِ السَّلِيمِ
يـا سَقاهـا دُنُوّ عَهْـدِيَ منهـا ... صـادقَ النَّوْءِ من وَدَادٍ قَدِيمِ

---

(1) المـط: الوادي الـسائل بالماء القليل.

وترعَى مَنْ بَها لِعَهْدِيَ يَرْعَى | من وَلِيٍّ وصَاحِب وحَمِيم
سِيَّما ذلك الجَنَاب المُفَدَّى | عُمْدة الفَاضِلين شَيْخُ العُلُوم
منتهاها أبو السُّرور أخُو المَجْـ | ـدِ ومَوْلاَهُ ذو النَّوالِ الجَسِيم
صَدْرُ مصْرَ البَهَا وبَدْرُ سَمَاها | مُسْتَقِيدُ للعُدَاةِ مُرْدِي الخُصُوم
والإمامُ الذي له الرأيُ مَا زَا | لَ مُنيراً في الخَطْبِ كُلَّ بَهِيم
هَذَّب المَذْهَبَ الجديدَ وأحْيَا | لابن إدْرِيسَ قَوْله في القَدِيم
وأزالَ الخِلاَف عَنْهُ بفِكْرٍ | مُنْتَجٍ للصَّوابِ غَيْرِ عَقِيم
مُحْرِزُ السَّبْق من بني الصِّدْق وفضلاً | وقد اسْتَجْمَعُوا مَكَارِمَ خِيم
هكذا أشْرَفُ الخَلاَئِق طُرًّا | من قُرَيشٍ والفَضْل فَوْقَ النُّجُوم
جاء منهُ مع الرَّسُولِ كتابٌ | قَابَلَتْهُ الأكُفُّ بالتعظيم
وفَضَضْنَا ختامَهُ فدُهِشْنَا | بين دُرِّيٍّ نَثِيره والنَّظِيم
وشَهدنا سِحْرَ البَلاَغة يَبْدُو | من حَوَاشِي سُطُوره والرقيم
فامتثلْنا لما به قد أُمِرْنا | وابتدَرْنا للسَّعْيَ في التتميم
وسَلاَمٌ من خالص الوُدِّ يُحْيي | منه عهدٌ على الجَنَابِ الكَرِيم

وفي ذيل ذلك من النَّثر ما صُورته:

«أيَّدَ اللهُ أصُول الشريعةِ النبويّة، وأيَّد فُرُوعها المُصْطَفَوِيّة، ولا برحت أعلامها مرفوعة اللِّواء، منصوبةَ المَحَلِّ من غير اسْتثناء، جاريةً أحْكامُها في الخافِقين، باقية على الدهر بقاء الفَرْقَدين، ببقاء سيدنا بَحْر العُلوم الزَّاخِر، فخر الأوائل والأواخر، الذي أزْهر به جامعُ الفَضْل وأنار، وأشْرَفَ برأيه المُنير مُعَلَم العِلْم واستنار، واطَّلَع من سَمَاءِ الإفْتَاء نَجْمُ الأَحْكَام زَاهِرَة، فأصبحتْ بين عُلَماء مِصر القَاهرة، لأعْدَائِه

قَاهِرَة، ولأَوِدَّائِه بَاهِرة، منْهَج الطُّلاَّب، وبَهْجَة الأَصْحَاب، فياله مَوْلًى بَذَّ بِمَنْطِقِه الشَّافِي العِيّ، كُلَّ مَنْ نَاظَرَه من أصحاب الشَّافِعِيّ، ولهذا أصبح [حظه][1] من العُلُوم سِيَّما الدِّينيَّةِ مَوْفُور، وسَعْيُه في تهذيب عُيُون المَذَاهب مَشْكُور، سَيِّدنا وسَنَدنَا العلاَّمة الشَّيخ أبي السرور حَرَس الله مُهْجَتَه، وضَاعف سُرُورَه مَدَى الأَيَّام وبَهْجَتَه، آمين.

رسالة أبي السرور في طلب فتوى الشافعية

وقد كان العَلاَّمة المذكور، مولانا أبو السرور، عمل رسالةً رشيقةَ الأَلْفَاظ دقيقةَ المَعاني، تتعلق بآيات السَّبْع المَثَاني، حاك بُرُودَ طُرُوسِها على مِنْوال التَّحْقيق، وطَرَّزَ حواشِي سُطُورها ببنان التَّدْقِيق، وبَعَثَ بها من الدِّيَار المِصْرِيَّة، إلى دَارِ السَّلْطَنَةِ السَّنِيَّة، لا بَرِحَتْ دَارَ عَدْل وأَمَان، ما اخْتَلَف المَلَوَان، صُحْبَة المولى يَحْيَى المُشَار إليه، دَامَتْ نِعَم المولى عليه، لِتَنُوبَ عنه في تَقْبِيل تلك الأَعْتَاب الخَوَاجكيَّة، وتَفُوزَ بالتَّشَرُّفِ بأَنْظَارها السَّعْدِيَّة، راجيةٍ حُسْن القَبُول، وبُلُوغ المَأْمُول، وهو ما لأجله حُرِّرَتْ، ومن جَرَّاه أُرْسِلَت، من طَلَب مَنْصِب إفْتَاء الشَّافِعِيَّة، بالقاهرة المُعِزِّيَّة، وقد كان يومئذٍ مَنُوطاً بشَيْخِها على الإطْلاَق، وعَلاَّمِهَا المشهورِ في الآفَاق، صاحب التَّصانِيف العَدِيدة، والتَّاليف المُتَدَاوَلة المُفِيدة.

شَمْسُ ضُحَاها هِلاَلُ لَيْلَتِها دُرُّ مَقَاصِيرِهَا زَبَرْجَدِها

من كادت السُّطُورُ والطُّرُوسُ قبل الأقْلام تَكْتُب ما يُمْلِي، المولى

(١) زيادة يستقيم بها السياق.

العَلاَّمة شَمْس المِلَّة والدِّين محمد الرَّمْلي[1]، وعُدَّ ذلك الطلب منه على المحبَّة ذنبٌ واحد لكنّه شَنِيع، وخطب عند فُضَلاء الأمْصار والأَعْصَارِ فَظِيع، على أنَّ لِسَان حَالهِ أنْشَد عَنه مُعْتَذِراً مُبرزاً من الضَّمير ما كان مُسْتتراً:

وإذا الحبيبُ أتَى بذَنْبٍ وَاحِدٍ جَـاءَتْ مَحَاسِنُـه بألْفِ شَفِيـع

فمن ثم اختَرَمَتْه المَنُون بُعَيْد ذلك، وسلكتْ به من طُرُقها أقْرَب المسالك، فافتتحتُ ما كتبتُ مُسْتَهلاً بهذه المقالة، وهو قولي:

﴿يَسْتَفْتُونَك قل اللهُ يُفتيكم في الكَلاَلَة﴾، إذْ بَيَّن لكم بعلم الشرائع حَرَامه وحَلاَلَه، حيثُ جعل العلم في الدُّنْيا نُوراً، وفي الآخرة بَهْجَةً وسُروراً، ورفع الَّذين أوتُوا العِلْمَ دَرَجات، وجعلهم أئمَّةً يَهْدُون سُبُلَ النَّجاة، وخَصَّ الفُقهاء الأعلام، بخُلاصة الفَتَاوَى والأحْكام، وتمييز الحَلاَل من الحرام، لينتظمَ بذلك أمرُ المعاشِ بين الأنام، لإرادة جَلَّتْ، وحكمةٍ دَقَّت، لا يعلم ذلك إلاّ الراسخُون من العِلْم الإلَهِي، والكاشفُون عن حقائقِ الأشْياء كما هي، فمن ثَمَّ لم يخلُ عصرٌ وأوانٌ، ولا مِصْرٌ في جميع الأزمان، من قائمٍ للهِ بحُجَّته، ومُوضِّحٍ لعبارة نَهْج مُحَجَّته، اعتناءً بشأن هذا الإنسان، وإيماءً إلى أنه العَيْن المقصودة، من الأكوان، وكان

---

(١) هو محمد بن أحمد بن حمزة، شمس الدين الرملي، فقيه الديار المصرية في عصره ومرجعها في الفتوى، كان يقال له الشافعي الصغير، نسبته إلى الرملة من قرى المنوفية ومولده ووفاته بالقاهرة (٩١٩ - ١٠٠٤ هـ) ولي بها افتاء الشافعية، وجمع فتاوى أبيه الشيخ أحمد الرملي (سبقت ترجمته)، وصنف شروحاً وحواشي كثيرة، منها عدة الرابح شرح على هدية الناصح في فقه الشافعية، وغاية البيان في شرح زبد ابن رسلان وغير ذلك، وله أيضاً فتاوى شمس الدين الرملي، مطبوعة.
انظر خلاصة الأثر ٣/٣٤٢. (الأعلام ٦/٢٣٥).

من فاز بأوفر حَظٍّ من ذلك الظهور، وأحْرز قَصَبَ السَّبْق في مِضْمَار تلك الحَلَبة من أولئك الجُمهور، فريدُ زمانه، ووحيدُ عَصْره وأوانه، بل شيخُ مشايخ عصره، وعميدُ أفَاضِل مِصْره، مولانا وسَيِّدنا الشيخ محمد أبو السرور، مَفْخَرُ سبط آل الحسن، فَرْعُ دوحةِ الفَصَاحة واللَّسَن، بحرُ البيان الزَّاخِر، فخرُ الأوائل والأواخر، قُرَّةُ عين أصحاب مُحمد بن إدريس، والحَالُّ من تلك العصابة محلَّ الرئيس، والجوهر الغالي النَّفِيس، فهو الذي زَرْكَشَ مَذْهَب الشافعيّ، بمنطقه الحاوي البلاغة والشَّافِي العِيّ، فللّه مَنْطِقٌ ملَكَ آية الإعْجاز، وملَك استعارتُه جانبي الحقيقة والمَجَاز، يُصُوغُ المعنى الوجيز، كالذَّهَب الإبْريز، فإذا حَرَّر مسائل الخِلَاف، أزْرَى بزَهْر الرَّوضةِ المِينَاف، أو قَرَّرها بحُسن لَهْجَته، فيا خَجْلة الوَرْدِيّ ببهجتِه، فهو العَالِمُ الذي باهتْ به الأيام، وتاهتْ في يمينه ألسنةُ الأقلام، لذا أصبحتْ إليه نَاظِرة، وثمرة الخلاف في رَوْضِهِ نَاضرة، كيف لا وهو غُصْنُ هاتيك الدَّوحة البكريَّة، وفرع تلك الشجرة الطَّيِّبة الصِّدِّيقيَّة، فيا لها شجرةٌ أَصْلُها ثابتٌ وفَرْعُها في السَّمَا، فقد نما وايْمُ اللهِ على سَائر فُرُوعه وسَما:

قومٌ لهم في سَمَاء المجد منزلةٌ ... زُهْر الكواكب منها النُّور تَقْتَبِسُ
من كلِّ أزْهَر بادي البِشْرِ غُرَّتُه ... كأنَّها في دَيَاجي ظُلْمَةٍ قَبَسُ
أبو السُّرُورِ سَمَا منه بينَهُم فغَدا ... سَمَاءُ فَضْلٍ وَهُمْ من حوله حَرَسُ

وفي الرَّشْح العُسَيْلي.

يا أُسْرَة الصِّدْق والصِّدِّيق إنكُمُ ... في كُلِّ عَصْرٍ لَعَينِ المَجْد إنْسَانُ
طِبْتُمْ ولكنّ بَعْضَ الشيءِ يَفْضُلُه ... ألَا تَرَى أنَّ بَعْض القَوْل بُرْهَانُ

هذا والمَنْهِيُّ لتلك الحَضْرة العَالِية الشَّأْن، الضَّارِبَة سُرَادِقَ مَجْدِها

على هَامَةِ كيوان، بعد عَرْضِ أَشْوَاقٍ لا يُحْصِيها قَلَمُ كَاتِب، ولا يَسْتَقْصِيها رَقْمُ حَاسِب، أنه لما أنْ سَار بِنَا الفَلَكُ السَّيَّار، وألقينا بمَحْرُوسَةَ قُسْطَنْطِينية عَصَا التَّسْيَار، مَرسى الفُلْك، ودَارَ المُلْك، وأشْرَفْنا على تلك المَشَارف السَّعْدِية، وتَشَرَّفْنا بهاتيك المَواقف السَّنِيَّة، وأسبغ الله على كَافَّةِ الخَلْق ظِلاَلها، وضَاعَف كُلَّ حِين جلالها وإجلالها، عَرَضْنا عليها أمانتكم، وأدَّيْنا إليها رِسَالتكم، فَكَأَن السَّعْدَ طَالَعَها، بأن السَّعْدَ طَالِعُها، فزادتْ بذلك حُسْنَا وبَهَا، وحَلَّت من الشَّرَف حيث السُّهَا، فعند ذلك وَجد المُحِبُّ للقول مَجَال، وأطلق عِنَان الوَصْفِ وَجَال، ولم يزلْ في ذلك المُقَام، يُوَشِّحُ بفضائلكم أعْطَافَ الكلام، تَقْرِيباً من المَرَام، وتبعيداً من المَلاَم، حتى انعطفتْ إليكم أعْطَاف السَّعْدية، وأنعمتْ عليكم بمنصب إفْتاء الشَّافِعِيّة، بعد عَرْضِها على السُّدَّة السَّنِيَّة المُرَادْ خَانِيَّة، والعَتبة العَلِيَّة الخَاقَانِيَّة، خَلَّد اللهُ خِلاَفتها على مَرِّ الدُّهُور والأَعْوَام، ورَبَط سَلْطَنَتها بأوتاد الخُلُود والدَّوَام، وقد أخرجنا لكم البَرَاءَة السُّلْطَانية، من السُّدَّة المَحْفُوفة بالقُدْرة الصَّمدانية، حيث الأوامرُ فيها تُطاع، وهي في غاية الحُسن ونِهاية الإبداع، وجَهَّزَتْ إلى ذلك الجناب المضَمَّخة سُوحُه بالإِناب، على بَلَد قَاصِدِكُم فُلان، بَلَّغكُم اللهُ مآربَكُم ومَقَاصِدَكُم في كلِّ آن، بالنبيِّ وآله وعِتْرته، ومن اقْتفى أَثَرَهُم من أُسْرَته، هذا إلى آخره.

وكتب في الشوق ترجيعاً لشجو حمامة

سمعتُ بالرُّوم صَوْتَ حَمامةٍ أشجاني، فهاجتْ نحو الشام مِنْ أَشْجَانِي، فكتبتُ هذه الأبيات، صَدْرَ كتاب، ودُمُوعُ العين في الخد أسْرَاب، وذلك غُرَّةَ شهر ربيعِ الأوَّل، سنة اثنين بعد الألف:

وهو يَـدري بأنَّــني ذلـك السَّا جِعُ في روض فَضْلِكَ البُسْتاني

لم يكنْ يَرْتَشِي وحَاشَاهُ لكن أَلِسَهْوٍ قـد كـان أمْ نِسْيَـانِ

أم عَرَتْـهُ يُبُوسَةُ الكيف حَتَّى غلبَتْـــــه فمال للحَلْوَاني

ميـلُ طَبْعٍ عن سُكَّر الشَّام قَصْداً وانتحـى عِقْدَه كما الزَّعْفَرَاني

وغـدا الطَّالَوِيُّ عبـدُك يَجْرِي دَمْعُـه كالعقيـق أحْمَرَ قَانِي

أهلُـــــه بالشّآم ينتظرُوهُ[1] كانتظـارِ الهـلال في رَمَضَـانِ

وَعَـدَ العـامَ أمَّهُ حَجَّ بيتٍ بعـد سَبْعـين حِجَّـةٍ وثمانِ

فهو يَبْكي لِبُعْـدِه في انتظـارٍ بدُمُوعٍ في خَدِّهـا كالجُمَـانِ

فأعِـدْ لابْنها قَضَا الحجِّ تَقْضِي فَرْضَهـا قاصِداً رِضَا الرَّحْمنِ

دُمْـتَ في رِفْعَـةٍ وعِزٍّ مَنِيـع آمِنـاً من طوارقِ الحِدْثَـانِ

وحَبَـاك الإلـهُ من كلِّ شيْءٍ رُمْـتَ منـه وكـان في الإمْكَانِ

ومما كتبتُ مثل ذلك لجنابه سَعْد المِلَّة والدُّنْيا والدِّين، مُقْتَدى العالمين في العالمين، حضرة خواجة أفندي، مَدَّ الله في ظِلِّه في الأيَّام، حتى ساعة القيام، مُسْتَحِثًّا في ذيلها السَّاميّ، أدام الله جَنَابه السامي، وقد وَلَّى وَلَده الأفضـلَ الأمْجَـد، والأعْـلم الأسعد، مدرسَة دارِ الحديث السَّنِيَّة، بقُسْطَنطينية العَلِيّة، لسامي همته، وعالي إشارته، على حُصُول قضاء الركب الشآمي، أدام الله جنابه السامي، عام إحدى بعد الألف، قولي:

هاجـتْ بلابلَنـا بلابـلُ تُنشِدُ - برياض سَعْدٍ- مَدْحَهُ وتُغَرِّدُ

أملـتْ من الأوراق حُسْن ثَنَائِه ورَوَتْ حديثاً عن عَطاءٍ يُسْنَدُ

---

(١) في هذه الكلمة خطأ نحوي، إذ صحتها ينتظرونه بغير حذف النون، ولكن المؤلف اضطر إلى ذلك لضرورة الشعر، وهي من الضرورات القبيحة.

الإمــامُ الجليــلُ حَــلَّ محلّاً لن يُدانيـــه في الأنــام مُداني

مُشْرِقُ الرأي والرَّويــة فيّــا ضُ أكــفٌ العَطَــاء بالإحْسَانِ

ذو مُحَيّا كالبـدر تَحْتَ جَبين يَجْتـــدِي من سَنَاهُا القَمَرانِ

قامـعُ الظلم قالعُ الجَوْر فَرْداً ليس يَثْنِيــه عنها الدَّهْرُ ثَاني

مُعلنُ الحَــقِّ والرِّمــاحُ شراعٌ والمواضِي يَضْرِبْنَ كُــلَّ بَنَــانِ

بسَنَــا مَنْطِــقٍ فصاحــةُ قُسٍّ عنــدَه باقِــلٌ لــدى سَحْبَــانِ

وفتــاوى أبْكارُهــا الغُرُّ تُجْلَى من سَنَــا رَأيِـه على الأذْهـانِ

غايــةً في البيــان والإتقــانِ قَـد رُوِي حُسْنُهـا عن الإتْقانِ

صَحَّحَتْهــا أقوالُــه برواياتٍ عن الصَّاحِبَيْن عن نُعْمانِ

مــلأ الخافقــين صيــتُ عــلاه وسَرَى ذكرُهــا مــع التُّرْكمانِ

يــا لهــا رُتْبــةً تضاءل عَنْها شَخـصُ كيوان من عُلُوِّ المكان

جئــتُ أعتابَـه الشَّريفـة أشكُو من زَمَاني وما بـه قَدْ رَمَانِي

من لئيم الطِّباعِ دَهْرٌ يعادي الـ ـفَضْـلِ جَحْداً عَدَاوَة ابنِ سِنانِ

يـــا رمـــى الله نحرَهُ بأبيـــه وجَزَاه الإلـــهُ غَيْرَ الجنـــانِ

شيـــخٌ مالـــه مثـــالٌ تَراهُ وهَيولَــى في صُورَةِ الإنسانِ[1]

وجـــه في القضيـــة عامِيٌّ قبــل تَصْويرهِ بــلا إذْعَــانِ

وقَضَـى لَيْتَه قَضَى لي بحُكْمٍ كـــان فيـــه مُزَلْزَلُ الأرْكَـانِ

حَـلَّ عَنّي قضـاء رَكْب تَوَلَّى عَقْــدَهُ لي عُــلاك مُـذْ أزْمَـانِ

---

(١) الهيولى: مادة الشيء التي يصنع منها كالخشب للكرسي والحديد للمسمار، وعند القدماء: مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة قابلة للتشكيل والتصوير في شتى الصور، وهي التي صنع الله منها أجزاء العالم المادية، أو هي التخطيط المبدئي للصورة أو التمثال.

لكن بحقٍّ جنابك السّامِي الذُّرَى	إلّا سمعــت فلي سُؤالٌ يُورَدُ
كم قلتُ فيك قصيدةً طنّانةً	غرّاءَ تُتْهِمُ في البلاد وتُنْجِدُ
وأرى جوائزها كغَيْرِي يا لَهُ	خَطْباً تَقُومُ له النُّفوسُ وتَقْعُدُ
والآن أقْنعُ من جوائز سَيِّدي	بقضاءِ ركب الشّامِ منه أُقلَّدُ
فلقد نَوَيتُ زيارة البيت الحرا	مِ وحَجِّ بيتٍ بالرَّكائب يُقْصَدُ
أدعُو لــه عند الحطيم وزَمْزَم	وأَظَلُّ أركعُ في المقام وأسْجُدُ
وأطوفُ بالبيت العتيق مُقَبِّلاً	أركانَــهُ الحجرُ الكريمُ الأسودُ
وأزورُ أشْرَفَ مُرْسَلٍ صَلّى به	والكفرُ فيــه تنمُّرٌ وتَمرُّدُ
وأشَمُّ تُرْب الآلِ مِمَّن حَلّ في	أرجاء يَثْرب أو حَوَاه الفَرْقَدُ
هم ذخْرنا والعُرْوة الوُثْقَى لنا	يومَ المَعَادِ ورُكننا والمُسْنَدُ
لا زالت الصَّلَواتُ من رَبِّ العُلَا	تَتْرَى عليهم كلَّ حين تُورَدُ
واسلمْ فبابُك كعبةٌ بطحاؤُها	فيها المُنَى يُقْضَى وأنت المقصدُ

ومما دعت الضرورة إلى كتابته

ومما كتبتُ به إلى جنابه، وأمَتّ به إلى أعْتابه، وقد ألجأت الضَّرُورةُ الشِّعْرية، واقتضته الحرفة الأدبية، أواخر جمادى الأولى عام إحدى وألف:

هجم الشتاءُ وكِسْرُ[1] بيتي قد خلا	من كِسْرَةٍ فيــه ومَالِي دِرْهَمُ
ورَجَوْتُ من خَدَمِ ابن بستانٍ ومَنْ	يَرْجُو اللئيمَ وحَقِّ فضلك يُحْرَمُ

---

(١) الكسر: الناحية.

ورقت منابرَ أيْكها تتلو بها آيات مدح جئن فيه وترد
مثل الكَراين رَجَّعَتْ لحناً عَلَى عُودِ تَوَاصَاهُ الغَرِيضُ ومَعبدُ
مَطْبُوعة الأسجاع في أصْوَاتِها عَطْفٌ وفي أعْطافهن تَأوُّدُ
ما ذاك إلاّ فَرحةٌ بمن اعْتَلى هَامَ العَلا حيث السُّها والفَرْقَدُ
العالِم النَّطِسُ الأغَرُّ الألْـمَعِيُّ اللَّوذَعِيُّ الأمْجَدُ
من دَوْحَةٍ سَعْدِيَّةٍ لِفُرُوعِها أصلُ السَّعادة وهو فيهم أسْعَدُ
هو سَيِّدُ الفُضَلاء غيرُ مُدافِعٍ في عَصره وَهوَ الإمامُ الأوْحَدُ
مَوْلَى تَرَدَّى الحِلْمَ بُرْداً والتُّقى ثَوْباً طرازُهُا الحَيَا والسُّؤْدَدُ
بحرُ الورى إعجازُ منطقه الذي أعْيَا فآيَةُ فَضْلِه لا تُجْحَدُ
متهلِّلُ الإشراقِ منهلُّ الحَيَا بيدٍ هَمَتْ فيها لراجيها يَدُ
وبها يراعٌ للندى أو للرَّدَى فيقالُ فيه رَوْضَةٌ ومُهَنَّدُ
شَرُفت به دارُ الحديث فأصبحتْ بين الرُّوَاةِ لها الحديثُ المُسْنَدُ
وسَمَتْ على كلِّ المدارسِ رُقعةً لم لا وعَالِمُها المدرسُ أسْعَدُ
فكأنها دارُ السلام نَبَاهةً وكأنّه فيها الإمام محمدُ
سَعِدَتْ معالِمُها به من بَعْدما شَقِيَتْ فأصبحتْ المعالم تُنْشَدُ
وإذا تأمَّلْتَ البقاعُ وجدتَها تَشْقَى كما تَشْقَى الرِّجالُ وتُسْعَدُ
خُذْها إليك كبكر فكرك غادةً حَسْنَاءَ يَحْسُدها الحسانُ الخُرَّدُ
وشَّحتُها دُرَّ النظام كأنَّه فوق التَّرائِبِ لؤلؤٌ وزَبَرْجَدُ
أَمَّا بَدَتْ فهي الغزالةُ بهجةً أو غَازَلَتْ فهي الغَزَالُ الأغيَدُ
لا زلتَ يا سَعْدَ البرايا فائضَ الـأنْوار مَقْهُورَ الأعادي تُحْسَدُ
بمرادِك الأقدارُ تَجْري مثل ما تختارُ في أمْنٍ وأنتَ مُخلَّدُ

باتت تعلِّلُها الصَّبا وَسْط الرُّبَا   وتُعِلّهـا من حَاجِرٍ نَسَمَاتُـه

والليـلُ غُفْـلٌ ثوبُـهُ حتى بَدَتْ   مَوشِيَّـةً لنواظِرٍ حَبَرَاتُـهُ

فتطلعتْ نُقَبَ الغُوَيْر فصافحتْ   فيـه كِلَا رَوْضٍ زَهَتْ خَامَاتُه

واستطلعتْ تَلْعَات وادي ضَارِجٍ   مَجرى الجَنُوب فأورقتْ سَلَماتُهُ

وتَحرَّشَتْ بشَمِيمِ أحقَاف اللِّوى   فَزَهَتْ على بَان الفَقا أثلاثُهُ

وصَبَتْ لحيٍّ العامِرِيَّة واكْتستْ   وَشْيَ الرِّياض وأيْنَعَتْ ثمراتُهُ

وأتتْ بها سَحَراً نُسَيْمَةُ حَاجِرٍ   رَوْضَ الحِمَى فتعطَّرَتْ زَهَرَاتُه

وتَعطفتْ بغُصونه حتى انثنتْ   وتمايَلتْ من بَانِـهِ عَذَبَاتُـهُ

فيها سواجعُ ما الغريضُ ومَعْبدٍ   من |لَحْن|سَاجِعِها| وما نَغَمَاتُه

غنت على عُود ونَاحَ مُتَيَّمٌ   ذَكَرَ الصَّبا فتساقطتْ عَبَراتُه

ومَعَاهِداً كان الشبابُ سميرُه   فيها فَبَان وأبقيتْ حَسَراتُهُ

أمْ أحور العينين سَاجٍ طَرْفُهُ   قد رتقت في مُقلتيه سِنَاتُه

ما الوُرْقُ فوق الأُقحُوان وإنّما   بِدَمِ النُّفوسِ تَضرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ

يُبدي أقَاحَ الرَّوضِ منه مُفَلَّجٌ   يسْقِي اللَّمَى مَعْسُولَةٌ رشفاتُهُ

فيه المها بل دُرُّ أجياد المَها   نُظِمَتْ مع اليَاقُوتِ فهي لَثَاتُه

كنظام عِقْد العَلْمويِّ لآلِئًا   ما هُنَّ إلّا الدُّرُّ أو حَبَّاتُهُ

أو عِقْد غانيةٍ يروقُ بحسنه   قد فُصِّلت في سلكه شَذَرَاتُهُ

الألمعيُّ الفهم والشهمُ الّذي   طَنَّتْ بفضلٍ في البلاد حَصَاتُهُ

كم بَذَّ منطقُه بلاغةَ شاعِرٍ   ومَحَتْ فصاحةَ كاتب سَجَعَاتُهُ

زان القريضَ بفكرةٍ نَظَمَتْ له   عِقْدَ النجومِ فزَهْرُها فَقَرَاتُهُ

وله الشَّوارِدُ في البلاد تناقلتْ   أخبارَها في الخَافِقَيْن رُوَاتُهُ

مـع أنّـي مِمَّن يقولُ بفضلِهِ والفضـلُ لاَ يَخْفَـى ولا يَتَكَتَّمُ
لكن فهمـتُ ضميرَهُ من فِعْلـهِ إنّ الفعَـالَ عن الضمير تُتَرْجِمُ
فطفقتُ أسْأَلُ من سواكن بيته ورأيـتُ كُلًّا في المقال يُجَمْجِمُ[1]
فعلمـتُ منـه بأنَّ ذَنْبِي نِسْبَتِي لجنابكُمْ وهو الجنـابُ الأكرَمُ
إن كـان جُرْمِي بانْتِسَابِي نَحْوَهُ فَسواي منسوبٌ وغَيْرِي المُجْرِمُ
أيعـدُّ ذَنْبِي الانتسابَ لبابكـم وإليـه نسبتُـه الشريفة أقدمُ
هو غَرْسُ نعمتـه وخاصُ صنيعهِ واللهُ يَشْهَـدُ والبريَّـةُ تعلـمُ
فاستفْتِ منـه إذن جاحـد نِعْمةِ الـ مَوْلَـى يَصِحُّ يُقالُ فيـه مُسْلِمُ
فـاللهُ يَهْدِي من أضـلَّ سبيلَـه منه بعدمَا ظهر الطريقُ الاقـومُ

وقال في تقريظ قصيدة للعلموي قيلت في جلوس السلطان

ولما انفصلتُ من بعض مدارس الرُّوم عن الأربعين، توجهتُ إلى دمشق الشام منزل الأحباب، ومعهد الأتراب، أواخر سنة ثلاث عام الجلوس كتبتُ بها عام أربع بعد الألف، تقريظاً لقصيدة الأديب الفاضل، والأريب الكامل، جمال الدين يوسف العَلْمَوي، التي نظمها لجلوس السلطان محمد خان ابن السُّلطان مُراد خان، عليه الرَّحْمَة والرِّضْوان، وهي عند الأدباء من سهل الشعر المُمْتِع، وأبِيُّه الذي أضحى بقوافيه إلاّ عند أهله مُمْتَنع، قولي:

هَـذِي عُقُودُ السِّحْرِ أم نَفَثَاتُـهُ ووَرْدُ وادِي السِّحْر أم نَفحَاتُه

---

(١) يجمجم: لا يفصح بكلامه ولا يبين.

فإن المُتَّصِف بمحاسن الشِّيم، وكرم الخِيم، والكائن من بيت الشرف الأُرْتُقِيّ في الصميم، ذو السَّجايا الزَّاهرة، والمزايا البَاهرة، الصَّارِميُّ الطَّالَوِيُّ الأمير المُوَشِّحُ مُطاوِي أعْطاف هذا الكتاب، بمآثِرِ ذِكْره الجَمِيل المُسْتطاب، من بيتٍ طود مجده نحو السماء شَامِخ، وطَوْدُ فضله في العلا بَاذِخ، قد أَخذ بأطراف الفَخَار، فأصبح كالشَّمس في رابعة النهار، بل طال فاعتلى هَامَ الكواكب، وزاحمتْ مصَاعِدُه الجوزاءَ بالمناكب، وسَمَتْ دعائِمُه المَجرَّة، واقتعدتْ نجومها أسِرَّة، واجتازتْ الشِّعْرى العَبُور، فلم تُطِقْ إليها عُبُور، فوسَمَتْ مَفْحِصَ النَّسْرين[١] ومَطْلَع القَمرين بالقُصُور، ولم يزل الأميرُ المذكور، لهذا البيت المعمور، عمادَ مجده، وطَلَّاعَ ثنايا نَجْده، طال ما خفقتْ على رأسه ألويةُ الولاية، وعُقدتْ له أسنى المناصب بأرفع الراية، فسار فيها سيراً حسناً، وكان في حَقِّ الرَّعايا مُشْفقاً مُحْسِناً، وكم من خِدْمة جليلة المقدار، ظهر له فيها جميل الآثار، كخدمة الحجِّ الشريف والاستقبال، اللَّذَيْن[٢] في مثلها تُشَدُّ الرِّحال، وتُصرف أنفس الأوقات وكرائم الأموال، إلى ما تقدم ذلك من غرر أسفاره، الجلية عن مثل غُرَّة الصَّباح وإسْفاره، مِنْ دَفْعِهِ نَفْسَه في الملاحم والصَّوارم، تُسَلُّ ولا تغمد إلا في الجماجم، بل لقد شهد من الفُتُوحات الجليَّة، عِدَّةً مشهورةً غير خَفِيَّة، كالسَّكَدْوَارية والقُبْرصية والأَذْرَبَاجانية، في عهد السَّلْطنة السُّلَيمانية والسَّلِيميّة والمُراد خانية، أعلى اللهُ درجاتهم في أعلى عِلِّيِّين، وجعلهم للأرض من الوارثين، وخلّد في

---

(١) المفحص أو الأفحوص: حفرة تحفرها أنثى الطائر لتضع فيها بيضها وترقد فيها، والنسران: مجموعتان من النجوم معروفة بمشابهتها للنسر، النجم الأكبر في المجموعة الأولى يسمى النسر الطائر، والأكبر في الأخرى يسمى النسر الواقع.

(٢) في ب: الذين.

من كل سَاحِرةِ البيانِ كأنّها بَــدْرٌ ونقشُ طُروسها هَالاَتُـهُ
سيّــارة مثــلُ النجومِ بمثلِهـا صَدْر العُلَا قد أشْرَقَتْ لَبَّاتُهُ
فالشِّعْرُ ميــدانٌ وسَابِقَ حَلْبَةٍ فيـه الكُمَيْتُ وهُنَّ فيه شِيَاتُه
والغرُّ منهـا ما جرَتْ وتَسابقتْ بمدائــحِ المِلـكِ البديعةِ ذاتُـهُ
ظــل الإلـه محمدٌ مَنْ دَوَّخَتْ هامَ الملوك من العدى سَطَوَاتُهُ
فَخْرُ السلاطينِ العِظام وبابُهُ شَرَفُ الملوك رفيعــةٌ دَرَجَاتُــه
حامي حِمى الإسلام منه بصارمٍ أمْضَى من القَدَرَ المُتاحِ ظُبَاتُهُ
تسمُو المنابر حين يُتلى ذكرُه فيهــا وتُزهى إذ تُعدُّ صِفَاتُـه
من آل عــثمان الــذين بِعَدْلِهمْ قامتْ من الدِّين القويم قَنَاتُه
بجلوسِه طاب الزمانُ وقد صفتْ أوقاتُــه واستسْعــدت سَاعَاتُــه
لا زال نَصْرُ الله قائـدَ جَيْشه في عَسْكَرِ جُنْــدُ الإلــه كُماتُـه
ما قرظت شعرا يراعة كاتب وحمت حريم الفضل منه حماته

ومما كتبه في تزكية بعض الأمراء العظام

ومما كتبتُ وأنا بدمشق الشام، على مَحضرٍ لبعض أمرائها العِظَام، عام خمس بعد الألف، ما صُورتُه مَسْئُولاً في ذلك:

« يا مَنْ أحْصَى بلطفه الخلائق عَدَداً، وجعلهم بمشيئته طَرَائِق قدَداً، كُلٌّ يعملُ على شَاكلتِهِ، في عاجلته لآجلته، صَلِّ على صَفْوتِك الدَّاعي إليـك، القائِل سُبحانك لا أُحْصِي ثناءً عليك، وعلى آله الطَّاهِرين، وعترته المُنْتَخبين، ذوي النسب الطاهر، والحَسَب الظاهر، وبعد:

حامي حِمَى الشَّرْع القويم بصارمٍ — من عَزْمةٍ أمْضَى من الأقدارِ
سَبَّاق غاياتٍ تناقَطَ دُونها — حَسْرَى جيادُ الرِّيح في المضمارِ
مَوْلى تَرَدَّى الفضل أبهى حُلّةٍ — وتَسَرْبَل المعروف خيرَ شعارِ
فهو الإمامُ المجتبَى وهو الوَلي — المُرْتَضَى من فتيةِ الأنصارِ
قوم هُمُ نصرُوا النبيّ وطَاعَنُوا — عنه الأعادِي بالقَنَا الخَطَّارِ[1]
وفَدَوْه بالأرواحِ مُشْتَجَرَ القنا — والموتُ بين ظُباً وحَدِّ شفارِ
وافى حمى فسطاط مصرَ وأصبحتْ — تُزهى به مصرٌ على الأمْصارِ
فاقْعَنْس الهَرَمانَ[2] إجلالاً له — وهُمَا هُمَا في رِفعةٍ ووَقارِ
وكَسَا معاطِف روضةِ المقياس من — أنواءِ رَاحَتِه حُلَى الأزْهارِ
ولذاك زاد النيلُ فوق أصابعٍ — حتى أفاضَ على رُباً وصَحَارِي
فَلْتَهْنَ مِصرُ بعالِمٍ رُفعتْ له — راياتُ أسْنى المجد في الأقطارِ
أحْيا معالمها الدوارسَ بعدما — كادتْ تُرى مطموسةَ الآثارِ
بشموسِ آراءٍ إذا ما أشْرَقَتْ — خفَتَتْ نجومُ الأفق وهي دَرَارِي
طَلْقُ المحيّا بالسَّناء مُبَرْقَعٌ — لو قابل البَدْرَ اختفى بِسِرَارِ
نُورُ الولايةِ في أسِرَّةِ وَجْهه — بادي الظُّهُورِ لأعْيُن النُّظَّارِ
عَفّ المآزرِ خَاشعٌ متبتلٌ — يحيي قيامَ اللّيل للأسْحَارِ
لا تَزْدَهيه مطامعُ الدنيا ولا — يَظْمَا لماءِ سَرَابها الغَرّارِ
كلا ولا يَرْنُو لزُخرفِ زَيْنها — وجميع ما اشتملتْ عليه عَوَاري
ماتت به بدعٌ تمادَى عُمرها — كانت لديه قصيرة الأعمارِ

---

(١) القنا: هو الرمح الجوف، والخطار: الرمح أيضاً أو الطعان به.
(٢) اقعنس الهرمان: احدودبا أو انحنيا.

بسيطها خلافة الدولة المحمديّة، المؤيدة بالنصرة الربّانية، والقدرة الصَّمدانية، ألا وإن في أعتابها السامية السلطانيّة، وأبوابها العلية العثمانية، أحيا بيت المكارم بما يَقُومُ بِبِنْيَتِه، لقوله عليه الصلاة والسلام: «كُلُّكم رَاعٍ وكلكم مَسْئُول عن رعيته»، فكيف بمن أبلى ريعان الشبيبة إبلاءَ الشَّيْبة، في شرف خدمة السلاطين العظام، والأَجْدَاد الخَوَاقِين الكرام، فإنه أوْلى بملاحظة الأنظار السُّلْطانية دون الأنام، وأحْرَى بمزيدِ الإطمئنان وزيادة الإكرام، والدعاء للدول المُحَمَّد خانيّة مُوَاصَلٌ على الدوام، إلى قيام الساعة وساعة القيام.

تهنئة للأنصاري بقضاء مصر مرة ثانية

ومما نظمتُه وأنا بدمشق الشام، لا أغَبَّ حِماها صوب [الغمام]، ولا زال خَفَّاق النسيم مرفرفاً عليها، وأنواءُ السَّماء تُصَوّب إليها، أواخر محرم الحرام، عام خمس بعد الألف، وأرسلتُها لمصر المحروسة، طابتْ رُبُوعُها المأنوسة، لجناب المولى، قاضي قُضَاتها، أحمد الأنصاري[1]، لا زال في كَلأَةِ البَاري، وقد وليها مرةً ثانية، قولي:

فخرُ البـــلاد بأحمد الأنصـــار	فخرُ العبـــاد بأحمد المختـــارِ
وبـه سمتْ أوسٌ وخَزْرَجُها عَلَتْ	وخَلَـتْ بـه أنصارهـا من عـارِ
شيـخُ العلوم إمام أربابِ التُّقَى	غَوْثُ البريـــة غيثهـا المـدرارِ
مُعلِي منـارَ الشَّرْعْ مختار العُلَى	كَنْز الهدايـــة روضـة الأبْرارِ

(١) هو أحمد بن روح الله الأنصاري، وقد سبقت ترجمته.

وإذا وَرَدْن مياه يَمنِ خِلْتَها فيها حواجبُ أو قصيمُ سِوَارِ

هجرتْ مياه الغُوطتين نميرةً ولفيفُ جَعْدَى حَنْوَةٍ وعَرارِ[1]

ورفيفُ نَوَّارِ الخُزَامى غَضَّةٍ في رَبْوة غَنَّاءَ ذاتِ قَرَارِ

غَنَّتْ بها وُرْقٌ روتْ عن مَعْبدٍ ألحانَهـا والشعر عن مِهْيَارِ

ورمَتْ بنا أقطارَ طامِسَة القوى لا يَهتدي فيها القَطَا لِمنارِ

عن حارث الجُولَان[2] لا تَلْوىَ عَلَى رَبْعٍ هناك ومائلاتِ دَيارِ

تُورِي الحَصَا منها زِنادَ مناسِمٍ فكأن مَرْخاً يلتقي بَعَفَارِ[3]

وهفَتْ بُروق الغَوْر فاهتاجتْ لها شَجَناً رَمَى أحْشاءها بِشرَارِ

فتنكبتهُ وخَلَّفت بَيْسان عَنْ كَثَب فيا سُقْيا لها من دَارِ

واستوقفتْ سِرْبَ القطا منها الخُطا سَيراً به سِرْب النجوم تُبَارِي

تَطْوي لبئرِ العَبْد غَزَّةَ هاشم عَبْديّة تفلي الفلاة مَهَارِي

مُجْتَازةً رمل العريش وقد دَنا منها إلى بِلْبيس بُعْد مَزَار

لم تَرْضَ منزلة ولَو سِقْط اللِّوى تُبْدِي ذوائبَ طلحة والغارِي

تنحُو رُبوع الخانقاه وفي الحشا منها لساكِنها لهيب أُوَارِ

ومعاهداً ما إنّ لها من بَعْدها إلاّ الحنينُ ولوعةُ التّذْكارِ

شَوقاً إلى النيل الفراتِ وقد جرَى فيه النُّضار لُجَيْنُه مُتَوارِي

---

(١) الجعدى: الأرض ذات النبات المجتمع الملتف، والحنوة: نبات سهلي أو هو آذريون البر، (الآذريون: زهر أصفر في وسطه خمل أسود، حار رطب، والفرس تعظمه بالنظر إليه، وتنثره في المنزل وليس بطيب الرائحة). والعرار: زهر ينبت أيام الربيع طيب الرائحة الواحدة عرارة.

(٢) الجولان: جبل معروف بالشام والحارث: قلة الجبل.

(٣) المرخ والعفار: شجيرتان يتخذ منها القدح والزناد فيسرع الوري بها، وفي المثل: «في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار».

مولـى لباهر فضله كُـلٌّ عَنَـا | فسواءٌ البـادي بـه والقَـارِي[1]
عَلَّامُ أسرارِ الكتـاب وما حَوَتْ | آياتُـــــه من مُعظم الأسْرَارِ
كَشَّافُ أسرار البلاغــةِ رأيُـه | في كشف مُشْكلها كَزِندٍ وَارِي
كم آيــةٍ ظهرتْ لـه في آيــةٍ | إعجازُها أغْنَـى على الأفكارِ
طَنَّـتْ حصاةُ حديثِها بالروم في | صحنِ المدارس إذ تلاها القَارِي
للهِ مَوْلَـــى للعُفَـــاةِ يمينُــه | أنــدى لسائلهــا من الأمْطَـارِ
مـا حَلّ أرضاً أجدبتْ أقطارُها | إلّا وحَــلّ بهــا الغَمام السَّارِي
فكستْ معالِمَهـا سحائبُ جُودِه | وَشْيَ الرَّبيــع وحُلّـة الأمطـارِ
مولاي يـا ركنَ الفضائِل والعُلَا | ويمــينِ بيت الله ذي الأسْتَـارِ
يـا خيرَ من يَمَّتْ غوارِبَ يَمِّهِ | شُمُّ الغَوَارب كالسّفِين جَوَارِي[2]
يَرْسُبْن في بحر الدجى فإذا انْجَلى | لَجَّجْنَ في لَـجِّ السَّرار الجَارِي[3]
أكـل السُّرى منها الحَوَايا فانبرتْ | مثـل الحَنَايا في يمين البَارِي[4]
أو كالأهِلَّـةِ في سَمَـاء تَنُوفَـةٍ | أو أشطر الآنـاءِ وَسْط الدارِ[5]

---

(١) لجحن: تمادين، ولج السرار: معظم الطريق أو أوسطه وأفضله.

(٢) السري: السير ليلاً، والحوايا: الأمعاء، والحنايا جمع حنية وهي القوس، والباري: صانع الأقواس والسهام.

(٣) البادي: الذي يعيش في البادية وهم عادة يرتحلون كثيراً إلى حيث المياه والعشب، والقاري: المستقر في بلده لا يبرحه.

(٤) يمت: أمت وقصدت. والغوارب في اليم أعالي أمواجه، وهو يقصد بهذا جنابه العالي وساحته الفياضة الكريمة، وشم الغوارب يعني بها الإبل العالية القوية، فالغارب من البعير هو ما بين السنام والعنق.

(٥) التنوفة: الفلاة لا ماء فيها ولا أنيس. الآناء: أوعية الطعام والشراب، وأشطرها: أنصافها وإذا شطر الاناء نصفين كان معوجاً كالهلال وهو ما يقصده المؤلف.

آخر ما كتب به إلى إبن بستان

ومما كتبتُ به عام خمس بعد الألف من دمشق الشام المحميّة، إلى دار السَّلْطنة السنية، لمفتي الفرق الإسلامية، حضرة المولى عَلاَّمةِ الزمان، محمد أفندي بن بُسْتان، صَدْرَ مكاتبة، وهو آخر ما كتبتُ له، قولي:

ريحَ الشمال عساك أن تَتَحَمَّلي ... خَدَمِي إلى المولى الإمام الأفضلِ
وقفِي بواديه المقدّسِ وانْظُرِي ... نُورَ الهداية مشرقاً لا يأتلي
واستوقفي نَفَسَ الصَّبَا إن الصَّبَا ... فيها لرُوح الصَّبِّ رَوْحُ تعلُّلِ
وتحمَّلي أزْكى السَّلاَم إلى حِمَى ... ذاك الجناب وفي الخطاب تجمَّلِي
ثم آبلغي كرماً تحيةَ عَبْدِه ... لجنابه السَّامي الذَّرا وتفضلي
في طيِّها نشرٌ يفوقُ عبيرُها ... رَيَّا رياض الحَزْنِ غَادَاها الوَلِيَ
وصِفِي لسُدّته الشريفةِ شوقه ... بتعطُّفِ وتلطفِ وتَذَلُّلِ
واستأنِ في خَبَر الغرام وشَرْحِهِ ... واستأنِفِي من حاله المتحوِّلِ
جملاً عن التفصيل فيها غُنْيَةٌ ... لجنابه إذ عِلْمُه فيها جَلِي
منها إقامتُه بجرعاءِ الحِمَى ... أعني ربوعَ الشام أولُ منزِلِ
لا تزدهيه معالمٌ لَبِسَ الصَّبا ... فيها بُرُوداً في الزمان الأوَّلِ
بل دأبهُ فيها الدعاء لدوحةٍ ... مَدّتْ على الإسلامِ ظلَّ تفضُّلِ
من روضِ بُستان العلوم فروعُها ... طابتْ مغارسُ مجدها المتأثلِ
ضربتْ رُواق المجد مُعْترض السُّها ... يسمُو على هام السِّماك الأعْزلِ
فعسى عُلاها المولويُّ بما حوى ... من سُؤدد سامٍ ومجدٍ مُعْتَلِي
يحنُو على دَرويش سُدَّةِ بابه ... عَطْفَ الرَّحيم بعبده المتذلِّلِ

في ظـلِّ مقيـاسٍ وروْضَتِـهِ التي صَدَحتْ عليها سَاجعات قَمَارِي
لا بل إلى فُسْطاطِ مِصرَ وما حوَى ذاك الحمـى من سُؤدَد وفخَارِ
بمقامِ قاضِي العسكرين ومَنْ غـدَتْ رَشَحَاتُ راحِتـه كفيـض بِحَارِ
أدْنـى مواهِبَه الوُجُودُ وما حوَى وأجـلُّ مـا يحويه شُكْرُ البَاري
وافتْـكَ وافـدةُ القَوافي فَوْقها أوْقَـارُ مَدْحـكَ وَهْوَ مِسْكٌ دَارِ
فاسْتَجْـلِ من أتْرَابهـا شامِيّـة تَغْـدُو لها قَيْنَاتُ مصرِ جوَارِي
فالشِّعرُ منـــه مآثرٌ وأجلُّهـــا مـا كـان منـه طَالَوِيٌّ نِجار
كم راضَ من حُسَّانِـهِ حُسَّانَـةً مَرْعيـــة الألحـاظ ذاتَ نِفَـارِ
لا زلـتَ محروسَ الجناب بدولةٍ موصولـــةِ الأدوار بـــالأدْوَارِ
وأدام رُكنُ المجـد قُرّةَ عينـه شمسَ العلوم وبهجـــةَ الأقمارِ
أحيـاه ربُّ العرش عُمْرَ سَمِيِّهِ نُوحٍ مُزَجّي الفلـكِ في التيّـار
ورأى بـه ما لم يكنْ يوماً رأى عَمْرُو بن شاسٍ قبلـه بعرار[1]
في ظِـلِّ مقتبل الشَّبابِ وشَرْخِهِ صَـافٍ من الأقْذَاءِ والأكْـدار
بمُحَمَّـدِ المختــارِ أشرفِ مُرْسَلٍ هَـادِي الأنـام وآلِـهِ الأطْهَار

(١) عمرو بن شأس بن عبيد بن ثعلبة الأسدي، أبو عرار، شاعر جاهلي مخضرم أدرك الإسلام وأسلم، وكان كثير الشعر في الجاهلية والإسلام، وكان ذا شرف وقدر في قومه، أدرك الإسلام وهو شيخ كبير، وقال إبن حجر: شهد القادسية وله فيها أشعار.

أما إبنه عرار فقد كان ذا لسن وفصاحة، وكان أسمر اللون، فحضر مجلس عبد الملك إبن مروان فلفت الأنظار ببلاغته وقوة منطقه، ولما أراد الانصراف تمثل عبد الملك بهذا البيت:

وإن عراراً إن يكن غير واضح فإني أحب الجون ذا المنكب العمم

فتبسم عرار، فاستدعاه عبد الملك وسأله عن سبب تبسمه، فقال له: لأني أنا عرار الذي يقصده الشاعر يا أمير المؤمنين، فأعجب عبد الملك بهذه المصادفة وأجزل صلته.

وعهدي أنّ مغانيها مغاني الشِّعْب طيباً في المغاني، ورُبُوعها بمنزلة الربيع من الزمان، وقد كانت لرائيها جَنّة، فأصبحت الآن مَلاَعِب جِنّة.

علـى أن الفـتى العَرَبيّ فيهـا غريـبُ الوَجْه واليَدِ واللِّسَانِ[1]

ألا وهي مسقط راسه، ومُشتعل نبراسِه، وهو تشتيتُ حاله، وتوزُّعُ بالِه، يُشهد اللهَ على قلبه، وكلَّ من حضر من آله وصحبه، أنه مُذْ فارق أعتاب سيِّدِه التي سَمَتْ بعلُوِّها هامَ البُدُور، ووسمت مدرج النعائم ومَفْحِصَ النَّسْرين بالقصور، وما برَح في هذه الأراضي المقدسة المشاهد، المُطَهَّرة المعالم والمعاهد، سِيَّما بقاع الجامع الأُمَوي المحترم، المشتهر بين الأنام برابع حَرَم، مُلاَزماً لدعاء الحضرة الإسلامية العَلاَّمية، ضاعف الله جلالها وإجلالها، وأَمَدَّ على العالمين ظِلالها، وأَبْدَر أعمار أقمارها في سُبُوغ البقاء، وأدام لهم في ذِرْوَة المجد والعلم الارتقاء، وجعل لهم فُضَلاء العصر من كلِّ سوءٍ الفداء، بمحمد خير الأنام، وآله الكرام وصحبه العظام».

ومما كتبه إلى القاضي محب الدين في استدعاء شعر التهامي

ومما كتبتُ أوائل ذي الحجة الحرام عام رابع بعد الألف، وأنا بدمشق دار الصَّبَا، وملاعب الصِّبا، للمولى الأخ الفاضل، والأديب

---

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي في وصف شعب بوان ببلاد فارس، وقد سبق فيما مر من صفحات الكتاب.

في أن يُسِر أمْرَهُ العــالي إلى	قاضي العَسَاكِر في قَضاء المَحْمَلِ
ليطوفَ بالبيــت الحرام مُلَبِّيــاً	ويزور في من زار أشْرَف مُرْسَلِ
ويديم عنــد المَرْوَتـين وبالصَّفا	لــكُمُ الدُّعــاء بخشيــة وتَبَتُّــلِ
ويعودُ من حَرَمٍ إلى حَرَمٍ بــه	بيــتُ الفضائِل قصد كلِّ مؤمِّلِ
لازالَ يــا مولاي بابُـكَ كعبــةً	فيها المُنَى وحِمَاكَ أحْصَنَ مَعْقلِ
وعَـلاَ بك الإسلامُ أرفعَ هَضْبَةٍ	ورَسَى عَدُوُّك في الحضيض الأسْفَلِ
بمحمَّـدٍ هـادي الأنـامِ وآلِهِ الْـ	ـعَشْرِ الكرامِ ومن لَدَيْهم قد وَلِي

أسبغ الله ظلال الدوحة البستانية على مفارق الإسلام، وبسط بآرائها الصائبة بـاط الشريعة المحمدية لكافة الأنام، ولا برحتْ أعلامُ الهدى بنسائم لُطفها خفّاقة اللِّوى، ومعالم الدين الحنيفي بشمائم عطفها سالمة اللأوَا، مادام دِينُ الهُدى ظاهراً جَلِيًّا، ولم يُنادِ رَبَّهُ نِداءً خَفِيًّا، يُقبِّل أعتابها التي سمتْ فضائلها السامية سُمُوَّ الفَرْقدين، ووسمتْ فواضلُها بالنقص كمالَ النَّيِّرين، عبدٌ جنى على نفسه ما جناه، من مَغَادرة أعتاب سَيِّده ومَوْلاَه، فأقام بزوايا دمشق الشام، عُرْضة لسهام الأيام، وغَرَضاً لصائبات السِّهَام، في عِيشَةٍ غيرِ راضية، وحالة بغير التلاقي قاضية:

وعَضَّ زَمَانٌ يا إبن بُسْتان لَمْ يَــدَعْ	من المال إلاَّ مُسْحتاً أو مُجلَّفُ[1]

---

(١) البيت للفرزدق، وقد اقتبسه المؤلف ببعض التصرف، فهو في شعر الفرزدق:

وعض زمان يا ابن مروان... الخ.

والسحت والمجلف: النزر اليسير أو المستأصل من المال، وللنحويين مأخذ على الشاعر في هذا البيت، إذ كيف يعطف مرفوعاً وهو قوله مجلف على منصوب وهو (مسحتا). وقد تكلف بعضهم إيجاد مخرج له ببعض الأوجه من الإعراب، ولكنها كلها ضعيفة.

أيـــــام أرامِ خُزْوَى عيونهن مَرَامِي
حيـــثُ الشبـــابُ ريـــاضٌ طُلَّـــت بشرخِ رهَـــام[1]
تَرودُ حاشِيَتَيْـــــــــــه رُودٌ بلـــــــــينِ قَوَامِ
حَاجِبِيَّـــــةُ الطَّرْفِ سَكْرَى مِنْ رِيقهـــــا بُمــدَامِ
كـــأنَّ نكهـــةَ فيهـــا والليـــــل في ثوب حَـــامِ
والنجمُ فيـــــــه وشاحٌ عـــلى عَرُوسِ الظـــلامِ
وطائرُ النَّسْر يَهْوِي للغَرْبِ خَشْيَـــــــــةَ رَامِ
صَهْبَـــاءُ من بيـــت رَاسٍ[2] أو كَرْمُ شَيَّـــــــا رَامِ
وافَـــى بهـــا بعـــد هُـــنْءٍ مُقَرْطَـــــــقٌ[3] لِنُدَامِي
كأنـــــــه غُصْنُ بـــــانِ يَعْلُوه بـــــــدر تَمامِ
أو نفحـــــةٌ من ريـــاضِ أريضـــــــــــةٌ بالشآمِ
علـــــــتْ ثغورَ الأقاحي فيهـــــــا فروعُ النَّشَامِ
فأضحـــــك الزَّهْرُ فيهـــا بكـــــاء عـــينِ الغمامِ

---

(١) الرهام: المطرة الضعيفة الدائمة، وشرخها: أولها.

(٢) بيت راس: اسم لقريتين في كل واحدة منهما كروم كثيرة ينسب إليهما الخمر أحداهما بالبيت المقدس، وقيل: بيت راس: كورة بالأردن والأخرى من نواحي حلب قال حسان بن ثابت:

كـــأن سبيئـــةً من بيـــت رأس يكون مزاجهـــا عسل ومـــاء
فنشربهـــا فتتركنـــا ملوكـــاً وأسداً مـــا ينهنهـــا اللقـــاء

انظر معجم البلدان ٣/ ٧٧٦.

أما شيارام فلم أجد تعريفاً بها فيما بين يدي من مراجع.

(٣) المقرطق الذي يلبس القرطق (بضم القاف وسكون الراء وفتح الطاء) وهو لباس شبيه بالقباء وهو ثوب كالقفطان يلبس فوق الثياب ويتمنطقون عليه، إلا أنه قصير، وأصله بالفارسية كرته، انظر شفاء الغليل ٢٠٨.

الكامل، الأغر الأمجد المكين، القاضي محب الدين[1]، مستدعياً شِعْر التّهامي[2]:

إليـــكَ أزكَـــى سَلاَمِ	يـــا خَيْر حَبْر إمـــامِ
مِن نـــازحِ الهَمِّ دانِ	بعيـــدِ شَأْوِ المَرَامِ
راعٍ ذمـــام المعـــالي	رَعْيَ العُـــلا لِذمَـــامِ
بـــل من محـــبٍّ إليـــه	مُتَيَّمٍ مُسْتَهَـــامِ
في طَيِّـــه نشر وُدٍّ	مضاعـــف الشوق نامي
زكي كنَشْر الخُزَامَى	ريـــاضَ حَزْنٍ نوَامِي
تَضَاحَكَـــتْ إذ بكاهـــا	نَوْءٌ من الطَّرْف هَامِي
فخـــدٌّ ورد رُباهـــا	من نرجس اللحـــظ دَامِي
أو زورة من حبيـــب	فيهـــا شفـــاء سِقَامِي
ورشفـــةٌ من لَمَـــاهُ	تطفي لهيـــب أُوَامِي
أو شَرْحُ مهـــد التصـــابي	مضى كطيـــف منـــامِ

---

(١) هو محمد بن أبي بكر بن داود بن عبد الرحمن (محب الدين بن تقي الدين الحموي)، ولد سنة تسع وأربعين وتسعمائة، وتنقل بين دُمشق وحلب وحمص وحماه ومصر والروم، وتولى القضاء أكثر من مرة، واشتغل بالتأليف والفتوى، وله من المؤلفات « شرح شواهد التفسير » توفي سنة ١٠١٦ هـ.

انظر خلاصة الأثر ٣/ ٣٢٢، ريحانة الألبا ١/ ١٩٤.

(٢) هو علي بن محمد بن نهد التهامي، أبو الحسن، شاعر مشهور من أهل تهامة (بين الحجاز واليمن)، زار الشام والعراق، وولي خطابة الرملة، ثم رحل إلى مصر متخفياً ومعه كتب من حسان بن مفرج الطائي (أيام استقلاله ببادية فلسطين) إلى بني قرة قبيل عصيانهم بمصر، فعلمت به حكومة مصر فاعتقل وحبس ثم قتل سراً في سجنه سنة ٤١٦ هـ. وله ديوان شعر مطبوع.

انظر وفيات الأعيان ١/ ٣٥٧ (الأعلام ٥/ ١٤٥).

ذِكْرَى ولم تَنْسَ يومــــــاً ولا عَطَـــــــاؤك مَمْنُونْ
إن جـــازَ إنجـــازُ وَعْـــدٍ فابعــثْ لنــا بـإبن خلــدُونْ
يكنْ لـــــديَّ مُعَـــاراً لكن وحقِّـــــكَ مَضْمُونْ
والأمرُ منـــــه دعـــاءٌ محققـــــاً ليس مظنونْ
ومنــــه هـــذا فعجِّـــل بــــه فـــداك المُحِبُّونْ
والعُـــذْرُ عنـــد أمـــين لـــــديَّ ليس بمأمونْ
لازلـــت ترقـــى بفضـــلٍ والضِّـــدُّ بالجهــل في الــدُّونْ

تهنئة للسابقي بمنصب الدفتردار

وكتبتُ وأنا بدمشق الشام، سَقَى حماها صوبُ الغمام، للأخ الأمجد المكين، محمد السابقي الأمين ، وقد وُلِّي منصب دَفْتَرْدَارِيّة[٢] تلكَ الديار، وقد وصل خبره وهو مقيم ببعض الأمصار، صدر مكاتبة، وذلك عام خمس بعد الألف، قولي:

زهرتْ دمشقُ وأزهرتْ منها الرُّبَا وجلتْ شُموسُ السَّعْد منها الغَيْهَبَا
بقدومِ رَبِّ الفضل دَفْتَرْدَارها من خَصَّــه اللهُ المهيمن بالحِبَـا
سَامِي المحـلِّ سَمِيُّ أشرف مُرْسَلٍ أعــني محمداً الأمـينَ المُجْتَبـينَ
لازال في فَلَـك المناصب طالعاً بـدراً وفي أُفْـق السِّيادة كَوْكَباً
مـا أنشدتْـهُ سواجعٌ من فِكْرتي أهـلاً بمقدمك الشريف ومَرْحَبَا

---

(١) الدفتردارية: الإدارة التي تنظم الوارد والمنصرف من أموال الحكومة، والدفتردار هو الموظف الذي يتولى ذلك، والكلمة تركية.

وبـــــات قُمْرِي مُقْرِي فيهـــا بأعْـــلى مَقَـــامِ
يُمْـــلِي أحـــاديـــثَ شَجْوٍ مُسَلْسَلاتِ الغَرَامِ
عن ذاتِ أفراخ بانـــت عنهنَّ قصـــدَ طعـــامِ
ثم انثنيت فإذا هُنَّ نهبـــــــةً لقُطَامِي[1]
فشجوهـــا بعـــضُ شجوي عـــلى الصَّبـــا وهُيَامِي
وبعـــد فالقصـــدُ يـــا من غـــدا حِمَـــى الفَضـل حَامِي
ومن رَقَـــى نجـــدَ مجـــدٍ إرسالُ شِعر التُّهامِي
لازلـــــتَ للشعر حَامِي بمنطـــــــق كالحُسَامِ

وفي استدعاء مقدمة إبن خلدون

ومما كتبتُ أيضاً إليه مُسْتدعياً للمقدِّمةِ المشهورة بتاريخ إبن خلدون، وقد وَعَدَنا بإرساله لازال يَعلُو والضِّدُّ في الدُّونِ:

جَرَى ببحر النِّظَـــــامِ فُلْـــكٌ بِجُبِّـــكَ مَشْحُونْ
بضائـــع المـــدح فيـــه سمـــت عـــلى الــدِّر مكنونْ
لو كنّ للغيـــد عِقْـــدا في الجيـــد لم يُعبـد الزونْ[2]
أبكـــارُ فكرٍ عَـــذارَى لاثيِّبـــات ولا عوُنْ
تغـــــدُو الجواري جوار لهن في الأفـــق بـــل دُونْ
نَظَّمْتُهنَّ وشاحـــــــاً لخصرِ مَدحـــك مَوزونْ

---

(١) القطامي بضم القاف أو فتحها: الصقر.

(٢) الزون: الصنم، أو ما يتخذ ويعبد.

مـــا فيـــه غـــيرُ هواك أو وُدٌّ مواثقُـــــهُ قَدِيمَـــــة
ليستْ بواهيــــــةٍ عـــلى طولِ الزمـــان ولا رَمِيمَـــة
بـــل غَضَّـــةٌ فكأنَّهـــا زهرُ الرِّيــاض سَقَتْـــهُ دِيَمـة
أو هَضْبَـــة الفضـــلِ الـــتي لـك قـد رَسَتْ عنـدي مُقِيمَة
هـــذا وكَمْ لـــك من يـــدٍ عِنـــدي مواقعُهـــا جَسِيمَـــة
بكرتْ كمنهـــلِّ الحَيَـــا تَحْـــدُو نَعَامَـــاهُ هَزِيمَـــة
باتَـــتْ تكرِّرُهُ الصَّبـــا والفجرُ قـد أبْـدَى صَرِيمَة[١]
وشَّحْـــتُ آدابي بهـــا فكأنَّهـــا فيهـــا تَمِيمَـــة
إن تُخْبِنيـــــهِ تَفَضُّـــلاً فالفضـــلُ في مولاي شِيمَـــة
لاسِيَّمَـــا والوعـــدُ دَيْنٌ والوَفـــا قـــاضٍ غَرِيمَـــة
لازلـــتَ مَوْصُوفَ الإخـــا ءِ تَؤُمُّ ساحتَـــك الكَرِيمَـــة
غُرُّ القوافي تحمـــلُ الأفـ ـواهَ من مَدْحِي لَطِيمَـــة[٢]
مـــا طَرَّزَتْ حُلَـــلَ البَيَـــا نِ يَرَاعَـــةٌ لـــك مُسْتَقِيمَـــة

فلما أن وصلت الأبياتُ مع الرَّسُول، وقعتْ من جنابه الموقع في حَيِّز القَبُول، بادر بإرسال ذلك الجُزْء مُعْتذراً، ولم يكن - وحاشاه - فيما وعد مُقَصِّراً، فثنيتُ عِنان القَلَمِ مرة ثانية، وكتبت إليه في أقلَّ من درجة أو ثانية، قولي:

يـــا من أياديـــه الجسيمـــة للنَّاظِرِين تُرَى وَسِيمَـــــة
خصَّـــت أياديـــه بهـــا وغَـــدَتْ مواقعهـــا عَمِيمَـــة

(١) صريمة: انصرامه ورواحه وذلك في وقت السحر.
(٢) اللطيمة: وعاء المسك.

وكتب يذكره بوعده في إرسال «يتيمة الدهر»

ومما كتبتُ إليه وهو بدمشق دامت فضائله، كما طابت شمائله، وقد وعدني بإهداء جزء من «يتيمة الدهر» لأبي منصور الثعالبي، وقد أبطأ في إرساله، قولي في التاريخ المذكور:

يـا من لـه الآداب شِيَمـهْ	مُـذْ أُلْقِيـتْ عنـه التَّميمـهْ
ومن ابتـنى بيـتَ المَعـالي	سامِيـاً وحَمَـى حَرِيمَـهْ
ولـه السَّجايـا أسْكَرَتْ	بـانَ الحِمَـى وثَنَـتْ نَسِيمَه
ولـه اليَرَاعُ أراعَ قلـب الطِّـ	ـرْسِ إذ حَلَّـى رَقِيمَـهْ
بـلالىء الـدُّرَرِ الـتي	بذَّت دراري الأفـق قِيمَـهْ
ولـه النواجمُ في العُـلاَ	زُهْرُ النجوم لهـا خَدِيمَـهْ[1]
فهي السَّوانـح لا سَوْا	نِـحُ رامـة يألَفْنَ رِيمَـهْ[2]
من كـلِّ وَسْنـى مَدُّهـا	بـانٌ عـلى نَقْوَى صريمَـهْ[3]
هَـبَّ الشبـابَ بجسمهـا	مَـاءُ الصِّبَـا فسَقـى أدِيمَـهْ
عبـث الوليـدُ بخصرهـا	فأعـار رِقَّتَـه نظيمَـهْ
صَيَّرْتُ قلـبي والحَشَا	لـك منزلاً تـأوي صَمِيمَـهْ

---

(١) النواجم: الآراء النابغة، والخديمة: الخادمة.

(٢) السوانح الأولى: ما يجود به الخاطر من آراء وأفكار، والسوانح الثانية: من الطير أو الحيوان ما يأتي من ميامنك إلى مياسرك والعرب تتيمن به، ورامة: موضع بالبادية، والريمة أنثى الظبي الخالصة البياض.

(٣) البان: شجر سبط القوام لينه يشبه به الحسان في الطول واللين، والنقوى: الكثيب من الرمل، والصريمة: القطعة المنعزلة من معظم الرمل.

من سابِقيّ سابـــــــقِ	في الفضـــل مضّـــاء العَزِيمَـــهْ
وأخِي الوفـــــاء وخِدْنِـــــه	مهما جَفَـــا خِـــلٌّ حميمَـــهْ
لـــــا رأى الـــــدُّريَّ من	مدحي لـــــه دُرراً يتيمـــــهْ
أهـــــــدى إليَّ مُجَانساً	فعـــلَ البليـــغ من اليتيمـــه
جُزءًا كروضِ أثْلَجَـــــتْ[1]	فيـــه سجايـــاهُ الكَرِيـــمهْ
مـــــاءَ البيـــــانِ فَطَرَّزَتْ	منـــهُ حَوَاشيـــه الرقيمـــهْ
لازلـــــتَ تعلُو صهوة الـ	آداب لَيِّنَـــــةَ الشَّكِيمَـــــهْ
مـــا وشّحـــتْ عِطـــفَ البيـا	ن يَرَاعـــةٌ لـــك مستقيمـــهْ

وفي استدعاء «الأمثال» للميداني

ومما كتبتُ به إلى رفيع جنابه، ما دعت الضرورة إلى استدعائه من أعتابه، وهو كتابُ «الأمثال» للعلاَّمة الميداني النيسابوري[2]، للكَشْف عن عبارة المُنْلاَ جامي[3]، قَدَّس الله سِرّه السَّامي، قولي:

---

(١) أثلجت: أدخلت.

(٢) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، أبو الفضل، الأديب البحاث صاحب مجمع الأمثال الذي لم يؤلف مثله في موضوعه.

ولد الميداني ونشأ وتوفي في نيسابور (حاضرة خراسان) ونسبته إلى ميدان زياد محلة فيها، ومن كتبه: نزهة الطرف في علم الصرف، والسامي في الأساس في اللغة وهما مطبوعان، والهادي للشادي في النحو وشرح المفضليات في الأدب.

انظر وفيات الأعيان ١/ ٤٦، وإنباه الرواة ١/ ١٢١، ونزهة الألبا ٤٦٦.

(٣) هو عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الجامي، نور الدين، مفسر، مشارك في العديد من العلوم، ولد في جام (من بلاد ما وراء النهر)، وانتقل إلى هراة وتفقه، وصحب مشايخ الصوفية وحج سنة ٨٧٧ هـ، فطاف البلاد وعاد إلى هراة، فتوفي بها سنة ٨٩٨ هـ عن ثمانين عاماً. =

فالنــــاسُ صَـــدْرٌ وهي في لَبَّاتِــهِ الــدُّرَرَ النظيمــهْ
قلّـــدت جيـــدَ مطالـــبي ومـــآربي منهـــا تَمِيمَــهْ
من بعـــد مـــا حَلَّيْتَـــني من عِقْدِهـــا بحُلّـــى عَظِيمَــهْ
طَوَّقْتَنِي مَنّـــاً بهـــا طوق ابن ساجعـــةٍ مُقِيمَــهْ
في ظـــلٍّ روضٍ وَشَّحَـــتْ أعطافَـــه راحـــاتُ دِيَمَــهْ
وكسَتْـــــهُ وَشْيَ أزاهرٍ زَهْرُ السَّماءِ لهـــا خَصِيمَــهْ
وسرى النسيمُ البابـــليّ (م) مُعَارضـــاً فيهـــا نسيمــهْ
تَثْـــني الخُزامَـــى حَنْوَهُ فيـــه وقـــد أذكـــتْ حميمــهْ
فكأنّها أرَجُ الكِبَا ءِ ورَنْـــدُهُ فغماً شَميمــهْ
أو أنَّ وادي الشحر فـــضّ (م) مـــع الصَّبـــا فيهـــا لَطِيمَــهْ
فيـــهِ تذكّرتُ الحمـــى وتذكري إيـــاه شِيمــهْ
أيَّـــامَ أهصِرُ بَانـــةً هَصْرَ القُـــدود المستقيمــهْ
إذ فيـــه سانحةُ المَهَـــا تَرْنُو بألحـــاظٍ سَقِيمــهْ
وَهْنانـــةً وسْنانـــةً مجدُولـــة الأَحْشَا هَضِيمــهْ
لِلَّـــهِ أيـــامُ الحِمَـــى وسَنَـــا لياليـــه الصَّرِيمَــهْ
مـــا ضرَّ أحـــداثَ النوى لو أنَّهن عَطَفْنَ رِيمَــهْ
وَاعَـــدْن شَرْخـــاً حَلَّمَـــتْ يومَ النَّوى منـــه أُدِيمَهْ[1]
تِلْـــك الأيـــادي لا الّـــتي حُدِّثْنَ في العُصُر القديمــهْ
سَبَقَـــتْ إليّ وحَبَّنـــا منهـــا سَوَابِغُهـــا الجَسِيمَــهْ

(١) الأديم: الجلد، وحلم الأديم: رق من إصابته بالحلم، وهي دودة تقع عليه فتأكله، فإذا دبغ تخرق وتشقق.

وصادِحـةٍ أشْجَـتْ قُلُوباً خَلِيَّـةً فعادتْ بذاك الشَّجْوِ وهْي لها وكْرُ
تبيتُ بأعْلَى الدَّوْحِ والليلُ ضَارِبٌ بأرْوَاقِـه حتى إذا طلعَ الفجرُ
أقامـتْ تعيدُ الشجو فوق أراكةٍ فأفنـانِ بَانٍ حَفَّها الوَرَقُ الخُضْرُ
وباتـتْ ومن تَهْواه في ظلِّ أيْكَةٍ مَعـاً في أمَانٍ لا يَرُوعُهُا ذُعْرُ
عجبتُ لها في الوَصْلِ نَاحَتْ ومَا رَعَـى بأحبابهـا بَيْنٌ ولا خَانَها الدَّهْرُ
فقلـتُ لها باللهِ ما هكذا الهَوَى أنُوْحٌ ولا نَوْحٌ وذِكرٌ ولا ذكرُ
لِمُهْجَـةِ صَبٍّ فانظُرِي كيفَ حَالُه تَـذُوبُ ولا نَهْي لَدَيْها ولا أمْرُ
سِقَـامٌ ولكن لا حَيَاةَ ولا رَدًى ودَمْـعٌ ولكن لا بُكَاءٌ ولا نَزْرُ
عـلى الشام مِنِّي كُلَّما هَبَّتِ الصَّبَا سَلَامٌ كنَشْرِ الرَّوْضِ طَارَ له نَشْرُ
بـلادٌ كأنفـاسِ الشَّمُولِ شِمَالُهـا وتُرْبَتُهـا مِسْكٌ وحَصْبَاؤُهـا دُرُّ
سَقاهـا وحَيَّاهـا الإلـه مَعَاهِـداً سَحَابَ دُنُوِّ العَهْدِ وَافَى به البِشْرُ
فيـا حُبَّها زِدْني جوًى كُلَّ لَيْلَةٍ ويـا سَلْوَةَ الأيَّامِ مَوْعِدُكِ الحَشْرُ

وفي عدم إسناد قضاء الركب الشامي إليه

ومما كتبت به إلى شيخ الإسلام مُفْتِي الزَّمان، محمد أفندي بن بُسْتَان، متعرِّضاً لما فعله قاضي العساكر عليُّ بن سِنان، من توجيه قَضَاءِ الركب الشَّامِيّ، لشَخْصٍ يُعْرفُ بابن الحلواني، بموجب خَطٍّ اعتمد عليه في زَعْمِه، وأنَّه كان منه على رَغْمِه، بعد أن وُجِّه لي قبلُ بسَنَة، وذلك مُسْتَهل مُحرم الحَرام، سَنَة ثلاث بعد الألف، قولي:

أنـا مِنْ حَادِثٍ عَرَى في أَمَان ومَلَاذي جَنَـابُ مُفْـتي الزَّمَان
حُجَّـةُ العالمـين غَيْـثُ البَرَايَا نُصْرَةُ العَالَمـين غَوْثُ الأَوَان

« سيّدي جمّلَ اللهُ الأدب ببقائه، ونضّر رياضه بروائه، وأدام أياديه السّابقيّة في الفضائل، كما بَسَطها من قبلُ في إسداءِ الفوَاضل، المعروض لسامي حضرته، غِبَّ الاشتياق لباهر طلعته، لازالتْ ثالث القمرين ضياء، والنيّرين سَناً وسَنَاء، إن الضرورة داعيةٌ لاستخراج مَثَل من أمثال العرب، وقع في أثناء دَرْسِ كتاب العَلاّمة السّامي المُنْلاَ جامي، وما ثَمّ في كِسْر بيت الدّاعي دَفْتَرٌ في فَنّ الأمثال، إلاّ وقد تَصَفّح سِينه وشِينَه، فلم يُقَدَّرُ الظَّفَرُ به، فاشرأبّتْ النّفْسُ إلى رُؤيته في مجمع الأمثال للعَلاّمة الميداني النيسابوري، لغلبة الظَنّ أن يُوجد فيه، من غير تمويه، فإن رأى المولى - دام له العِزُّ والعُلا، إرسالَه مع حاملها فعل متفضّلاً غير مأمور، دام في غِبطة وسُرُور، والسلام.

فبعد إرسال الكتاب، وجّه إليّ بالخطاب، بأن في ذكر داعيه، أن اليد تُجْمع على أيدي - دامت أياديه، فإنها تُسْتَعمل في النِّعم، لازال مَوْلاَها ومُولِيها، على توالي الليالي والأيام والسلام، فكتبت إليه الجواب، بقولي:

« فَخرُ الأدب ونَادِيه، بسُبُوغ أياديه، فَخرُ مَارِيّة بقُرْطَيْها[1]، والحمامة بفَرْخيها، وهو أقال اللهُ عثرة الأدب ببقائه، وأنعش بهجَتَهُ ببَرْد

= من مؤلفاته: تفسير القرآن، وشرح خصوصي الحكم لابن عربي، والفوائد الضيائية في شرح كافية إبن الحاجب وهو أحسن شروحها، والدرر الفاخرة في التصوف والحكمة، وكلها مؤلفات مطبوعة عدا التفسير، وله مؤلفات أخرى مخطوطة، كما أن له كتباً بالفارسية.

انظر شذرات الذهب ٧/ ٣٦٠ (الأعلام ٤/ ٦٧).

(١) هي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية الكندي، وكانت أم الحارث الأعرج ملك الغساسنة بالشام، وكانت العرب تضرب المثل بقرطها فيقال: خذه ولو بقرط مارية، مبالغة في النفاسة والقيمة. انظر ثمار القلوب ٦٢٩.

رُوائه، مازال يبحث عن دقائق اللغة، وهو أعلمُ بها من إبن قُرَيْب[1]، ويُنَقّب عن أسرارها، وليس به فيما يشهد اللهُ فيها رَيْب، وإنما عادة الأكابر مداعبة الأصاغر، فمن ذلك ما جرى في مجلسه مجمع الفضائل، ومنجع الفواضل، من أن الأيادي جمع اليد التي هي بمعنى النعمة، وأن الجارِحة تجمع على أيدي، وعلمه مُحيطٌ أن بعض أهل اللغة نَصَّ على أن الأيادي جمع كَثْرة، والأيدي جمع قِلَّة، وكلاهما مُفْرَدُ يَدٍ بمعنى الجَارِحة، ونَصُّه: اليد مُؤنثة وهي من المنكب إلى أطراف الأصابع، ولاَمُها محذوفة وهي ياء، والأصل يَدَيٌ قيل بفتح الدَّال وقيل بسُكونها، وجمع القلة أيْدِي وجمع الكثرة الأيادي، لابرح المولى موليها على الدَّوام، والسلام.

مع الوالي مصطفى باشا

ولما أن تولَّى دمشق الشام، صاحبُ الدولة والاحتشام، الوزيرُ الخطير، والدُّستور المُشير، مصطفى باشا الشهير بإبن راضية، عام خمس بعد الألف، قلت مؤرخاً:

بِرُبَـــا الشَّام نَهْرُهـــا جَاشَا	لا يُضاهيـــــــه كَوْثَرٌ جَاشَا
مثـــل صَفْو الرَّحيـــق سَلْسَلُهُ	مآثرُ فيـــه العَبـــير مـــا مَاشَا
في ريـــاضٍ لو أنّ نكْهَتَهـــا	نَفَحَــــتْ مَيِّـــتَ الهوى عَاشَا
دَبَّـــجَ الزَّهْرُ من مَعَاطِفهـــا	وكساهـــــا الربيـــعُ أرْيَاشَا

---

(١) هو عبد الملك بن قريب المعروف بالأصمعي، عالم اللغة والأدب الشهير.

وبهـــا العندليـــبُ من طَرَبٍ   بثنـــاءِ الوزير قـــد جَاشَا(٢)
مُصطفـــى الفَرْعُ أصْلُــه حَسَنٌ   أثبتُ القوم في الوغَى جَاشَا(٣)
آصِفِيٌّ(٤) صِفـــاتُ مِدْحَتِــهِ   تُنْعِشُ السَّامِعـــــين إنعاشا
كافـــلُ المُلْـــكِ والمهالــكِ لا   أختَشِي في المقالِ من خَاشَا(٥)
عَدْلُـــه مثـــل خُلْقِــه حَسَنٌ   لا يُجابـــه فيـــه من ماشا
نَشَر العـــدلَ في جوانبهـــا   وطَوَى ظُلمهـــا وقـــد هَاشَا
سكـــنَتْ والزَّمـــانُ مُضْطربٌ   فيـــه هَرْجٌ وعَقْلُـــه طَاشَا
فاطمأنَّـــتْ بـــه وطَمْأَنَهـــا   منـــه لطـــفٌ وحالُهـــا رَاشَا
رَبٌ كُنْ حافظـــاً لـــهُ وبـــه   حافـــظَ الشَّام من أَذًى نَاشَا
فِلَـــذَا العَـــدْلُ قلـــتُ التّاريـ   ـخُ طَامَنَ الشَّامَ مُصْطفى بَاشَا

وكـان يميـلُ إلى الفُنُون الأدبيـة، ويصطفِي النِّكاتِ الشِّعْرية، فاصطنعنـي لنفسه، واتَّخَذني جليسَ أُنْسِه، فَمِمَّا اتفق لي معه أنه كتب بيتاً في كَاغَد أحمر غَلِط فيه فحكَّه فأثَّر ذلك فيه وابْيَضّ المكانُ المحكوك، فقال: يُشَبَّه هذا الحك بُجْرح في خَدٍّ، وكَلَّفَني أن أَقُول في ذلك شَيْئاً، فقلتُ، فمن ذلك:

---

(١)

(٢) جاشا: تدفق وجرى.

(٣) جاشا: أي جأشا فسهلت الهمزة، والجأش: النفس أو القلب، ويقال: هو رابط الجأش: ثابت عند الشدائد.

(٤) آصفي: نسبة إلى آصف بن برخيا وزير نبي الله سليمان بن داود، الذي عرف بالحكمة والعلم، وأنه الذي كان عنده علم في الكتاب عن قوله تعالى: ﴿وقال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ يعني عرش بلقيس ملكة سبأ.

(٥) خاشا: أي غش وموه من كلامه.

أثّر لَحْظِي بخـــــدِّه الأنْورْ   جُرْحاً فيا حُسْنَ ذَلك المنظرْ
كأنّـــه في صَفـــاءِ وَجْنَتِـــهِ   آثــارُ حَــكٍّ بكاغَــدِ أحْمَرْ

آخر

جرح اللّحاظَ بصَحْنِ خَدٍّ أزْهَرِ   أبْدَى إلى العُشّاقِ أحْسَنَ مَنْظَرِ
فكأنّـــه في وَجْنَـــةِ مُحْمَرّةٍ   آثارُ حَكٍّ فوق طِرْسِ أحْمَرِ

آخر

في قَانِي الخَــدِّ من لواحِظنــا   جُرْحٌ حَكَى في صَحِيفَةٍ سَطْرَا
كأنــه في احمرارِ وَجْنَــتِهِ   آثــارُ كَشْطٍ بصَفْحَــةٍ حمْرَا

آخر

بيـــاضُ جُرْحٍ بحُمرةِ الخَــدِّ   آثــارُ حَــكٍّ بكَاغِــدِ وَرْدِي

آخر

أثّر في خَـــــدِّه من نَظَري   دَقّ إلاّ عَن دقيـــق النَّظَرْ
كهـلالِ الشّكِّ في أُفْـقٍ بَـدَا   طالعـــاً في شَفَــقٍ من خَفَرْ

آخر

أثّر اللّحْـــظُ بوجـــهِ أقْمَرِ   أَثَرٌ كالجُرْح خَافِي المَنْظَر
كهـــلال الشّكِّ في رُؤْيَتـــه   نَاظِرٌ في شَنْـــفٍ[1] من خَفَرِ

آخر

جِرَاحَةُ اللّحْـظِ في الخُدُود وَحَكَى   بياضُهــا فوق حُمْرَةِ الخَــدِّ
هــلالَ شَكٍّ يَلُوحُ في شَفَــقٍ   خَــطٌّ لُجَيْنٍ بكاغــد وَرْدِي

---

(١) الشنف: القرط، وقد يخصص الشنف بما يعلق في أعلى الأذن والقرط بما يعلق في أسفلها، الجمع شنوف وأشناف.

آخر

جِرَاحَـةُ اللَّحْـظ فوق وَجْنَتِـهِ حَكَـتْ بياضَ الهِلاَلِ في الشَّفَقِ
أو نُونَ ذَوْبِ اللُّجَين خَطَّ بِها نَخْـــلُ هِـــلاَلٍ بأحمر الوَرَقِ

بكرتُ يوماً للقائه، وهو في عُلُو ارتقائه، وقد نُصِبَتْ له الخيام بَمْرجَة دمشق الشام، في مكان يُعْرف بصَدْر البَاز، وقد حكتْ رياضُها في الحقيقة لا على المجاز، وقد أسْدِلَت أذيالُ الخِيَم، وكان يوم غَيْم، فكتبتُ لجنابه، وبعثتُها مع بعض حُجَّابه:

جلستُم بالخيـــام مُطَنَّبـــاتٍ ونحن عـــلى جَوَانبهـا قِيَـامُ
فقلنـــا إذ رَجَعْنـــا بانكسارٍ سُقِيـتِ الغَيْـثَ أيتها الخيامُ

وسألني يوماً عَمل تاريخ ليُكتب على طِراز القُبَّة التي أمر ببنائها خارج دمشق تعرف بقُبة الحَجَّاج، يُسَلَّم فيها المَحْمُل الشريف لأمير الحاج، فقلت:

بَنَـى قُبَّـةً للحَـجِّ أولَ منزلِ رَجَاء ثَوابٍ عند تَسْليم مَحْمَلِ
بها مُصْطفى باشا الوزيرُ فأرخت بناها وزيرٌ حَازَ أشْرَفَ مَنْزِلِ

ولما أن ورد عليه من دار السَّلْطنة العلية، قسطنطينية المحمية، وهو بالشام خبرُ وفاة والدته راضية، صُمَّ له سَمْعُه، وتفرَّق لذلك جَمْعُه، واعتراه من الأحزان، ما لا يكادُ يَعبِّرُ عن بعضه اللسان، ويُعْذَر على التعبير نُطْق البَيَان، فكتبتُ له هذه المرثية، وأنشدتُه إياها، فكانت لحزنه مُسْلية بل مُسَلِّيَة، وهي:

لمـا اطمأنَّـتْ نفسُهـا الرَّاضِيـهْ قيـل ارجعي مَرْضِيَّـة رَاضِيَـهْ
وفي عِبَـادِي فادْخُـلي جَنَّتِي قُطُوفُهـــا يانعـــةٌ دانيـــهْ

أجابَـتْ الدَّاعِي إلى رَبِّهـا وأصبحـتْ في عيشةٍ راضيـهْ
عنـدَ مليـكٍ قـادرٍ لم يَزَلْ أحكامُـه في خَلْقِـه مَاضِيَـهْ
أسْكنهـا فردوسَ جَنَّتِـه أنهارُهـا من تحتهـا جَارِيَـهْ
تطوفُ بالأكواب من جَوْهَرٍ أو عَسْجَـد أو فضـة صَافِيـهْ
فيهـا رحيـقٌ رائـقٌ سلسلٌ خِتامُـهُ المسْكُ أو الغَالِيَـهْ
وفوق هـذا كُلِّـه خَصَّهـا بمنحـةٍ دُونَ الورى ساميـهْ
تزورُهـا الزهراءُ في قصرهـا كرامـةً في جَنَّـةٍ عَالِيـهْ
لبَّتْ نِداءَ الحَقِّ فانظرْ تجدْ تاريخها بعـد النَّدى رَاضِيَـهْ

قصيدته في مدح ابن الحرفوش

ومما كتبتُ به مفتتح عام ست بعد الألف من دمشق الشام، جاد مَعْلَمها صَوْبُ الغمام، إلى الأمير موسى بن علي الشهير نسبه الخطير بابن الحرفوش[1] وأنفذتُها إليه، وهو ببعلبك لضرورة دعت إلى ذلك:

أُحَمِّلُ نشرَ الرِّيح أزكى تحيةٍ كنَشْر خُزَامى الرَّوض فَاح بسَحْرَةِ
بها نفحةُ المِسْكِ الزكيِّ سَرَتْ بها شَمَالٌ إلى أرض العراق وَهَبَّتِ
فوافتْ حِمَى الزوراء ليلاً وهَاجَهـا إلى الكَرْخِ برقٌ لاح جُنْحَ دُجُنَّةِ[2]

---

(١) هو الأمير موسى بن علي بن موسى المعروف بابن الحرفوش، الأمير بن الأمير، وكان بطلاً شجاعاً جواداً، ورث إمارة بعلبك عن أبيه وانتزعها منه إبن عمه الأمير يونس، وطالت الحرب بينهما حتى توفى موسى سنة ١٠١٦ هـ، انظر خلاصة الأثر ٤/ ٤٣٢.

(٢) اسم لمدينة بغداد التي بناها أبو جعفر المنصور، وسميت بالزوراء لأنه لما عمرها جعل الأبواب الداخلية مزورة عن الأبواب الخارجية أي ليست على سمتها.
أنظر معجم البلدان ٩٥٤/١.
=

وهَبَّتْ لها من أرض بَابِل نفحةٌ أسَرَّتْ لها عن أهله ما أسَرَّتِ

فبينا تطيفُ الحائريةَ[1] روضةٌ سقاها سَحَابُ الوحي أغْزَرِ دِيمةِ

لها وقفةٌ في مائلات عِرَاصُها تعادِلُ عندي بالمعرَّف[2] وَقْفَتِي

تراءى لها البَرْقُ الحجازيُّ مَوْهِناً فهاج لها تَذْكارَ عَهْدِ سُوَيْقَةِ[3]

فأثنَتْ على الزَّوراء خيراً وودَّعَتْ على الكَرْخِ دَاراً للنُّهَى دَارَ هِجْرَةِ

وفارقتِ الزَّهْراءَ كُرْهاً وفي الحَشَا لَزوْرَتِها يَوماً لَوَاعِجَ حَسْرَةِ

ومالتْ إلى نَجْدٍ وَطِيبِ شَمِيمِه وباتَتْ بوادِي الشَّحْرِ في ظلّ رَوْضَةِ

ومَرَّتْ بَجرعَاءِ الحمى فثنتْ به ذوائب بانٍ كالقُدُودِ الرَّشيقةِ

حِمَى الشَّام جَادَ الغَيْثُ ما حَلَّ تُرْبَها معانِ الهوى فيها مَغَانِي أحِبَّتِي[4]

وباتَتْ بأعْلَى النَّيْرَبَيْن[5] مع الصَّبَا تُطارِحُها ذكْرَى عُهُودٍ برَبْوةِ

= والكرخ: سوق بغداد، وكانت داخل المدينة ثم أمر بها أبو جعفر فأخرجت منها بناء على نصيحة بطريق زاره وأشار عليه بإخراج التجار منها لاندساس الجواسيس بينهم، فبنى لهم محال في صفوف منتظمة على جانبين فيا بين الصراة ونهر عيسى.

معجم البلدان ٤/٢٥٤.

(١) الحائرية: هي الموضع الذي فيه الحائر، وهو قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما.

(٢) المعرف: موضع الوقوف بعرفة.

(٣) الموهن: نحو من نصف الليل، أو بعد ساعة منه، وسويقة: هي موضع قرب المدينة كانت سكناً لآل الحسن علي رضي الله عنهما لأنها كانت من جلة صدقات أبيه، وقد أخربها أبو الساج قائد المتوكل، حين خرج بها محمد بن صالح فظفر به وبجماعة من أهله فقتل بعضهم وأسر البعض الآخر، ثم عقر نخلها وطمر مياهها. انظر معجم البلدان ٣/ ١٩٨.

أنظر معجم البلدان ٣/١٩٨.

(٤) المغاني: جمع مغنى وهو المكان الذي غنى به أهله.

(٥) النيربين: مثنى نيرب وهو في موضعين، قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ وسط

على نهرٍ حَصْبَاؤُه الشُّهْبُ قد جرى خـلالَ سماءٍ وضَاؤُها كالمَجَرةِ

يجـاوب تَسْجاعُ الحَمامِ خَرِيرَه فتُصْغِي له الوَرْقَاءُ من فَوق أيْكَةِ

إلى حَضْرةٍ يَعْلُو الكواكَبَ قَدْرُها وتسمُو بها العَلْياء أشرفَ رُتْبةِ

اميرُ المعالي وابن نَجْدتها التي زكَـا فَرْعُهُ من أصل خَيْر أرُومَةِ

سُلاَلَـةُ حَرْفُوشٍ نصـيرُ الأئمةِ وحَامِي حِمَاها بالظُّبَا والأسِنَّةِ

سَقَـى قبرَه جودٌ كجود يمينـه فما قَـدْرُ ما يَسْقيه هطلُ غَمامةِ

فيا آلَ حَرفوشٍ أحاديثُ جُوْدِكم وإن تكُ صَحّتْ في الليالي القديمةِ

وأثبتتِ الأيَّامُ صدقَ ولائكم إلى الآلِ وهو الفَخْرُ في كـلِّ مِلّةِ

فأفضلـكم مُوسَى وفَضْلُ أبيه لا أرى فيه شكّاً غيرُ واهِي العقيدةِ

فيـا من يَرُومُ الحقَّ والحَقُّ ظاهرٌ ولكـنما الأهواءُ عَمّتْ فأعْمَتِ

عليـك بإخـلاص الولاء لحَيْـدرٍ إمامِ الورى والعِلْمُ بابُ المدينةِ[1]

فحـبُّ عَلِيٍّ في الحيـاةِ وسيلتي وحُـبُّ عَلِيٍّ في المماتِ ذخيـرتـي

أدينُ بـه ما دُمتُ حيًّا وإن أمِل وإن مِلْتُ يوماً عنه فارقتُ مِلَّتِي

= البساتين أنزه موضع، يقال إن فيه مصلى الخضر عليه السلام، وتذكر أحياناً باسم النيربين - كما هنا - وقد ذكرت ذلك في شعر لأبي المطاع وجيه الدولة بن حمدان في قوله:

سقـى الله أرض الغوطتـين وأهلهـا فـلي بجنوب الغوطتـين شجون

فما ذكرتها النفس إلا استخفني إلى برد مـاء النيربـين حنـين

انظر البلدان ٤/ ٨٥٥.

(١) حيدر أو حيدرة اسم من أسماء الأسد، وهو اسم لعلي كرّم الله وجهه، وقد استعمله هو في رجز له في غزوة خيبر، فقال:

أنـا الـذي سمتـني أمي حيـدرة أكيلهم بالسيـف كيـل السنـدرة

أما قوله باب المدينة فهو يشير إلى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها».

له في صميم القَلْب مِنّي مَحبّةٌ أُرجّي بها في الحَشْر أعظمَ زُلْفَةِ
وَلاءٌ لَـهُ بـين الجَوانـح والحَشَا نجاءٌ من النّيران فافهم إشارتي
بقيـتَ أمـيراً في ولائـك آمِراً وغَيْرُكَ مأمورٌ بحـكم الإضافـةِ
مَدَى الدهر ما طاف المشاهدَ طائـفٌ وعَفَّرِ في أعتابها وَجْهُ جَبْهَـةِ
وقَدَّستِ الأمـلاك فيها حَضَائراً مَهَابـطَ وحي اللهِ خَـير أئمـةِ
هُمُ للورى سُفْنُ النجـاة وحُبُّهُمْ هو العُرْوَةُ الوُثقى لنا في القيامةِ
عليهم سَلَامُ اللهِ في كـلِّ لحظةٍ سَلَامُ مُحِـبٍّ لا يَـدينُ بسَلْوةِ

مجلسٌ أنيق وأدب رشيق

حدثني الشيخ الفاضل، والمرشد المسلك الكامل، جمال دمشق الشام، وشيخ مشايخها الكرام، محمد بن عبد الحق بن علاء الدين الحجازي، مفتي الشافعية يومئذ بدمشق المحمية، فَسّح الله في مُدَّته أنه كان أوان اشتغاله يحضر مجلس الشيخ يُونس رئيس الأطباء بدمشق، وكان ممن أخذ عنه علم الطب، قال: بينا نحن عنده في مجلسه وإذا بقاصدٍ من قِبَلِ العَلّامةِ القاضي معروف المعروف بالصُّهْيوني، ومعه سُكُرَّجَة[1] يَسْتهديه فيها

(١)
(٢) السكرجة بضم السين والكاف وفتح الراء أو ضمها: إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم، وكل ما يوضع فيه الكوامخ ونحوها من الجوارش على المائدة حول الأطعمة للتشهي والهضم، وفي حديث أنس رضي الله عنه: «ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم في خوان ولا سكرجة ولا خبز له مرقق».

انظر شفاء الغليل ١٤٦، والوسيط ٤٤١.

شيئاً من التركيب المُسَمّى بِبُرْءِ سَاعة، وفي طراز السُّكُرُّجة من الأبيات يقول:

لا زالَ كُــــلُّ رئيسٍ	يُريــكَ سَمْعــاً وطَاعَــةْ
وكـــلُّ رَبِّ مزاجٍ	بــكم يُرجّي انتفاعَــةْ
عَبْــدٌ أتــاكم مُحِــبٌّ	قــد مــدّ كَــفَّ الضَّراعَــةْ
يشكو أذىً وَدَوَاهُ	لَدَيْكُمْ بُرْءُ سَاعَــةْ

فقضى حاجةَ قاصدِه، وكتب تحتِ السُّكُرُّجَة، في أقلَّ من دقيقة درجة، يقول:

العَبْــدُ عَبْــدٌ مُحِــبٌّ	أبــدى قبولا وطَاعَــةْ
كالسِّحْر قَابَـــلَ أمراً	مُطَرَّزاً بالبَرَاعَــةْ
أهْــدَى إليــكم دَوَاءً	مُهَذَّبــاً بالصِّنَاعَــه
يَشْفِي بفعــلٍ وَحِيٍّ[1]	عَــلى المكــان ابن سَاعَــةْ

أخبر بذلك من لفظه بمسجد الجامع القَلْعِي داخل سُور دمشق، غُرَّةَ ذي القعدة الحرام عام ست بعد الألف، ثم سألتُه عن نسبه وإلى م ينتهي؟ فقال: إلى الحُمَيْدي شيخ البُخَاري[2]، غير أن النسبة إلى الحجاز غلبتْ واشتهرتْ لمجاورتي به.

---

(١) الوحي: السريع.

(٢) هو عبد الله بن الزبير الحميدي الأسدي، أبو بكر، أحد الأئمة في الحديث، من أهل مكة رحل منها مع الإمام الشافعي إلى مصر، ولزمه إلى أن مات فعاد إلى مكة يفتي بها، وهو شيخ البخاري، روى عنه خمسة وسبعين حديثاً، وذكره مسلم في مقدمة كتابه، وله مسند.

توفي بمكة سنة ٢١٩ هـ.

انظر تهذيب التهذيب ٥/ ٢١٥

من شعر سلطان المغرب

ورد علينا دمشق الشام مُستهلَّ صفر المظفر عام خمس بعد الألف، الشيخ الفاضل الأريب الكامل الحسين بن أبي القاسم المغربي العتيقي المنسوب إلى وادي درعة تابع مدينة مُرَّاكش، فأنشدنا من حِفظه لسلطان المغرب مولاي أحمد المنصور الحَسَني - أمدّ اللهُ ظِلَّ حياته، وأفاض على الرعايا من بركاته:

لا ولَحْظٍ سَلَبَ السَّيفَ المضا ... وثَنَايَا مثل دُرٍّ أو بَرَدْ
ما هِلاَلُ الأفْقِ إلّا حاسدٌ ... لعُلاَها وبَهَاها والغَيَدْ
فلذا صار ضَئيلا ناحِلاً ... كيف لا يفنى نُحولا مَنْ حَسَدْ(١)

وأنشدنا أيضاً مدّ الله تعالى ظِلَّه:

من عَنبر الشِّحْر أو من مِسْكِ دَارين ... بَلَى ومنه نُسَيْمات الرَّيَاحِين
مُهَفْهَفُكَ تَثَنَّى قلتُ مُقْتَضِبٌ ... من قُضْبِ نُعْمان أو من كُثْبِ يَبْرِينِ
إذا تَبَسَّم خِلْت الدر منتظما ... تحت العقيق وورْداً فوق نَسْرِينِ
وإن رَنَا فسهامٌ من لَوَاحِظِهِ ... لها بِشقٍّ قلوبٍ أيّ تمكينِ

قصيدته إلى يحيى أفندي يوم النوروز

ومما كتبتُ به لقاضي قضاة دمشق الشام، المولى يحيى أفندي ابن شيخ الإسلام، المولى زكريا بن بيرام، يوم النَّوْرُوز سنة ١٠٠٦:

(١) الأبيات في خلاصة الأثر ١/ ٢٢٤.

سَفَرَ الزَّمانُ بواضحِ البِشْرِ ... وافترَّ باسِمُ ثَغْرِه الدُّرِّي
وأضاءَ وجهُ الكونِ مُنْجَلِياً ... بَسَنَا المُنى عن طلعةِ البدرِ
وسَرى نسيمٌ منه فاحَ لنا ... عَرْفٌ زكيٌّ طيِّبُ النَّشْرِ
فكأنَّ دارينَ العِطَارَ ضُحًى ... نفضَتْ عليه لَطَائِمَ العِطْرِ
أو أنَّ أنفاسَ الصَّبَا سَحَراً ... باتَتْ تعلِّلُه على الشِّحْرِ
تَسْري به في جوٍّ كاظِمةٍ ... بين البَشَامِ ومُلْتَقَى السِّدْرِ
فَلَوَتْ به جِيدَ العَرارِ إلى ... حَوْذَانِهِ واقَاحِهِ الغُرِّ
ثم اجتلَتْ بالشام رَبْوَتُها ... ذاتَ القرار مَعِينها يَجْري
حَلَّت عُرَى دلو السَّماء بها ... أيدي الجَنُوب مَطالعَ الفجر
ومَشَت بها الأنواءُ وانعطفتْ ... فيها زَبَانَاها على الغُفْرِ[1]
وسَطَا بها لَيْثُ النُّجوم على ... أيدي النَّعام فَلُذْنَ بالنَّسْرِ
فافترَّ يضحَكُ منها جَذِلاً ... ثَغْرُ الأقاحِ بمبسِمٍ دُرِّيِ
وتمايلتْ أغصانُها طَرَباً ... لما تَغَنَّى فوقها القُمْري
وثَنَّى الهزارُ بصوته غَرِداً ... عَذَبَاتِ بانَتِها على الرَّنْدِ[2]
فيه لُجَينُ الماء سَالَ إلى ... بَطْحاءِ وادٍ حُفَّ بالزَّهرِ
حَصْبَاؤُه دُرٌّ وتُرْبَتُه ... مِسْكٌ زكيٌّ أرْجَا على القطْرِ
يَجري به ذَهَبُ الأصيل على ... صَفْوِ اللُّجَين بخالص التِّبْرِ
راعتْ حَصاهُ حِسَانُ عاليةٍ ... فلَمَسْنَ عِقدَ الدُّرِّ في النَّحْرِ

---

(١) زباناها: جمع زبون وهي الناقة التي تدفع ولدها عن ضرعها، والغفر: الصغار.
(٢) البان: ضرب من الشجر سبط القوام لين يشبه به الحسان في الطول واللين، عذباتها أطرافها، والرند: شجر طيب الرائحة ينبت في سواحل الشام، أو العود، أو شجر الآس.

يـا حَبّـذا رَبْـعُ الشّآمِ وَمَـا — يَحْويـــه من ظَبْيَاتِـــهِ العُفْرِ

مَغْنَى الهوى ومَغَـــان غَانِيَـــةٍ — من رِيمِ رَامَـةَ أو مَهَا الخدْر

فَتّانَـــــةَ العينــــين بالسِّحْر — حُسّانَـــةِ الجيـــدين والصَّـــدْرِ

من كــلِّ جائِلَـة الوِشَاحِ فَلَوْ — كـان السِّوار لَجَالَ في الخَصْرِ

جيـداءَ يخفـقُ قُرْطها أبداً — خفقـــانُ قلـــب رِيـــعَ بالهَجْرِ

فـإذا بَـدتْ يا خَجْلَةَ البدرِ — وإذا انْثَنَـتْ يا خَيْبَـة السُّمْرِ

فيهنَّ ذاتُ الخـــال تَحْسَبُهـــا — فوق الثُّغُور المَحْو في البَـدْرِ(١)

أو فوقهـــا زِنْجِيٌّ رابيـــةٍ — يَحْمي عُذَيْـــب الثغر في ثَغرِ

أو سِحْر مَنْطقهـا أراكَ عـلى — تلـــك المَبَاسِم آيـــةَ السِّحْرِ

فكأنهـــا سُنَنُ الهُـدى وُضُحـاً — والخــالُ منـــه ظلمـــةُ الكُفْرِ

طابـتْ بها الأوقاتُ واعتدلت — أركـــانُ بِنْيَتهـــا بـــلا فُكرِ

وَصَفَـتْ من الأكـدار سَاحَتُها — حتى استحال العُسْر في اليُسرِ

وبـــدت نجوم السَّعـد طالعـةً — من مطلـــع الإقبـــال والبِشْرِ

يُغْشِ النَّوَاظِرَ نُورُهـــا أبـــداً — كالشَّمْس ضاحيـــةً بـــلا سِتْرِ

مـــا ذاك إلا أنَّ سَيِّدنـــا — قاضي قضاةَ الشَّام ذي الفَخْرِ

يَحْيَـــــى سَمِيُّ نَبِي مُعْجِزَةٍ — جـــاءتْ لـه في مُحـكم الذكْرِ

من حــاز إرْثـاً عِلْمُه وسَعَى — فيـــه فـــأدرك غايـــةَ الفَخْرِ

بمضـــاءِ عَزْم غَرْب مُرْهَفَـــةٍ — هَـــامَ الهُوَيْـــنى لم يَزَلْ يَفْري

وضيـــاءِ حَزْم ظِـــلُّ قائِـــدِه — رأي يصيـــبُ شواكـــل الأمرِ

---

(١) المحو: السواد في القمر.

لا زال يُحيي الفضل مقتبلا شَرْخ الشباب مدى العُمُرِ
أجرى به عَدْلا كساهُ به شَرَفاً كفاهُ آخرَ الدهرِ
وكذلك الشَّهْبَا كما عَدَلَتْ أحكامُه فيها فسَلْ تَدْرِ
كيف اعتلى فِرْدَوْسَها وزَهَا بابُ الجنان بها على الزُّهْرِ
كانت دمشقٌ قبيل مَقْدَمِه من ظُلْمها في غايَةِ الحَصرِ[1]
فجلا بنُورِ العَدْل ظُلْمتها منه برأي صائب الفِكْرِ
أوَ ما ترى رَوْضاتها كَسِيَتْ حُلَلَ الأزاهر والمُلا الخُضْرِ
وتُرى الرُّبَا أعطافُها اتشحتْ ومَشَيْن من زُهْرٍ ومن زَهَرِ
هذا إلى خُلُقٍ له شِيَمٌ مِثْلُ الرّياض بَسَمْن عن زَهَرِ
ومكارمٌ في الخافِقَين لها ذكْر مع الرُّكْبان إذ تَسْرِي
وحَديثها بين الرُّواةِ لَهُ بالشام عَنْعَنَةٌ وفي مِصْرِ
رُتَبٌ تساقَطُ دُون غايتها هُوجُ الرِّياحِ بهمهِ قَفْرِ
مولاي يا مَنْ جُودُ رَاحتِهِ جَارَى الغَمامَ ووابلَ القَطْرِ
إن يُولِني نعماً فقد أوليتني ما لا يَفي بقليله شُكْرِي
مِنْها سأوليك الثَّنا نِعَماً أضْعَافُها بالمنطق الحُرِّ
بعقودِ نَظمٍ كالنُّجوم زَهَتْ ولآلِي نَظَّامُها فِكْرِي
من كلِّ قافيةٍ جرَتْ مَثَلا تُرْوَى عن الطّائيِّ أو بشْرِ[2]
لو أنْشدَتْ للبُحتري قَضَى حَقّاً لَها بالسَّبْق في الشعرِ

---

(١) الحصر: الضيق.

(٢) يعني بالطائي: أبا تمام.
أما بشر فهو بشر بن أبي خازم الأسدي.

جَارَى النَّسِيبُ الفخرَ ممتزجاً فيهـا امتزاج المـاء بالخمرِ
خُذْهـا بنـيروزٍ مُهَنَّئـةً وقُـدُومِ شهر الصَّوم والفِطْرِ
يتلُوها عِيـدٌ وعَائِـدَةٌ مَوْصُولـةَ الإحْسانِ بالبِرِّ
واسْلَم لمثلَيْهـا ومثلها ولمثلنـا في دولـةِ بكْرِ
دَوْريـةً مـا دار في فَلَـكِ شمسٌ تَؤُم مطالـعَ الفَجْرِ
وتـلا حَمَـامُ الغُوطتـين على عُودِ الأَرَاكِ ثَنَـاك بالذكْرِ

كتاب إشادة بالقاضي ليبقى في منصبه

وكُتِبَ للمولى المذكور مَحْضرٌ من دمشق المحميَّة، ليُرسل إلى الدِّيار الرُّومية، دار السلطنة السنيّة قُسطنطينية، فكتبتُ فيه ما صورته:

«حمداً لك يا من دَلَّ على حُكمه نَصُّ الكتاب المُبين، إنِ الحُكْم إلاّ لله يَقْضي بالحَقِّ وهو خير الفَاصِلين، جَارُك لا يُضام، وكَنَفُك لا يُرام، لا رَادَّ لأمرك، ولا مُعَقِّب لحُكمك، صَلِّ على عَبْدِك، سَيِّدِ أنبيائك، وخُلاَصةِ أصْفيَائِك، مُحمدِ الذي خَصَصْتَه بأَلْسِنَة المحامد، فهو على بَيِّنَةٍ من رَبه ويتلُوه شَاهِد، وعلى مُنْتخبِ آله وبَنيه من عِترته الطَّاهِرة وذَوِيه، وبعد:

فإنّ سَنَدَ الموالي وسَيِّدَها الحَصُور[١]، المُوَشَّحَ بذكره أعطافُ طَيِّ هذا

(١) الحصور: الممتنع عن الأنفاس في الشهوات، قال تعالى: ﴿إن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً﴾.

المَنْشُور، وقد طَفَّت في الآفاق حَصَاةُ عَدْله، ومَلأت الأقطارَ والأمصارَ مآثر فضله.

فسار بــه من لا يسير مُشَمِّراً وغَنّى به من لا يُغَنّي مُغَرِّداً[1]

وقد كانت دمشقُ الشام قبل وطأة قدمه، وتشريف مقدمه، ولعبتْ بها أيدي الطَّغام، ورمتْ جَبْهتَها سهامُ الأيَّام، حتى عَمّ ظلامُ الظُّلم أطرافَها، ووشَّح رداءُ الخطوبِ أعطَافَها، وتكاثرتْ فيها المِحَن والفِتَن، حتى كادتْ تُزِيح أهْلَها عن الوطن، فكشف اللهُ بالمولى المذكور تلك الغُمَم المُطْبِقَات، وصَرَف بحُسن تَصرُّفهِ تلك الخُطوب الطَّارِقات، وسَكنتْ تلك الفتن بعد اضْطِرَابها، وراحتْ تلك المِصَائب بعد احتوائها، برِوائه المنير، ورأيه الصَّائب المستنير، بعد أن رَفَع بها من منار الحَقِّ ما كان مَخْفُوضاً، وشد بعلمه وحلمه من مرائره ما كان مَنْقوضاً، فأبان من سُبل العدل ما اشْتَبَهم، وأنار عن سُنَن الجود ما كان أظلم، فَغَدتْ معالمُها له مُنْشِدة، إذ غدا ضالَّتَها المُنْشَدة:

فيــه لقيــتُ الفَاضلــين كأنَّما ردَّ الإلـهُ نُفُوسَهم والأعْصُرا[2]

وأما ما شاع من قَبْلُ عن بوادر عَدْله بأرض العَواصم، فهي حُصُون له في القيامة من النار عَوَاصم، هذا إلى سَجايا أرْيَحيّة، وقضايا شُرَيْحية، يضيق عنها نطاق البيان:

---

(١) البيت لأبي الطيب المتني، من قصيدة في مدح سيف الدولة وتهنئته بالعيد، وقبله:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

ديوانه ٣٠٩.

(٢) وهذا البيت أيضاً لأبي الطيب في مدح أبي الفضل بن العميد، وروايته الصحيحة: ولقيت كل الفاضلين... الخ.

فـالله يُبْقِيـه لنـا ويَزِيـدُه عَـدْلاً ومَعْدَلةً على طُولِ المَدَى

ورجاء فُقراء الممالك الشّامية الدِّمَشْقيّة، من خُدّام أعتاب الدولة المحمدخانية، المؤيّدة بالقُدرة الرّبّانية، والعِزّة الصَّمدانية، إبقاء هذا القاضي العادل الكامل، الفاضل العامل العادل، بُرهة من الزمان بالشام، فإنّ بقاءه وإبقاءه نَفْعُ الخاص والعام، مع مواصلة الدعاء للدولة الخاقانية العثمانية مدى الأيام على الدوام:

قصيدته في مدح وتأريخ قدوم سنان باشا

ومما اتفق لي نَظْمه بدمشق الشام غرة شوال عام ست بعد الألف مؤرخاً قدوم حضرة الأمير المكرم، والمشير المفخم، سنان باشا الشهير بابن جُفال[1]، وقد حصل بقدومه إلى الشام كمال العدل والاعتدال، مُشيراً أثناء ذلك فيها إلى طائفة بها قد أسْرَفتْ في ظُلْم الرَّعِية كُلّ الإسراف، حتى سَرَى إلى الأطراف، غير أنه - كما قيل - ثم ما سَلَّم حتى وَدَّعَنا، على أنه حصل منه نفعٌ للعامَّةِ شامل، ولطفٌ للخاصة كامل، أدام الله تبارك وتعالى توفيقه، قولي:

حَمْـداً لمولى للعَـدْلِ ألهَمْ مُنْجِي البرايـا من طَـارِقِ الهَمْ

قـد أصبـح الشامُ في سُرُورٍ وفي حُبُور وطيـب مَغْنَمْ

وراح ظُـلْمٌ وجـاء عَـدْل وصـار يُرْجَى من كـان يُظْلَمْ

---

(١) هو السردار سنان باشا بن جفال، الوزير الأعظم، الفرنجي الأصل، تولى نيابة الشام فترة، ثم ولاه السلطان حرب قزلباش سلطان بلاد الفرس، ولكنه لم يوفق في تلك الحرب، وعاد إلى دمشق مهزوماً سنة ١٠١٤ هـ.

هــذا ولم يَبْــق رسمُ مَغْنًى ... فيهــــا ولا مَرْبَــعٌ ومَعْلَمْ

إلّا وفيــــه بشيرُ عَــــدْلِ ... بمقــدَمِ الآصـف المُقَــدَّمْ

في وزراءِ كـــــلٌ كريمٍ ... فمـــــذ سَاهم سَمَّوْه أكرَمْ

نظــامُ مُلْــك ظهــيرُ مَلــكٍ ... بــــه أمورُ البـــلاد تُنْظَمْ

غَوثُ البرايــا غَيْــثُ الرَّعَايــا ... لَيْــثُ السَّرَايــا والحَرْبُ تُضْرَمْ

صــافي السَّجايــا وافِي المَزايــا ... ضَافِي العَطَايـــا ريٌّ لِمَنْ أَمْ

مـــــا جُودُ مَعْنٍ وجُود مُزْنٍ ... وبَـذْل كَعْـبِ النّـدى وحَاتِمْ[1]

في فيضِــــه العَمِّ غــير رشحٍ ... أو قطرةٍ في غَوارِبِ اليَمْ

وافى حِمى الشام حــين وَافَى ... والسَّعْـــد يُنْشِدُه خَيْرَ مَقْــدَمْ

والقَصْــــدُ أجْــلى ظُلْم قَوْمٍ ... عــلى دَرَارِي النُّجُوم قــد طَمّ

---

(١) أما معن فهو معن بن زائدة الشيباني، أبو الوليد، من أشهر أجواد العرب، وأحد حلمائهم وشجعانهم، أدرك العصرين الأموي والعباسي، وكان في العصر الأول والياً مكرماً، فلما جاء عصر بني العباس طلبه أبو جعفر المنصور فاستتر حتى كان يوم الهاشمية وفيه ثار جماعة بأبي جعفر وقاتلوه، فتقدم معن وقاتل دونه حتى أفرجهم عنه، فحفظها له المنصور؛ وولاه اليمن، ثم سجستان، حيث اغتاله جماعة في زي الفعلة بينا كان يبتني داراً له، سنة ١٥١ هـ.

وأخباره كثيرة طريفة معجبة، وللشعراء فيه أمادح كثيرة ومرات صادقة، انظرها في ترجمته في وفيات الأعيان ١٠٨/٢ وتاريخ بغداد ٢٣٥/١٣، والمغتالين من الأشراف ضمن مجموعة نوادر المخطوطات ١٩٥/٢.

وأما كعب فهو كعب بن مامة بن عمرو الإيادي، أبو دؤاد، كريم، جاهلي، يضرب به المثل في حسن الجوار والكرم، فيقال: «أجود من كعب بن مامة»، «وجار كجار أبي دؤاد» وهو صاحب القصة الشهيرة في الإيثار: «اسق أخاك النمري» فأعطاه نصيبه من الماء ومات هو عطشاً، وكان يقال أجواد العرب في الجاهلية ثلاثة: كعب بن مامة وحاتم الطائي، وهرم بن سنان.

أنظر مجمع الأمثال للميداني ١٠٩/١، ١٢٣، والشعر والشعراء ١٨٩، جمهرة الأنساب ٣٠٨٠.

مُثقّفاً منهم قَنَاةً ... كان سِناناً لها ولَهْذَمْ[١]
أرسَلَه يُصْلِحُ الرَّعَايا ... سُلْطَانُنا الأمْجدُ المُفَخَّمْ
سَمِيُّ خَيرُ الأنام طُرًّا ... مُحمد الفاتِحُ المُعَظَمْ
فَخْرُ السّلاطين مَنْ تَلاهُ ... نَصْرٌ من اللهِ حَيْثُ يَمَّمْ
من آل عثمان في صَمِيمٍ ... صِمْصَامُهُ في العِدَا مُصَمِّمْ
ما اختارَهُ دافعاً لِظُلْمٍ ... من وُزَراءٍ عديدُهم جَمّ
إلاّ لرأيٍ فيه مُسْتَنيرٍ ... يجلُو دُجَى الخَطْبِ وهو أدْهَمْ
إذْ كان بالشام قَوْمُ سُوءٍ ... بَغَوْا عليها بَغْيَ ابن مُلْجَمْ[٢]
كادَتْ تَخِر السماء يَوْماً ... من ظلمهم والجِبَالُ تُهْدَمْ
إن قلتُ من ذا لَهُم ومن ذا ... لِدَفْع ظُلَمٍ أرَجاؤُها عَمْ
قلتُ ظهيرُ الملوك قالوا ... مَنْ ذَاكَ صِفْهُ لنا لِنَعْلَمْ
ولَيَكُ تاريخُه لهذا ... أرَّخْتَ دُسْتُوره المُكَرَّمْ
دام نظاماً للمُلْك حَتّى ... عِقْدُ الثُّرَيَّا في الأفقِ يُفْصَمْ
ما المُلْكُ إلاّ قشِيبُ بُرْدٍ ... وهو طِرازٌ عليه مُعْلَمْ

الرسالة الصادحية والباغمية

كتبتُ بها لأعَزِّ إخوان الصَّفا، وأجَلِّ خِلّان الوفا، جناب الأفضل

(١) القناة: الرمح الأجوف، وثقف الرمح سواه وعدله، واللهذم: القاطع من سنان أو سيف أو ناب، يقال: سيف لهذم: حاد، وكذلك السنان والناب.

(٢) هو عبد الرحمن بن ملجم الذي تعدى على الإمام علي كرم الله وجهه بالقتل.

(٣) الصادح: الطائر إذا رفع صوته فأطرب، وكذلك يقال: صدحت المغنية وصدح المزهر =

المكين، شمس الملة والدين، محمد أمين السابقي لا زال سابقاً للخيرات، وفي طريق المجد سَبَّاقُ غايات، وقد ولى منصب الدَّفْتَرْدارية بدمشق المحمية، من قِبَل الوزير المكرم، والدُّسْتور المفخم، حضرة سنان باشا بن جُفال - لا خانه الدهر ولا غال، حين تَشَرَّفتْ به الممالك الدمشقية الشامية، غرة شوال عام ست بعد الألف، وقد غَمَر معالمها نوال عدله، وعلماءها سِجَال فَضْلِه، وهي من البدائع:

« فَرَحُ الولاية وقد سُرَّت بمولاها، وبلغت من الشرف غاية مناها، فرحُ ذاتِ الوِشَاح، وذاتِ الجَناح، هذه بخليلها، وتلك بهَدِيلها، وجَذَلُ المناصب وقد علقت بذيله، جَذَلُ المُدْلجِ السَّارِي بقَمَر ليْله، وبهجتُها به بهجةُ المكيٌ بمجاورة أبوابه، والمَكَاكِيٌّ بجارة جَوَابِه[1]، بل بهجة الجارية بسِمْطيها[2]، والجارية بسِقْطَيها[3]، أما تلك فمَهَاةٌ ظِلُها يَرِفٌ، وهذه

= إذا طربا والباغم: الظبية إذا صوتت لولدها فهي تخرج صوتاً ألين ما يكون وأرق، وكذلك يطلق اسم البغام على كل صوت لين رقيق، وإذن فرسالة المؤلف التالية تجمع بين اللين والرقة والطرب والتنغيم.

وهناك كتاب مشهور في الأدب العربي باسم « الصادح والباغم » وهو من تأليف ابن الهبارية (أبو يعلى محمد بن الهبارية العباسي) المتوفى سنة ٥٠٤ هـ، وهو يتضمن شعراً أسطورياً على لسان هندي وفارسي يفضل كل منهما شعبه، يزعم ابن الهبارية أنه استمع إليهما في سفرة له. وقد طبع هذا الكتاب بالقاهرة ثلاث مرات، وفي لبنان مرتين، وفي الهند مرة.

انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/ ٢٩.

(١) المكاكي: جمع مكاء، وهو طائر صغير يألف الريف، يجمع يديه ويصفر فيها صفيراً حسناً، جارة جوابه أي رفيقته التي ترد عليه صوت جوبه.

(٢) السمط: قلادة أطول من المخنقة، فإذا كانت ذات نظمين فهي ذات سمطين.

(٣) سقطيها: مثنى سقط وهو الولد يخرج من أمه.

مَهَاةٌ طِلالُها على الخِفّ[1]، تَظَلُّ في خَمَرة، بين ضالَّةٍ وسَمُرَة[2]:

تُزْجِي أغَنَّ كـأن إبْرَةَ رَوْقِـهِ ... قَلَمٌ أصاب من الدَّواةِ مدادها[3]

فبينا تَرُبُّه تحت الأرْطَى[4]، وقد تلفَّعتْ كالغواني مِرْطا[5]:

سَرَتْ إليـه من الجَوْزَاء سَارِيةٌ ... تُرخِي الشَّمالُ عليـه جَامِدَ البَرَدِ

تُذْرِي عليه مُفَصَّلَ جُمَانِها البَدِيد، مثل سُنَن الفَرِيد[6]، وهي من نَحْر وَجِيد، فكأنما عَنَاهُ من قال، وهو في تلك الظلال:

فبـاتَ إلى أَرْطَـاةِ خَفْق[7] تَلُفُّهُ ... شَآمِيَّـةٌ تُـذْرِي الجُمَـانَ المُفَصَّلاَ

حتى إذا ما جَلّى عن وجهه أُفُق هاوية في أُخْرَيَات الليل منتصب

---

(١) طلالها: جمع طلا وهو ولد الظبي ساعة يولد أو هو الصغير من كل شيء، والخف: الأرض الغليظة.

(٢) الخمرة: بفتح الخاء والميم: ما وارى الشيء من شجر أو بناء أو جبل أو هو الشجر الملتف، والسمر بفتح السين وضم الميم، نوع من شجر الطلح (الشوك) ترعاه الابل، واحدته سمرة، والضال: السدر (النبق) البري، أو ما يسقيه المطر منه.

(٣) تزجي: تسوق: والأغن: الظبي كانت في صوته غنة، والروق: القرن، والبيت من قصيدة معروفة للراعي النميري.

(٤) تربه: تتعهده بما يغذيه وينميه، والأرطي: نبات شجيري ينبت في الرمل ويخرج من أصل واحد كالعصى، ورقه دقيق، وثمره كالعناب، الواحدة: أرطاة.

(٥) المرط: كساء من أي نوع من القماش، يؤتزر به، وتتلفع به المرأة.

(٦) الجمان: اللؤلؤ، والبديد: المتفرق، والمفصل: العقد جعل بين حباته حبات أخرى مغايرة، وسنن الفريد: طريقته ومثاله، والفريد: الدر إذ نظم عقداً وفصل بين حباته بغيره.

(٧) الخفق: الأرض الملساء ذات الآل.

غداً وهو بين سِقْطَيْ ذلك اللّوى[١] ، دُمْلُجُ[٢] فِضّة لبعض عَذَارَى الحَيِّ ثَوَى ، أو زَوْرَقٌ من فضة نَبَه[٣] ، بهلال الأُفُق قد اشْتَبَه ، أو مُزْنة فارق ، يجلُو غواربَها بتُوَّجٍ بَارِق[٤] ، أو تَريكة أُمّ رَال ، تركتْها بجرعاء الرمال[٥] ، أو وَدَعةٌ سِيف ، أودعها الوَعَسُ أسِيف[٦] ،أو وَذِيلةٌ حَسْنَاء مَمْكــورَة[٧] ، وسْط روضةٍ غَنّاءَ مَمْطُورَة ، أو بامرأة سَبْسَبَ قَفْر ، قِعب لُجَيْن[٨] تَخَلّف عن سَفْر ، أو كوكب شارق سَقَط من فَجْر ، أو سَقَط من نبات بَخْر[٩] ، بل ما فرحةُ ساجعةِ الأَرَاك ، وقد سَلِمَتْ من غوائل الأشراك ، تباري حمام الجَلْهتين ، وتأوي لِمَلْثٌ بين عُودَين[١٠] ، لا حَمامة حُمَيْد بن ثور[١١] ، وقد باركت عَسِيب أَشَاء مطلع الغور :

---

(١) سقطى : مثنى سقط وهو حيث منقطع الرمل ورقته ، واللوى : ما التوى من الرمل .

(٢) الدملج والدملوج : حلية تحيط بالعضد ، (وهو ما بين المرفق إلى الكتف) .

(٣) نبه : اشتهر وعرف .

(٤) الفارق : الذي تفرق ماؤها ولم يغط الأرض ، وغواربها : أعالي مياهها ، وتوج : ماسدة أو بلدة بفارس ، والبارق : البرق .

(٥) الرأل : فرخ النعام ، أو ما أتى عليه سنة منه ، وفي ب : أورال ، والتريكة : البيضة بعد أن يخرج منها الفرخ .

(٦) السيف : نوع من السمك ، والوعس : الرمال الناعمة التي تغوص فيها الأرجل .

(٧) الوذيلة : المرأة النشيطة الرشيقة ، والممكورة : ذات الساق المتلئة المستديرة الحسناء .

(٨) القعب : قدح ضخم غليظ ، واللجين : الفضة .

(٩) بنات بخر : هي السحائب تنشأ من بخار البحر فتجوز إلى البر ، أما بنات بحر فسحائب لا تجوز إلى البر ، ولذلك قيل : بنات بخر خير من نبات بحر ، وفي الأصل : بنات فخر . انظر ثمار القلوب ٢٧٦ .

(١٠) الجلهة : الصخرة العظيمة المستديرة ، ومحلة القوم وناحية الوادي ، والملث : المكان بين العودين .

(١١)

من الوُرْقِ جَمَّاء العُلاَطين بَاكَرَتْ عَسِيبَ أشاءٍ مَطْلَعَ الغَوْرِ أَسْحَما[1]

بل لها بدعوة نُوح، طوقٌ على الجيد يَلُوح[2]، لم يكن عن تميمة، بل صَاغَتْه قُدْرةٌ قديمة، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة، وقد سَبَّح له السَّبع والسَّبْعَة، فهي تهتف في الغُصُون، بغرائب سَجْعِها المُوْزُون:

إذا وطِئَتْ عُوداً برجلٍ حَسِبْتَها ثقيلةَ حَجْلٍ تَلْمَسُ العُودذَا الشَّرْغِ[3]

تجيـــبُ سَمَـاوِيَاتِ لونٍ كأنَّما سَكِرْنَ بَشْوقٍ أو سَكِرْنَ من التَبْغِ

وإن أخذت في الغناء تفيض، فيا بله مَعْبَدٍ والغَرِيض، يسمعها الشَّجِيُّ فيقول أَنَّت، والخَلِيُّ فيظنُّ أنّها غَنَّت[4]، ولهذا اسْتَهلَّ في قريضه الطَّائِي، بيا ويل الشَّجيّ من الخَلِي[5]، فهي لا تبرحُ باكيةً سَاجِعة، من غير عَبْرةٍ مُتَراجِعة، شُجُونها بجنوب الغَوْطتين، وشُؤُونها[6] على ليال بالرَّقْمتيْن، تُزْهَى على ذوات الألحان بوحيدها، زُهُوَّ غواني الحسان بفرِّيدها:

---

(١) العسيب: الذي لم ينبت عليه الخوص من السعف، أو الشق في الجبل، والأشاء كسحاب: صغار النخل، والجماء: المكتنزة لحم العنق، والعلاطين من الحمامة طوقها في صفحتي عنقها بسواد. وأسحا: شديد السواد.

(٢) أجمع العرب على أن الحمامة كانت دليل نوح عليه السلام ورائده، وهي التي رجعت له بغصن الزيتون في فمها وبالطين في رجليها، بعد أن ذهب الغراب ولم يعد، ولذا فقد دعا لها نبي الله فمنحها الله الطوق في رقبتها زينة لها والخضاب في رجليها. انظر ثمار القلوب ٤٦٥.

(٣) الشرغ: الثمر.

(٤) الشجي: الحزين، والخلي: الخالي من الهم.

(٥) الطائي يعني به حبيب بن أوس الطائي أبا تمام، في مستهل قصيدته التي يقول فيها:

ألا ويــــل الشجي من الخــــلي وبــالي الربــع من إحــدى بلي

(٦) الشئون: مجاري الدمع في العين.

تُمسي وتُصبح في أراكةِ أيْكِها ‏ ‏ معه وضَافِي العُمْرِ في رَيْعَانِهِ

فبينا تُرَاوِدُ به من عَذْب سَلْسَال، إلى ذُرَى عَذْبِ أَلْمي الظِّلَال[١]، إذْ نَعَتَ القَطَامِيُّ[٢] ساحتها، وناهز أو كاد باحتها:

ترى الطَّيْرَ والوَحْشَ من خَوْفِ ‏ ‏ جَواحِرُ منـه إذا ما اغْتَـدَى
حَديـدُ المَخَالِـبِ عَـارِي الوَظِيـ ‏ ‏ ـفِ ضَارِ من الزُّرْقِ فيه قَنَا[٣]

فنجتْ بنفسها مُوقنَةً حَيْنَه، وخَلَّت بين الوجيد وبَيْنه، فَصَانه القدرُ وحَمَى مِنْ لَحْمه، واللهُ يحكُمُ لا مُعَقِّبَ لحُكمه، ثم لم تَزَلْ تهبطُ من غَوْرٍ إلى نَجْد، وقد ذابتْ أحشاؤُها من الوَجْد، حتى استقلَّتْ بذاتِ الأَضَا، واسْتَقَرَّت على وادي الغَضَى[٤]، وقد زاد بين ضُلُوعها، وزاد في حَرِّ وُلُوعها:

تبْكي إذا ذُكِرَ الحِمى حيثُ الحِمَى ‏ ‏ رَوَضٌ تُغَرِّدُ في ذُرَى أغْصَانِـهِ
مأسُورَةُ القَلـبِ المُعَنَّى من جَوًى ‏ ‏ مَسْجُورةُ الأَحْشَاءِ من نيرانِــهِ

إلى أن وقفتْ مع سَاقٍ على سَاقِ قَضيبٍ مُتَهدِّل، تبكي من ذكرى حبيب ومَنْزل، وتُملي من الأوراق، أحاديث الفراق:

---

(١) ألمي الظلال: أي كثيف الظل بارده.

(٢) القطامي، بفتح القاف أو ضمها: الصقر.

(٣) الوظيف: مستدق الذراع والساق، والزرق: ضرب من الطيور من فصيلة العقاب النسرية من رتبة الصقريات، يتميز بامتلاء جسمه وكبر حجمه وكبر منقاره الواضح التقوس الحاد الأطراف، والقنا: الرماح ويقصد بها المخالب.

(٤) ذات الأضا: هي الأجمة من شجر الخلاف (الصفصاف) الهندي، والغضى: شجر من الأثل (وهو شجر طويل معمر دقيق الأوراق) خشبه من أصلب الخشب، واحدته غضاة، وأهل الغضى أهل نجد لكثرته هنالك.

تُمْلِي من الوَرقِ الغَرَامَ وطَالَمَا　　دَرَسَتْ فُنُونَ العِشْق في أَفْنَانِـهِ

فشجوها على ذلك الشَّرِيد، شجو تُمَاضِرَ على ابن الشَّرِيد[١]، فهي في نَدَى تلك الأغصان، كصاحبة الأسدي صفوان:

أَضَلَّتْ فُرَيْخاً فَطَافَتْ بِـهِ　　وقـد عَلِقَتْـه حِبَـالُ الرَّدَى

فلما بَـدا اليـأسَ منـه بَكَتْ　　عليـه ومـاذا يَرُدُّ البُكَـا

وقـد صَـادَه عَشْرَمٌ مُلْحَمٌ[٢]　　خَفُوقُ الجَنَـاحِ حَثِيثُ النَّجَا

فما برحتْ سَحابةَ يومها شاكية، وعلى مَيَّادِ غُصْنها الرَّطيب باكية، تَمُرّ بها أسرابُ القَطَا، على أحْوذِيِّ[٣] ليست بِطَا، وهي في أغْصَانِها جاثمة، ومن أحداث دَهْرها واجِمة، فتذكُّرها حماماتٌ ببطحاءِ وَادٍ، كانت معهن في أخصَبِ مَرَاد:

بحيثُ الحِمَى رَوْضٌ وسُكَّانُه ظِباً　　وحَصْبَـاؤُه دُرٌّ وبَهْمَـاؤُه وَرْدُ

فهنّ ما بين رَوْضٍ أو غَدير، كَرَبَّاتِ الخَوَرْنق والسَّدِير، فَتُنْشِدُهُنَّ على أنهن في رِبْقَةِ أَسْر، قول الصَّاحب العميد أسْعَد بن نصر[٤]:

---

(١) تماضر: هي الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمي الشاعرة الإسلامية الشهيرة، وابن الشريد هو أخوها صخر الذي رثته كثيراً حين قتل وذاعت مراثيها فيه.

(٢) العشرم: الخشن الشديد، والملحم بفتح الحاء: الذي يطعم اللحم ويأكله.

(٣) الأحوذية: الأجنحة.

(٤) هو عميد الدين أسعد بن نصر الأنصاري الأبرزي، كان وزيراً لأتابك فارس مظفر الدين أبي شجاع سعد بن زنكي مدة طويلة، وابنه ابي بكر بن سعد بن زنكي مدة طويلة، غير أن هذا سجنه لخيانته فى قلعة أشكنوان بالقرب من اصطخر، وبها مات سنة ٦٢٤ هـ.

وقد نظم في سجنه قصيدة عرفت بالقصيدة الاشكنوانية وأملاها على ابنه، ورواها هذا لحمود بن أبي الفتح السيرافي، وقد شرحها ابنه صفي الدين مسعود بن محمود السيرافي وتوجد

من يبلّغن حمامـــاتٍ ببطحــاءِ مُمَتَّعـــــاتٍ بسَلْسَالٍ وخَضْرَاءِ
كلٌّ مع الإلْفِ في رَضْراض ساقيةٍ كُلٌّ مع الزَّوْج في ضَحْضاحِ غَنَّاءِ
كـلٌّ يراودُ من عَذْب إلى عَذَبِ كـــــــل تحلى بنعمان ونَعْماء

لا تنفكُّ بين أمْرَيْن أمَرَّيْن، حَشىً بالنَّوى مأْسُور، وفؤاد بالجوى مَسْجور، إلى أن طوى النهار عنها كَشْحا، وتقلَّد الليل من نُجُومه وُشُحا، وقد نَشَر غُدَافه من قوادمه وخَوَافيه[1]، وظَلَّ طائر نَسْره من وكر المَجَرَّة واقعاً فيه، باتت تسامر غياهبه، وترعى بمقلتيها كواكبه، حتى طوت السماء ثوبها المجزع، وكاد ينالُ منها الحنين المُرَجَّع، ثم عارضها الرَّجا، فعادتْ إلى تلك الأرجا، والقلب بسَهْم البين دامي، واللُّبُّ طائر خوف القُطَامي، فلما دَنَتْ منه تلك المنازل، وأنست بصوت هاتيك الجَوَازل[2]، وبَصُرَتْ بهن عن كثب، وقلبها من شدة الخوف وَجَب، فإذا هو فيهنّ كالهَديّ[3] على مَنَصّة أيكته، وأبي المَهدِيِّ في أعالي أريكته، وهو جاثم في تلك الحمائم، كدراري النَّعَائم[4]، أو كَدُرَّة العائم، وفي معقل تلك

= بشرحه في مكتبة أياصوفيا بتركيا، وقد طبعت في مجموعة فارسية مع المعلقات، كما نشرها وترجمها هوارت.
انظر تاريخ الأدب العربي ٤/٥٠.

(١) الغداف: غراب اسحم (أسود) ضخم كبير الجناحين، والقوادم إحدى عشر ريشات كبار في مقدم الجناح، والخوافي: أربع ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت.
(٢) الجوازل: جمع جوزل وهو فرخ الحمام.
(٣) الهدي: الرجل المحترم، أو العروس.
(٤) النعائم: منزلة من منازل القمر صورتها كالنعامة، والجمع نعام أو نعائم.

الأطيار، كعقيلة المجارّ[1]، وقد اتشح بزهر الخمائل بُرُودا، وثَقَّله لؤلؤ الطل عقوداً:

وَوشَى جناحيه وَقلّد جيدَهُ بمسكٍ وبالتِّبْرِ المُذَاب تَلَثَّما
وكَحَّل بالياقُوت جَفْناً ونَاظِراً وخَضَّبَ بالحِنَّاءِ كَفًّا ومِعْصَمَا

فَخَرَّتْ ساجدة لبارئها شُكْرا، وقد امتلأ فُؤَادها بالبُشْرى، وقالت وقد غمَرَها الإنعام: ﴿يا بُشْراي هذا غُلَامٌ﴾[2]، كفرحةِ مَنْصِبٍ وَلِيَه السَّيِّد المَوْلى، وقد كان من قبل أحَقَّ به وأولى، فوشَّح مَعَاطِفَ دَفَاتِره، بعقُودِ مَفَاخِره ومآثره، وكستْه وشائعُ أقلامه، بدائعَ دُرَرِ نظامه، فأصبح يُزْهى بذلك على أسْنى المناصب، زُهُوَّ العَلَويِّ على أشنا النواصب[3]، على أن قَدْر المَولى دَامَ له الشَّرَف والعُلَى يَجِلُّ عن مثله، وتسمو عنه مراتبُ فضله، ولكن ربما نزل الرجل الكبير، إلى دَرَجَة الطِّفْل الصغير، بناحيةٍ من مُقامه،، ويحبُوه بمزيد إكرامه، من غير أن يَقْدَح ذلك من عُلُوّ شأنه، أو يَحُطَّ من قدر مكانته ومكانه، وهكذا حال مولانا الأجلّ، لازال المنصِبُ عَبْدَ بابه، وخادمَ رفيع جنابه، في كُلِّ منصب وَلِيهَ أو يَلِيه، يَعْرف ذلك من عَرَف فَضْله بحكم البَدِيه، ومولاي مَتّع اللهُ الأدب بطُول بقائه، وصَرَف السُّوءَ عن شَرِيف حَوْبائه، يعلم أنَّ تسميةِ عبده بالمُسْتَوفي، لقلبِ معناه غير مُسْتوفي، وإن زعم صِدْقَهُ زاعِم، وتَوَهَّم وقُوعَه واهِم،

---

(١) المجار: جمع مجرة، وهي البياض المعترض في السماء، والنسران من جانبيها، ويقال: نهر المجرة. وكل ذلك على ما ذكره الأقدمون، أما الفلك الحديث فيقرر أن المجرة مجموعة هائلة من الكواكب المترابطة كالمجموعة الشمسية التي نعيش في إحدى كواكبها، وهناك ملايين المجرات في الفضاء مثل هذه المجموعة.

(٢) سورة يوسف، الآية.

(٣) النواصب: هم من يبغضون عليا رضي الله عنه لأنهم نصبوا له أي عادوه.

فهو كمن حكَمَ على لَيْث العَناكب بأنَّه لَيْثُ الكواكب، وعلى أسَد الذُّباب، بأنه صاحبُ الغَاب، وجَعَل نَعَام الجو اللاَّمعة، نَعَام الدَّوّ المَالِعَة[١]، وقَضَى على الصُّعدة السَّمْهرية[٢]، بأنها النَّابتة في الحَائِريّة[٣]، هيهات هيهات! تِلْك فُرُوعها في السماء، وهذه مَغارس أصُولها في الماء،

وقد يتقارب الوصفان جداً
وصوفاهما متباعدان[٤]

وأنا أعرف مولاي عَرَّفه الله كُلَّ صالحة، وسَلَك به من الخيراتِ سُبُلاً ناجحة، أن مَنْ مَهَر في صناعة قل أن يكترثَ بها، وإن كانتْ من غيره مسقط العَيُّوقِ ومَنَاطَ السُّها[٥]، وسيدُنا الأجَلّ مذ خالط الفَضْلُ خيمه، وصارت الآداب طبيعةً له وَشِيمَه، لا يرى غيرها مَنْصِبا، بل تَعَبا ونَصبَا، وحَاسِدُه الغَمْر[٦]، وإن أنفذ في طَلَبها مدة العُمْر، ما هو فيما تَمنَّاه من بُلُوغ مُناه، ﴿إلا كباسِط كَفَّيْه إلى الماء ليبلُغَ فَاه﴾[٧]، ألم يدر

---

(١) الدو: الفلاة، والمالعة: السريعة الخفيفة.

(٢) الصعدة: القناة تنبت مستوية فلا تحتاج إلى تثقيف، والسمهرية: الرماح الصلبة العود، يقال هي منسوبة إلى «سمهر» رجل كان يقوّم الرماح، وامرأته «ردينة» التي تنسب إليها الرماح الردينية.

(٣) الحائرية: نسبة إلى الحائر، وهو المكان الذي دفن فيه الحسين بن علي رضي الله عنهما.

(٤) البيت لأبي الطيب المتنبي من قصيدته في وصف شعب بوان، ديوانه ٤٦٣.

(٥) العيوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن، يتلو الثريا لا يتقدمها ويضرب به المثل في البعد، والسها: كوكب صغير خفي الضوء في بنات نعش الكبرى أو الصغرى، ويضرب بها المثل في المدهوش الذي يسأل عن شيء فيجيب جواباً بعيداً فيقال: أريها السها وتريني القمر.

(٦) الغمر: بفتح الغين وكسر الميم أو سكونها: الرجل لم يجرب الأمور.

(٧) سورة.

أن النَّارَ أَنْوَرُ في طَرَفي تَباله[1] ، وأن الرَّافِدَيْن أَنْهرُ حَضارة[2] لا مَحَاله .

النَّـــارُ في طَرَفَيْ تَبَالَـةَ أَنْوَرُ   رَقَــدَتْ فأَيْقظَهَا لِخَوْلَة مَعْشَرُ

خلا نارَ القِرَى، المُوقَدَتَيْن بالعَرَا ، نارَ العِبادي ، والحَارِثِ ذي الأيادي ، أما تِلك فمشبوبة لُبَيْنَى ودَعْد ، وهذه مَوْصُوفة شَيْخِ الأزْد:

هي النَّـارُ شَبَّ الحَارثيُّ وقودَها   ولم يَقْتَدِحْهـا بالزِّنَادِ المُغَالِثُ[3]

ما تَخوَّنها قطُّ مغالثةُ زِنَاد ، بل ضاءت منها الأغوارُ والأنْجاد ، على أنها وهُمَا هُما ، لدى نارِ فكرةِ مولاي الشَّارِقة في الجُنْحِ سَنا بَرْقةٍ أو ذُبالة مِصْباح ، وقت الصَّباح ، أو كوكب يَلُوح ، عند إشراق يُوح[4] ، هذا ولما أبَتْ شِنْشِنَتُهُ الأَخزَمِيّة ، وشيمتُه السَّابِقَيَّة الأَبْهرِيَّة ، ألاّ تفقدَ حال أوليائها ، سِيما من وُسِم بخالص حُبِّها وصِدْق ولائها ، لا جَرَم جاز بيانُ الحال التي تُحكَى ولا تُشْكَى وذلك أنَّ منزل دَاعِيه ، الذي هو من جُملة حَسَنَاتِه الحَسَنَة فيه ، عاد من الزاد ، غير المَصَاد[5] ، كبيت عَاتِكة تَخفق فيه الأرواح ، أو كَمِنى حين سار عنها الحجيج وراح ، وكما وَصَف الجزيرةَ أبوُ تمام وقد ترحَّل عنها مالك[6] ، وهو لفراقها غير مالك:

---

(١) نبالة: بلدة خصبة باليمن.

(٢) حضار على زنة سحاب: جبل بين اليامة والبصرة.

(٣) المغالث: الذي اقتدح الزناد فلم يور.

(٤) يوح: اسم للشمس.

(٥) المصاد: الملجأ والمعقل.

(٦) هو مالك بن طوق بن عتاب التغلبي ، أبو كلثوم ، كان من الأشراف الفرسان الأجواد ، ولي إمرة دمشق للمتوكل العباسي ، وبنى بلدة الرحبة التي على الفرات ، وتعرف برحبة مالك نسبة إليه ، وكان فصيحاً ، له شعر.
توفى سنة ٢٥٩ هـ ، انظر الأعلام ١٣٧/٦ .

أَقْوَتْ فلم أَذْكُرْ بها لَمَّا خَلَتْ   إلاَّ مِنًى لَمَا تَقَضَّى المَوْسِمُ[1]

وقد اشتمل وبالله القوة والحَوْل، وله المنَّة علينا والطَّوْل، على ثلاثة من الجَوازِل، مثل أفراخ القطا حُمْرُ الحواصل:

كأن على أشداقها نُورَ حَنْوَةٍ   إذا نَصَّتِ الأَجْيَادُ يَوماً لتُطْعَمَا[2]

لا شجر عندهنَّ ولا مَاء، بل لم يبق منهن غير ذِمَاء[3]، فهن يَتَضَاغَيْن بعُقْرِ الدار، ولا يَقَرُّ لواحدةٍ منهنَّ قرار، ونار الجُوع، منعتْهُنَّ الهُجُوع، فهنّ في الديار ثَلاَثُ الأَثَافي، وعَجُوزهم التي لا يخفى عليها خافي، فإن شاء المولى لا رَوَّع الله له روُع، ولا أذاقَهُ لباس الجُوع، أطفأ نَارَ جُوعهم، وأعاد لذيذ هُجوعهم، ببرد ثلاثة أشهر إنجازاً لوعده، فإن اتم عشراً فمن عنده، وما أريد أن أشق عليه والأمر في ذلك راجع إليه، وأنا مع مولاي السيد الأريب، كما قال الطائي بن أوس حبيب:

همممي معلقة عليك رقابها   مغلولة إن الوفاء إسار

ومودتي لك لا تعار بلى إذا   ما كان تامور الفؤاد يعار

وسلامي على حضرته السامية سلام أهل الجنان، بلغه عن ساكنيها رضوان، هو في الطيب كنشر شمائله، وزهر الروض في خمائله، والقلب لديه رهين على الأمين.

---

(١) البيت في ديوان أبي تمام ٢٧٢، وأقوت: خلت.

(٢) الحنوة: الآذريون: وهو نور أصفر، ينبت في الخريف، وقد سبق الحديث عنه، ونصت: أي بلغت غايتها في الجري.

(٣) الذماء: بقية الروح في الجسد.

وكتب في استهداء بعض خدم القاضي عبد الوهاب

وكتبتُ إلى قاضي القضاة عبدالوهاب[1] أفندي مُفتتحَ شهر رمضان، وقد وَزَّع من خدمه على بعض الإخوان، قولي:

رَمضانُ جاء وكِسْر بيتيَ قد خلا ... من كسرةٍ فيه ومَالي دِرْهَمُ
ورجائِي مقطوعٌ مِن الخَدَم الَّتِي ... بين البهائم قد غَدَتْ تَتَقَسَّمُ
ما بين لا زيدٌ ولا عَمرٌو بَلَى ... ما بين صِنفٍ جِنْسُه لا نَعْلَمُ
قوم أتى في الذكر ذكرُ حديثهم ... ورواه بالإسناد قومٌ عَنْهم
وإذا تراهمْ أعجَبَتْكَ جُسُومُهم ... وإذا يقولُوا فالحديثُ تَغَمْغُمُ
فكأنَّهم خُشُبٌ مُسَنَّدة غَدَتْ ... تَصْلَى بها نارُ الجحيم وتُضْرَمُ
لا يعتريكَ الشَّكُّ في أنسابهم ... أو يعتريكَ وأنت تعرفُ من هم
لكنَّ لي بالظنِّ الجميل بلُطفِ مَنْ ... هُوَ لم يزل حالي الضعيفة يَعْلَمُ
أرجُو مواهبَه على يدِ عبده الـ ... ـوَهَّاب قاض بالشَّريعة يحكُمُ
في عَدْلِ عُمَرٍ وفي أحْكامِه ... حَقًّا شُرَيْح وهو منه أعْلَمُ
وإياسُ عند ذكائِه متبلِّدٌ ... والحِلْمُ أحْنَفُ عنده مُتَحَلِّمُ
ذو عِفَّةٍ ونزاهةٍ وزَهَادَةٍ ... زُهْدُ ابن أدهم عندها مُتَوَهَّمُ
قاضٍ قضى بالحقِّ بين عباده ... صُلْبُ الديانة دينه عُودُه لا يُعْجَمُ

---

(١) هو عبد الوهاب بن عبد الرحمن الحنفي القاضي، تاج الدين المعروف بالتاجي، أحد كبراء دمشق وكان له في وقته شهامة وحرمة وسخاء، تفقه بالنجم البهنسي الخطيب، وأخذ عن البدر الغزي، وكان جيد المشاركة في الفقه، توفى سنة ١٠٢٠ هـ.
انظر خلاصة الأثر ١٠٣/٣

لا يخشى في الله لَوْمــة لائمٍ | أبـداً ولو كثُرتْ عليـه اللُّومُ
لما رُئِي كالطَّودِ أعْـدَلَ حـاكمٍ | يقتــــصُّ للمظلومِ مِمَّن يَظْلِمُ
بدمشق زال الظُّلْمُ عن أرْجَائها | وغَـــدَتْ كجنَّــاتٍ بهـا يَتَنَعَّمُ
نصبتْ سُرَادقَ عَـدْلٍ فيها يَدٌ | لجراحِ ظُلْمِ القوم فيها مَرْهَمُ
وسَرَتْ سير الشمس سِيرةُ عَدْله | فيهــا ونُورُ الحــقِّ لا يتكتّمُ
أضحـى غوثُ الأنـام وغيثهم | في أزمـةٍ فيهـا الغنِيُّ المُقْـدمُ
فاسْمع كراماتٍ له من بَعْضِها | إن كنـتَ مِمَّن في الحقيقة يَفْهَمُ
لمـا أراد السَّير عنهـا راحـلاً | يَنْحو «بُرُوسًا» قام فيها مَأْتَمُ
وأتـى الخلائقُ يُهْرعُون لبابـه | مـا بـين باك والحشا يتضرَّمُ
يبكُون لمـــا أن رأوه بأدْمُـعٍ | تجري عـلى الخدَّيْن أكثَرُهـا دَمُ
وقـد اعتلى من آل دلْدُل بَغْلةً[1] | إن تَسْرِ قَصّر عن سُرَاها الأنْجُمُ
وقفـتْ به فإذا خطَتْ أو قاربت | عَلِقَـتْ بهـا كَفٌّ هناك ومِعْصَمُ
يتمسَّحون بِعُذْرِهـا[2] وزمَامِهـا | فكأنهـــا رَكْنُ الحَطِيم وزَمْزَمُ
أو مِن سلالـة شَدْقَمٍ طافتْ به | أولادُ ضَبَّـــة والقَنَــا يتحطَّمُ
بينــــا تَرَاهُمْ يجـــأرُونَ لربِّهم | في عَونِـهِ ورجَاؤُهم أن يُرْحَمُوا
وعلا الضجيجُ فأذكرتْ ضوضاؤهم | جمعَ الحجيـج وقـد حماه الموسم
جاء البريـدُ وفي يديـه رسالـةٌ | بِقَرارِ مَنصِبِــه وأمْرٌ مُحكَــمُ
فتباشر الأقوامُ عنـــد قدومـه | وكـــأنَّ عِيدَهُم تـــلاهُ الموسِمُ

---

(١) دلدل: هو اسم بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كان قد أهداها المقوقس (حاكم مصر) إليه.

(٢) العذر: عرف الفرس.

وَوَفَوْا نُذُورَهُم وأَصْبَح ناطقاً كُـلٌّ بشكر ليس يَحْصُرُه فَمُ
تلك الكرامة يا لها فخراً غدا بالتِّبر في صفحاتِ دَهْرٍ تُرْقَمُ
خَصَّ الإلهُ بها جنابَكَ سَيِّدي كرماً وربُّك يا وَلِيُّ الأكرمُ
أبقاك رَبُّ العرش وَهّابَ العطَا دَفّاع ظلم الناس حيثُ تَظلَّموا
في بلدةِ الشام التي هي جَنّةٌ بك ما أقمتَ وإن تَسِر فَجَهَنَّمُ
هذا وشهرُ الصوم جاءك قادماً بتحية المولى عليك يُسَلِّمُ
صُنْهُ بأوفر نعمةٍ دَوْريَّةٍ لا تَنْقضي أبداً ولا تَنصَرِمُ
وبلغتَ عيداً بالمسرة عائداً يقتادُه سَعْدٌ وآخر يَخْدُمُ

القاضي عبد الوهاب يدفع ظلم الوالي

ومما كتبتُ ثانياً فيه، وقد ابتُلِيَت الشام في زمانه بحاكمٍ سفيه، لا حمية له في الدين ولا يُحامي، يُعرف بأحمد باشا الحَرامي، فاسد السيرة، خبيث السريرة، لم يزل في مُعارضَة الأحكام الشرعية، يخترعُ كُلَّ يوم مظالم للرعيَّة، والقاضي يدافعُ عن أهل البلد الظلم مُدافقة الحريم، ولا يمكِّنُ الظَّلَمَةَ من أخذ غَرِيم، وكان بدمشق قاضٍ يقسِّم المواريث بين الأنام، يعرف عند العامة بالقَسَّام، أحضره مجلسه، وأمر بسماع ما لم يُؤمر بسماعه وأجلسه، وقتل مُسْلماً يقول رَبِّي الله، بحكم ذلك القاضي، ولم يَخْشَ غَضَب الإله، فأعقبه العزلُ من فوره، وارتاحت دمشق من جَوْره، فعُدَّ ذلك كرامةً ثانيةً لقاضيها، فقلتُ مؤرخاً للقضية فيها قولي:

إنّ عبدَ الوهاب قاضِي القُضاةِ يَتَّقِيه واللهِ حَقَّ التُّقاتِ
خوفٌ يوم تُلَقّى به كلَّ نفسٍ حاضراً ما جَنَتْهُ من سَيِّئاتِ

ما لها فيه من شفيع مطاعٍ ... غير ماقدّمته من حَسَنَاتِ
فلهذا أقام بالشام عَدْلاً ... عُمَرِيّاً أحْيَاه بعد مماتِ
قد ذكرنا به زَمَاناً تَقَضّى ... لابن عبد العزيز ذي المنقباتِ
إذ جَلاَ الظُّلْمَ عن دمشق برأي ... مُسْتَنِيرٍ سَنَاه كالنيِّراتِ
سارَ في الخافِقَيْن كالشَّمْسِ عَدْلٌ ... منه يَسْري الرياح في الفَلَوَاتِ
فالرعايا غَدَتْ به في أمانٍ ... ليس تَخْشَى مادام ظلماً يُواتِي
هكذا لم يزلْ ومازال حتى ... كاد يصميه ظُلْمُ شَرِّ الوُلاَةِ
ظالمٌ يستحلُّ مال البرايا ... ويرى أكله من القُرُبَاتِ
ملحدُ الاعتقاد يقتلُ نفساً ... ذات صوم ومَنْسك وصَلاَةِ
بشهودِ زُورٍ وحاكمٍ جَوْرٍ ... جَارَ في حكمه رَجَاء صِلاَتِ
وَيْحهم من عَذَابِ يوم أليمٍ ... ليس فيه لظالمٍ من نَجاةِ
ولعل الإله يجزي بفعل ... مثله في الحياة قبل المماتِ
سَأَلِ اللهَ رفعهُ فاسْتُجيبتْ ... دعوةٌ من خوارق العاداتِ
فأتاهُ عَزْلٌ قضى القوم منه ... بكراماتِ عِلْم قاضي القُضَاةِ
وعلا الخلق عند ذاك دُعاءٌ ... ونَحِيبٌ يمتدُّ بالزَفَرَاتِ
وقَضَوْا أن هذه دُونها تلـ ... ـك وكلٌّ عندي من البَاهِرَاتِ
ربٌّ أيِّدْهُ من علاك بنصرٍ ... وأدِمْه في الشام قامي الطُّغَاةِ(١)
جئتُ أعتابه الشَّريفة أشكو ... حَصْرَ دهر وأزْمة الأزَمَاتِ
لم تَدَعْ لي نُيُوبها العُصْلِ إلاّ ... مُنْحَتاً في هيئة الزَّاهِيَاتِ
فَتَلافى ذِهَابَه بِهِبَاتٍ ... من أيادٍ غُرٍّ ذواتِ هِبَاتِ
دُمْتَ جَمَّ العطاءِ وَهَّابَ فَضْلٍ ... بَاهِرَ المنقباتِ والمكرماتِ

---

(١) قامي الطغاة: مذلها.

ومما قاله في مدح الأياشي حين تولى قضاء دمشق

ومما كُلِّفت لنظمه وأُلجِئت لإثباته ورقمه، وأنا بدمشق الشام، حمى اللهُ حماها عن سِفلَةِ الحُكّام، عام سبع بعد الألف، لقاضيها أحمد الشهير بالأياشي[1]، لابرح ما أسره بين الأنام فاشي، على لسان بعض النُّواب من سُكّان دِمشق الحمية، ليجلِسَ في محاكمها العَليّة، قولي:

كيف أخشَى بالشَّام أمرَ مَعَاشي ... ومـلاذي بهـا جَنابُ الإيَاشِي
أفضلُ القوم من سَمَا للمعالي ... واعتـلَاها طِفلاً وكَهْلاً ونَاشِي
فهو بَـدْرُ العلوم صَـدْرُ الموالي ... مَن سَمَاهُمُ فضلاً ولستُ أحَاشِي
خيرُ قاضٍ رَبُّ البرية راضٍ ... عنـه إذْ صَان شَرْعَهُ عن تلاشِي
أمرُه الحزم في القضيـة ماضٍ ... وسِوَاه في حكمــــه مُتَلَاشِي
عَـدْلُ أحْكَامـه وفَضْـلُ عُـلاه ... أصْبحـا في دمشق كـلٌّ فاشِي
ساق عَـدْلاً بالشام حتى شَهدنا ... مَشْيَ ذئبِ الفَلَاةِ بين المَواشِي
والقَطَامِيُّ والقطــاةُ جيعــاً ... وَسْط روضٍ بانا كزَوْجي فَرَاشِ
فإذا الصبحُ لاح شَارَفَ مَربَى ... يتحامــى أسْرَابَهــا ويُحَاشِي

---

(١) هو قاضي القضاة أحمد بن سليمان الأباشي، قاضي حلب ثم قاضي دمشق، ورد إلى دمشق سنة سبع بعد الألف قاضياً بها خلفاً عن القاضي عبد الوهاب ومدحه المؤلف أول ولايته بالقصيدة التالية ثم لم تحمد سيرته ويقول البوريني: لا سيا وكان سابقه في غاية الاستقامة، فورد هذا بعده في غاية السقامة؛ ولقد اشتهر في أيامه أكل الرشا، وظهر التزوير وفشا، فلزم أن العوام رجمته عند خندق القلعة بين سوق الأروام وأفحشوا في رجمه.

وقد هجاه الشيخ درويش - يعني المؤلف - بقصيدة طويلة سماها «رفع الغواشي: عن ظلم الأباشي». وقد قسمها فصولاً وجعل كل فصل في حال من أحواله.

تراجم الأعيان ١/٨٥ - ٨٧، وسوف يذكر المؤلف ذلك بنفسه فيما يلي.

وكـذا كـان بالعواصم حَتّى ... سار عنهـا فغُشِّيَـتْ بِغَوَاشِي
فأتى الشام ناشِرَ العَدْل فيها ... وعليـه الوقـارُ خَيْرُ رِيـاشِ
فازْدَهى رَبْعُها وقد حلَّ فيها ... روضُ فضـلٍ أنارَ غِبَّ رِشاشِ
يـا لهـا من مَعَالِمٍ ورُسومٍ ... رَقَّ فيها الهوى ورَقَّتْ حواشِي
ذكرتنا حُسَّانةُ الجِيد فيها ... عَهْدَ لمياءِ من ظِبَاءِ الهِرَاشِ
من سُلَيْمى وزينب ورَبَابٍ ... وظَلُوم وفَرْتَنَا ورَقَاشِ
كـلُّ خُمصانـةٍ عليها وِشَاحٌ ... من نسيم الصَّبا رقيقُ الحواشِي
أين عهدي بهنَّ لا أين عهدي ... حيث أخلُو بهنّ من غير واشي
والهوى قائدي إلى حيث يَهْوَى ... وعيونُ الوُشاة عنّا غَواشي
حـلَّ فيها فانحطَّ نَجْمُ الثريا ... عن عُلاهُ والأفْقُ بالليل غاشِي
سؤدد باهرٌ وعِلم وحِلم ... وعَفافٌ في ضمنِه ثبتُ جَاشِ
وسجايا مثل الرياض سقَتْها ... مسقط العُفْر دَرُّهنّ النَّواشي
وأيـادٍ تَهْمِي كسُحْبٍ غوادٍ ... تقتلُ الجوع مُرْوياتِ العِطَاشِ
رَشحـةٌ من زُلاَلها الغَمْر يكفي ... سَبَبَاً لانتظام أمرِ المَعَاشِ
فلعلَّ الفقير مولاي يَحْظَى ... من جَدَاها بقَطْرةٍ من رَشَاشِ
دُمْتَ جم العطا ضافي ظِلٍّ ... صافِيَ العَيْش في هَنَا وانتعاشِ
ما اسْتَقى الكفُّ من قَلِيبِ زُجاج ... ذَوْبُ تِبْرٍ بـه لمدحك نَاشِ
ويحيِّي بيتَكَ الحرامَ مُلَبٍّ ... وغَشَى ضَوْءَ نارِ جُودِك غاشِي

ولما أن غَشِي[1] في مَعالم دِمَشق وحِمَاها، صانها اللهُ عن مثله وحماها، سُئلت من أعيانها الفُضلاء، وطُلاَّبها الأدبا، عمل شيء على لسانها، وإبانة

(١) غشي: أظلم، وفيه استعارة تصريحية باستعارة الإظلام للظلم.

سَمْتِه[1] من عنوانها، فنظمتُ قصيدةً فَصَّلتُ فيها أحواله ووقائعه، وما جرى له في ثلاثة وعشرين فصلاً، ولم أذكر في هذا المجموع، سوى فصلين مفتتحها وختامها لخساسة الموضوع، وسميتها «برفع الغواشي، عن ظلم الأياشي»، وهي عند أُدَباء دمشق مَشهورة، وفي دَفاترهم مَسْطُورة.

فَصْل في شِكَاية حالها، وحِكَاية مَقالها

الشَّامُ تبكي بدُمُوعٍ غِزارْ ... بُكَاء ثَكْلَى مَا لَها مِن قَرَارْ
بكـــاءَ مظلومٍ لـــه نَاصِرٌ ... لكنْ بَعِيـد الدَّارِ والخَصْم جَارْ
في عـام سَبْعٍ بعد ألف مَضَتْ ... من هجرة المختـارِ زاكي النّجار
حَـلَّ بهـا قـاضٍ عـلى جَهْلِهِ ... أظْلَم من قاضي سَدُوم الحِمارْ[2]
ليس لـــه دينٌ ولا مَذْهَـــبٌ ... إلاَّ الرِّشَا والانتِشا من عُقَـارْ

وآخرُ الفصول في استغاثة أهل الروم، على عزل الجشوم:

فيـا مَوَالي الرُّومِ يا مَنْ بِهم ... تُسْتَكْشَفُ الجُلَّى وتُجْلَى الغِمَارْ[3]
العِلْم والفَضْـــل بأعتابـــكم ... وفيـــكُمُ النَجْـــدَة والإنتصـــارْ

---

(١) السمت: الطريق والمذهب.

(٢) سدوم: كان ملكاً في الزمن الأول جائراً، وله قاض أجور منه، يضرب به المثل فيقال: أجور من قاضي سدوم.
انظر ثمار القلوب ٨٣.
وفي مجمع الأمثال ١/١٩٠، قال: سدوم مدينة من مدائن قوم لوط عليه الصلاة والسلام، ثم ساق المثل، قال: وقال الطبري: هو ملك من بقايا اليونانية غشوم، كان بمدينة سرمين بمدينة قنسرين.

(٣) الغمار: الشدائد والمكارة.

قولوا لصنع الله ركنِ الهُدَى	بحرِ الندى والعِلْم طَودِ الوَقَارْ
العَالم العَامِل مَنْ رَأيُهُ	في ليل هذا الخطب صُبْحٌ أنَارْ
مُفْتي الفريقين إمام التقى	شيخ الأصوليِّن الرفيع المنارْ
حامي حِمَى الشَّرْعِ بِسم القنا	لها كفِعْل البِيضِ ذاتِ الغرارْ[1]
يُعَرِّفِ السُّلْطانَ مولى الورى	غَوْثُ ملوكِ الأرضِ قُطْبَ المَدَارْ
ظِلّ إله العَرْشِ من دوَّختْ	سَطْوَتُه قَهْراً مُلُوكَ المَجَارْ
مُحمداً أعدلَ مَلِكٍ سَمَا	من آل عُثمان حُماةِ الذِّمَارْ
أحوالَ قاضٍ إن يدُمْ نَصْبُه	بالشام يوماً فالفَرَارَ الفَرَارْ
عسى وَلِيُّ الأمر سلطاننا	يأمُرُ عُقْبى عزله بالدَّمَارْ
فإن تقليدَ القضَا جاهلاً	فيه على الدولة إثْمٌ وعَارْ
لازال قاضي السُّوءِ من فِعْلِهِ	دَائِرَةُ السَّوْءِ عليه تُدَارْ
وفوق هذا غَضَبُ الله ما	أقبل لَيْلٌ وتَوَلَّى نَهارْ
وكان للظَّالِمِ يوم الجَزَا	جَهَنَّم مَثْوىً وبئس القرارْ

ولما أن رُجِم بالحجارة، وجاءه العَزْلُ غَارَةً، فارق حِمَاه رغماً، فأرَّخت ذلك نظماً.

رُجِم الإيَاشي في دِمَشق وجاءه	عَزْلٌ فصار العِيدُ عيداً أكبرا
وسُئِلت عن تاريخه فأجَبْتُهم	بالعَزْلِ شيطانٌ رجيمٌ دُمِّرا[2]

وشكا يوماً لبعض أكابر دمشق قلَّةِ محصولها، وأسند إلى نوابه عدم محصولها، فقلت:

---

(١) البيض: السيوف، والغرار: حدها.

(٢) ومجموع الحروف في هذه الشطرة بحساب الجمل هو ١٠٠٨ وهي سنة العزل.

قل لقاضي القضاة أعني الإياشي عقلُ مولاي ليس عَقْلُ مَعَاشِ
تَشتَكي قِلَّةَ المحاصيل مِمَّنْ أنت فَوَّضْتها إلى الأَوْباشِ
أنت صيَّرْتها برأيك نُهْبَى بين رَنْدٍ ومَزْدَكٍ قَلاَّشِ

وفي نائبه قلت مسئولاً:

نائب القاضي الإياشي عَقْلُهُ عقلُ معَاشِ
يرتشِي قاضيهِ لكنْ هو لا يصغي لراشِ
هكذا قيلَ وعِندي ما أصيلٌ مثلُ نَاشِ
سماهُ سَمَا الجَدِّ خير البرايا نَمَا فَرْعُهُ في لُؤَيٍّ بن غالب
سَمَا في سماء العُلا بَدْرَ تمٍّ أنار الدَّيَاجي وأفنى الغيَاهب
له في بني العم أبناءُ هاشم وآل العَبا الطُّهْر ازكى مناقب
له الحمدُ والمدح من كلِّ جاحد فكيف الموالي فما ثَمّ عائِب
نمته جدودٌ لنحو المَعَالي يحلُّون منها الذُّرى والغوَارِب
كرامٌ على الله لولا عُلاَهُمْ لما ذرَّ شارقٌ ولا لاح غارب
هُمُ مهبِط الوحي والناس طُرًّا تُصَلِّي عليهم وَليٌّ ونَاصِب
بهم يَرحم الله هذا البَرايا بهم يغفرُ اللهُ مِن ذنب تائب
سَلِ البيتَ عنهمُ وركني لآلِ وأعلامَ جمعٍ مناخَ الركائب
وبَطْحَاءِ وَادِي مِنًى تَنْتَحِيهِ خِفَافُ المطايا بِطَيِّ السَّبَاسِب
تُخَبِّرك عنهمْ بأشياءَ تَقْضِي إذا ما رَأَتُها النُّهَى بالعَجَائِب
عليهم سَلاَمٌ الله يَتْرى
مَدَى الدَّهر ما حجَّ للبيتِ رَاكِب
وما لاح نَجْمٌ رَعَتْه سُحَيْراً غزالاتُ صُبحٍ بأفْقِ المغارب
بني الوحيِ أنتم نَجَاةُ البرايا من النار يَصلى إذا اليوم عاصِب

وَلَائِي لكم في سُوَيْدا ضميري   وحُبّي لكم في الحَشَا والتَّرَائِب
ولا مثلُ حُبّي شريفاً نَمَتْه   إليكم جُدودٌ سَمَتْ بالمناقِب
شريفٌ شريفُ المحيَّا إليه   سَنَا الوحي كالشمس من غير حَاجِب
أميرُ المعالي دَعَتْه عليها   سَجَايا كروضٍ سَقَتْه السَّحَائِب
وزيرٌ جليلٌ له الأمرُ يُجرِي   من الله فينا جميلَ العَوَاقب
متى سار في ليلِ جَيْش بليلٍ   يُضِيءُ الكواكب ينيرُ المواكب
وَلِي الشَّامَ جَمَّ العطايا شريفاً
كريم السجايا جَمِيم المواهب
وقد عَمَّ ظلمٌ دَجَى سَاحَتَيْها   كما عَمَّ أطرافَها والجوانب
فأجْلَاه عنها بأنوار عَدْلٍ   أضاءتْ كمثل النجوم الثواقب
فيا سَيِّد العَصْرِ يا مَنْ رأينا   بأعتابِهِ الفضلَ مُرْخِي الذَّوَائِب
لقد جئتُ أشكُوكَ دهراً خئوناً   رَمَاني بِسَهْمٍ من البين صَائِب
فَسَمْعاً لعبدٍ على بابِ مَوْلَاهُ   يبكي بدمع على الخَدِّ سَاكِب
رأى نظم سَلْمانَ فاختار منه   وفي النظم قولٌ لحالٍ مُنَاسَب
وقد قيل سَلْمانُ مِنَّا لهذا   أتَيْنَا به في قوافٍ تُنَاسِب
وبالطُّهر منهم وهم آلُ بيتٍ   سَما قدرُهم فيه هَامَ الكواكب
وما جاء في (هَلْ أتى)[1] عن فَتَاهُمْ   إمَامِ العجائب هُمَامِ الغَرَائب
تَلَفَّتْ لدرويش مَوْلاك حَقًّا   أمَا رَعْيُ مَوْلًى مواليه واجِب

---

(١) يعني بهذا سورة الإنسان أو الدهر وأولها: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً). وقد ورد فيها ذكر علي رضي الله تعالى عنه وأسرته في التصدق بطعام إفطارهم على من مرّ ببابهم، وذلك في قوله تعالى: (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً).

غَدا طالب الرُّوم من أجل دَرْسِ ولا مـالَ يُفْضِي لما راح طالب
فبلغـــه مولاي أقصى منـــاه فـلا زال تُقْضَى لديـك المآرب
مَدَى الدهر ما طافَ تلك المشاهد ولِيٌّ بها نـالَ أسْمَـى المَوَاهِـب

ولم يزل مدة إقامته بدمشق المحميّة، والديار الشامية، يتعاهد مَعَاهِد أهل البيت، ويُحيي من دارسِ معالمها كُلَّ مَيْت، لا يقصدُ من ذلك إلا المودة في القربى، ولا يسأل عليه أجراً من العُقْبى، فمن ذلك تعمير المسجد بقرية راوية خارج دمشق، يُعرف بقبر السِّتْ، وهي السَّيدة زينب الكبرى بنت السيدة فاطمة الزهراء مجدِّداً سِرّ ضريحها، وذلك عام تسع وألف، فسئلت عمل أبْيَاتٍ تكتب بطراز سقف المسجد، فقلت:

بِروايـةَ قَبْرٌ به زينبُ الكُبْرى أَلَا وهْي حَقًّا بنتُ فاطمةَ الزَّهْرا
وبنـتُ ابن عَمِّ المصطفى ووصيِّه ومن (هل أَتَى) في مدحه نَزَلَتْ ذكرَا
كساه النَّسيـجَ الأصْفَهانيَّ حُلَّـةً مطرَّزةً بالتِّـــبر قانيـــة حَمْرا
شريـفُ المعـالي من سلالة أحمد نَبِيٍّ الورى المختار أعلى الورى قدرا
ووسّع للزوَّار مسجدهـا الـذي تلونـا بمحراب له الآية الكبرى
وأجرى به الماءَ الزُّلال وقَصْدُهُ الـ مودةِ في قُربـاه لا سَائِلًا أجْرَا
يروِّي عِطَـاشَ الزائرين فتَنْثني ولا مهجةٌ عَطْشى ولا كَبِدٌ حَرَّى
وذلـك في إحدى الرَّبيعين عَامَهُ إذا عُدَّ تسعٌ بعد ألف مضت هِجْرا
بعصر مليكِ الخافقين الذي سَمَتْ بـه آلُ عثمانٍ ملوكُ الوَرَى طُرًّا
محمـــد ظِــلَّ الله مَنْ عزَمَاتُـــهُ
إذا مـا انتضى قد قَدت البيض والسُّمْرا
وكم للشريـف المُوسَوِيِّ بعصره مآثرُ لا تُحصى ولاَ تبلُغ الحَصْرا
حَبـاه بهـا مَوْلاه ذِكراً مُخلَـداً على صفحاتِ الدَّهْرِ أسْطرُهُ تُقْرَا

إليك شريفَ القَدْر جاءتْ حديقةٌ سَقتْها مياهُ الطَبْع سَاجِلة العُفْرا

لها رَونَقُ الشَّمس المنيرة في الضُّحَى عيونٌ قَوافِي الشِّعرعن دَرْكها حَسْرَى

عليها من المَدْح الشريفيِّ جَوهرٌ وقد قُلِّدتْ منه التَّرائب والنَّحْرا

نظاماً بديعاً طالويًّا نِجَارُهُ مديحُك فيه يُخْجِل الزُّهْر والزَّهْرا

بقيتَ لآل البيت تكسُو قبورهم جلابيبَ وحي اللهِ ما طَلَع الشِّعْرى

وقلت في كُسْوتها:

ثوبٌ كساه الشَّريفُ مُذْهَبُ ضَريحَ بنت الزَّهراءِ زَيْنَبُ

في عامِ تسعٍ من بعد ألفٍ مَوَدَّةً والقريبُ أقربُ

وفي ذلك قلت أيضاً:

كَسا السيِّد الوَشْيَ الحرير مُذَهَّبا ضَريحَ ابنة الزهراءِ أعْنِي زَيْنَبَا

ووسَّع من أقطارِ مسجدها الذي بها كادَ يَسْمُو مسجد الخيف أوقبَا

وفي عام تسعٍ بعد ألفٍ أتَمَّهُ وداداً لذي القُرْبى وقد كان أقربا

ولما اقتضى الأمر المطاع، خُروجه من معسكر الشام إلى البقاع، استصحب معه من دمشق الأمير محمد المَنجكي اليوسفي[1]، والمولى محمد

---

(١) هو محمد بن منجك بن أبي بكر بن عبد القادر بن منجك الكبير اليوسفي، كان أميراً جليل القدر سامي الهضبة كبير الشأن، إلا أنه تغالى في الكبر، وكان كثير الذم للناس كثير الإيقاع بهم وأذيتهم حتى خافه الناس وكبرت دولته ومدحه الشعراء، سلك طريق العسكر فأصبح زعيم الجيش الشامي ثم متولياً على عمل السلطان سليمان بالميدان الأخضر وصار بعدها أميراً، وتولى إمرة الرقة والرها. توفي عام ١٠١٢ هـ.

انظر خلاصة الأثر ٢٢٩/٤ - ٢٣١؛ وانظر القصيدة التالية في تراجم الأعيان ٤١٩/٢ وريحانة الألبا ٦٣/١.

أمين السّابقي، كتبتُ صدر مُكاتبة إليها بفسطاطِ مُخيّمِهِ الشّريف، ليقوما عنّي بذلك المقام المنيف، وأداء العبوديّة، في تلك السُّدّة الشريفةِ الشّرِيفيّة، قولي:

بـــالله يـــا نَشْرَ العَبيـ	ـرِ سَرَى بروْضَـاتِ الغَرِيِّ[1]
طـاف المشاهـدَ وانثنـى	نَشْوَان من كـأسٍ رَوِيِّ
ينحو بأعْلَـى الكرخ دَا	راً جَادَهَـا عَهْـدُ الوَلِّي
وأقـام بالزوراءِ مِنْـ	ـهَـا في رِيـاضِ الحائِرِيِّ
إن جُزْتَ من أرض العرا	ق عـلى المناظِر في مُضِيِّ
وأتيـتَ رَبْـع الشَّام مُجْـ	ـتَـازَ الفُرَاتِ إلى ثُـدَيِّ[2]
وشَهِـدتَ من عُلْيـا البقـا	عِ مَنَـازِلاً لِكرَام حَيِّ
نَزَلوا بـه فَسَمَـا بهم	وادي القُرَى ودِيَـار ميِّ
ولقيـتَ من لُبْنَـان أر	واحَ النسيم العَنْبَرِيِّ
تذكيـه فاغمـة الرّيَـا	ض بمنزلِ الشِّحْرِ الذَّكِيِّ
قـل للأمـير بن الأميـ	ـرِ ابْن الأمـير المنجكِيِّ
مُعْـلي المعـالي والعَوَالي	في الوَغَـى مُرْدِي الكمِيِّ
مُحْيِـى مكـارِمِ جَـدِّهِ الْـ	أعْلَـى الكبـيرِ اليُوسُفِيِّ
متفَضِّـــلاً يُقْرِي السَّلَا	مَ كَخُلْقِـهِ الزّاكي البَهِيِّ

(١) الغري. البناء الجيد، ونصب كانت تذبح عليه العشائر بالكوفة، بالقرب من ضريح الإمام علي رضي الله عنه، وهو المقصود هنا، وفي تراجم الأعيان: سيرى بدل سري.

(٢) الثدي: تصغير الثدي، وهو موضع بالشام، وقد ذكره جيل في شعر له، وهو قوله:

تحملن من مـاء الثـدي كأنما   تحملن من مرمى ثقـال سفـين

معجم البلدان ١/٩٣٠.

عَنّي جنـــابَ أخِي الوِدَا	دِ الأبْهَريِّ الدّفْـــــتريّ
أعــــني محمــــداً الأميـ	ـنَ نَصِـــير أنصــار النَّبيّ
سَبَّـــاقَ غايـــاتِ العُـــلا	ركنَ المعـــــالي السَّابِقيّ
من معشر سَبَقُوا إلى الْـ	ـخَيْرات بالنَّـــــصِّ الجَليّ
يـــا صاحـــبيَّ وُقِيتُما	شَرّاً[1] حَسُودَكُما الغَوِيّ
وحَباكما[2] عَصْرُ الشَبـــا	بِ نشاطَـــه من غـــير غَيّ
إن جئـــتما لمخـــيِّمِ الْـ	ـمَوْلى الشَّريـــفِ المُوسَوِيّ
ووقفتُما بُسرَادِقِ	حَـــازَ السِّيَـــادة من قُصَيّ
فتحمَّـــــــلا مِنّي السَّلَا	مَ كمِسْكِ دَارِين الزَّكيّ
لجنــــاب مولانـــا الوَزيـ	ـرِ وَليِّ مولانــــا عــــليّ
وابن الأئمة من قُرَيْـ	ـشٍ وفي ذُرَى الشَّرَف العَليّ
فهو الشَّريــــف بن الشريـ	ـف ابن الشَّريــــف الهَاشِمِيّ
ثم اذكُرَا مِنْ حَــــالِ مو	لاهُ المحـــــــبِّ الطَّالَويّ
جُمَـــلا فما تَفصيـــل حـــا	ل العَبْـــــدِ عَنْـــه بالخَفِيّ
ذَكَرَتكُما الأنواءُ ذكْـ	ـرى بالغَـــــداةِ وبالعَشِيّ
وبَقِيتُما في ظـــــــلِّ عَيْـ	ـنٍ وَارِفِ النُّعْمَـــــى سَنِيّ

(١) في تراجم الأعيان: شرى.

(٢) في تراجم الأعيان: وهباكما.

قوله، وقد اغتصب منه أمير صيدا غلاماً[1]

ولما أن هلَّ جمادى الآخرة، أعملتُ ركائب سيري من دمشق المحمية، نحو الديار الرومية، واخترتُ المسير من طريق اليَمّ، لأمرٍ دعا إلى ذلك وأهمَّ، فاجتزتُ بثغر صَيْدا، فكاد لي أميرُها ذلك الفاجرُ كَيْدا[2]، واغتصب مني غُلاماً كان عندي كأحدَ وَلَدِي، فكتبتُ إلى حضرة الشريف وهو بالشام صدر مكاتبة أذكر فيها قِصَّة الغُلام، واخترتُ ديباجة الأبيات المتقدمة، وجعلتها لهذا العنوان مقدمة:

بـــــاللهِ يـــــا نَشْرَ العَبِيـ ... ـرِ سَرَى بَرَوْضَـــاتِ الغَرِيِّ
طـــاف المَشاهــد وانْثَنَـــى ... نَشْوَان من كـــــأسٍ رَوِيّ
وأقـــــام بالزَّوْراء منـ ... ـهـــا في ريـــاضِ الحائِرِيّ
مُتَنَزَّلُ الآيِ الكريـ ... ـمــة مَهْبِـطَ الوَحْي السَّنِيّ
إن جئـــتَ رَبْــع الشام فاقْـ ... ـصِـــدْ سَاحَـــة الشَّرَفِ العَلِيّ
أعـــني الشَّريـــفَ بن الشَّريـ ... ـفِ ابن الشريـــف المُوسَوِيّ
متحمِّــــــــلا منِّي السَّلا ... م كمِسك دَارِين الزَّكي
لجنـــاب مولانـــا الوزيـ ... ـر وَلِيّ مولانـــا عـــــلِيّ
ثم اشْرَحَنْ من حَـــال مَوْ ... لاه المُحِـــــبّ الطَّالَوِيْ
مــــاذا لَقِي في ثَغْر صَيْـ ... ـدَا من دُرُوزِيٍّ غَوِيّ

---

(١) ذكر الخفاجي هذه القصة في ترجمة الطالوي من كتابه ريحانة الألباء ٦٣/١ أبيات القصيدة التالية.

(٢) هو فخر الدين بن قرقماس بن معن الدرزي، حاكم صيدا.

انظر خلاصة الأثر ٣/ ٢٦٦، وسوف يذكره المؤلف في قصيدة تالية.

دينُ التناسُخِ دِينُـــــه   لا بــل يَــدِينُ بكــلِّ غيٍّ
ويرى الطَّبائِـــعَ أنَّهـــا   فَعَّالـــةٌ في كـــلِّ شيٍّ
وافى بمكتوبِ الشَّريـ   ـفِ إليـــه من بَلَـــدٍ قَصِيِّ
يُوصيـــــه فيـــه كأنَّما   أوصـــاه في أخْـــذ الصَّبِيِّ
فسَقَـــاه يوم فِرَاقِـــه.   لا كـــانَ بالكـــأسِ الرَّوِيِّ
وغَـــدَا الحشا من بُعْـــده   يَصْلَـــى عـــلى الجَمْر الذَّكِيِّ[1]
والعـــينُ بعـــد بِعَـــادِه   تبكِي بَدَمْـــــع عَنْدَمِيِّ
في غُرْبـــــة لا يَشْتكي   فيهـــا إلى خـــلٍّ وَفِيٍّ
لا جَـــار يَحْميـــه ولا   يَـــأوى إلى رُكْنٍ قَوِيِّ
إلّا إلى ركن الشريـ   ـف الطَّاهر الشَّمَ الزكيِّ
حامي حِمَـــى الشّام الشريـ   ـف بكـلِّ ابيضَ مِخْذِ ميِّ[2]
مولاي سُمعـــا إن لي   حقـــاً عليـــك بغـــير ليِّ
بولاء حَيْـــــدرة الوَصِيِّ   أخـــي النَّبِـــيِّ الهاشمي
لا تهملنْ في أخْـــذِ ثـــأري   من كَفُور بالنَّـــــــبيِّ
وأبعـــثْ إليـــه مَقَانِبـــاً   فيهـــا الكَمِيِّ عـــلى الكَمِيِّ[3]
لو حَارَبَـــتْ جُنْـــد القضـــا   ء ثَنَـــتْ سُرَاه عن مُضِيِّ

---

(١) الجمر الذكي: الملتهب.

(٢) المخذمي: السيف القاطع، واسم لسيف الحارث بن أبي شمر الغساني، وفي الريحانة: الشرع بدل الشام.

(٣) المقانب: جمع مقنب (بكسر الميم) وهو جماعة من الفرسان والخيل دون المائة تجتمع للغارة، والكمي: لابس السلاح، أو الشجاع المقدام الجريء كان عليه سلاح أم لم يكن.

جرّافـــــة لم تُبْـــقِ في أطْلالـــــه غَـــير النُّؤيّ[1]
وأشَيْعِـــثِ يَنْعي الدِّيـــا رِ مَـعَ ابنِ دَايَـةَ في النَّعِيّ[2]

ومما كتبتُ إليه قبل قصة الغلام، في استدعاء بعض المرام، قولي:

قُـلْ لَمجْرى الجِيَاد قُبَّ البُطُون[3] وأمـــيرِ البـــلاد فَخْرِ الـــدِّينِ
من حَمـى مَجْدَ جَدِّهِ مَعْنٍ قِدْما بِـذوات الفرنـدْ رُقْشِ المنونِ
تحسب المِسْك صائكـاً ما عَلَاها[4] من دِمَـا الهَامِ أو دِمَاء الوَتِينِ
سِيَّما يومُ دِجْلَـــة البُرْج لَمَّـــا شَامَ منهـا العِدَا بُرُوقَ المَنُون
فهي مثـلُ الكرَى وهَامُ الأعادِي جَفْنُهـا والكَرَى مَحَـلّ الجُفُونِ
سَلَّ منهـا سَيْفاً على نَجْل سِيفَا وعَلَاهُ بصـــــــارم مَسْنُونِ
إذ غَدا القَوْمُ حَوْل إغزير صرعى مُرْهَـفٍ[5] صارمٍ ورُمْحٍ شَطُونِ
فكأن العثيرَ تُرْبُ حَمَامٍ وهو يَنْقَـضُّ فيـه كالشاهِينِ[6]
يتفضل عن ابن حُرفوش مُوسى كَرَمـاً عن حِوالةٍ من ضَنِينِ[7]
قبل أن تَرْسُب المَرَاكِب في البَحْـ ـرِ ويَنْجَاب عنـه سَيْر السَّفِينِ
دامَ فخرُ العُـلا أمـيرُ المَعـالي ولأهـــل العُلُوم خَيْرُ مُعِـــين

---

(١) النؤي: المجرى الذي يحفر حول الخيمة أو الخباء يقيها السيل.
(٢) ابن داية: كنية الغراب؛ والأشعيث تصغير الأشعث وهو الوتد لأنه يشعث إذا دق.
(٣) قبة البطون: القبب ضمور البطن ودقة الخصر.
(٤) صائكاً ما علاها: أي ملتصقاً به.
(٥) مرهف مجرورة بالإضافة، أي هم صرعى مرهف.
(٦) العثير: الغبار، وهو بكسر العين وسكون الثاء وفتح الياء، ولكن من الصعب نطقها هكذا دون أن يختل وزن البيت، ولهذا فهي تنطق عثير بزنة أمير. والشاهين: الصقر.
(٧) يتفضل: فعل مضارع مجزوم لأنه واقع في جواب الأمر الوارد في أول بيت في القصيدة وهو قوله: قل لمجري الجياد أي قل له يتفضل.

ومما كتبتُ بثغر صَيْدا لابن الحَرفوش مُوسى[1]، ذلك الأمير وابن الأمير، وهو يومئذ مالك لأغزير، سكن الأمير يوسف بن سيفا، مشيراً إلى الوقعة التي جرت بينهما وقتل أخيه الأمير علي بن سيفا، وبعثتُ بها إليه صدر مكاتبة وهو بها أواخر جمادى الآخرة، قولي:

يا نَسيمَ الصَّبا ونَشْرَ العَبِيرِ ... شُمَّا سَاحَتيْ حِمَى إغْزِيرِ

وانزِلا سَامِيَ المنازل مِنْها ... بين قَصْرٍ وَرَوْضَةٍ وغَدِير

وارْتعا في رُبُوعها يا سَقاها ... من ودَادِي سَحَابَ غيثٍ مَطِيرِ

واقصدا كَعْبَةَ الفضائل فيها ... هو مُوسى الأميرُ وابن الأميرِ

هو مُبكِي الفَوارسَ والشجعا ... نَ، والبيضُ باسماتُ الثغورِ

قد نمته من آل حرفوشَ غُرٌّ ... مُشْرِقاتُ الوُجوه مثلُ البُدُورِ

من قَوَالٍ سَمَتْ بهم للمعالي ... نُصْرةُ الآلِ وهو خَيْر نَصِير

وأقْرآ زَاكِي السَّلَامَ عَلَيْه ... من مُحَبٍّ بادي الولاء شَهِير

ثم بُثَّا من لَوْعَتِي وَغَرامي ... واشْتياقي ما ليس في مَقْدُورِي

لجنابٍ سَمَا العُلَا بعُلَاه ... يا لَهُ من عُلًا ومَجْدٍ خَطِيرِ

يا أميراً له وَقَائِعُ حَرْبٍ ... علمُها في الصغير قبل الكبير

ذكرُها سَارَ كالنُّجُومِ الدَّرَارِي ... أو كشمس النَّهار عند المسير

هي عِنْدي في يَوْمْ إغزير كانت ... مثل حَرْب الوَصِيِّ رَبِّ الغَدِيرِ[2]

---

(١) سبقت ترجمته، وكان أمير بعلبك، وقد حارب الأمير علي بن سيفا صاحب طرابلس، وقتله بأمر من الوزير محمد باشا السيد الشريف المنفصل عن نيابة مصر، حين كان نائباً بالشام سنة ١٠٠٧ هـ.

انظر خلاصة الأثر ٤/٤٣٢.

(٢) يعني به غدير خم، وهو موضع بين مكة والمدينة بالجحفة، به مسجد رسول الله صلى الله =

يوم صفّين والرماحُ شِراعٌ | من دَم القاسِطين أهلِ الفُجُورِ
أو كيوم بالنَّهْروان(١) عَبُوس | شُدَّ فيه على العِدَا قَمْطَرِيرِ
سَلْ نَواحي بَيْرُوتَ يوم أتَاه | في عشيرٍ كبحره المَسْجُورِ
والنواحي من دِجْلة البُرْج تَصْلَى | بسعير الحروبِ مثلُ السَّعِيرِ
حين ألْقَى له ابنُ سيفا جِهَاراً | سيفَه مُسْلِماً إلى المقدور
لم تَقِه القَضَا قَضَاءُ دُروعٍ | جَالَ في خَصْرِها وشاح القتيرِ
نُثِرتْ كالغَدِير ما نال منها | من وشَيجِ الرمال غير الكَسِير
غير أنَّ الحِمام قد يُدْرِكُ المَرْ | ءَ ولو كان في مشيد القُصُورِ
عَاقَني عن زيارتي لك دَهْرٌ | مثل حَظِّي ما زال في تأْخِيرِ
كلَّما قمتُ أقْعدتْنِيَ فاعجبْ | فيه عن نيلها مَعَالي الأمورِ
دُمْتَ في ظِلٍّ وارفاتِ عَوالٍ | تنهلُ البيضَ من دماء النُّحورِ
غِمدُ أسْيَافِك الصَفائِح هام | من أعَادِيكَ أو صِحَافُ الصُّدُورِ

يكتب من الجزيرة القبرصية إلى دمشق

ومما كتبتُ عام تسع بعد الألف، غرة رجب الفرد من الجزيرة القُبْرصِيّة، إلى الدِّيار الدِّمَشْقِيَّة، صَدْر مكاتبة، قولي:

على ساكني عُلْيا دمشقٍ تحيةً | من المُغْرم المُشْتاق والوَاله الصَّبِّ

= عليه وسلم. وعند هذا الغدير خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخى بينه وبين علي رضي الله عنه.

(١) النهروان: مدينة بين بغداد وواسط، وكان بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع الخوارج. انظر معجم البلدان ٨٤٦/٤.

تحيـةَ مُضنًى فارقَ الدّارَ والهَوَى وحُسَّانَ رَبْعٍ فيه حُسَّانَةُ السِّرْبِ
إذا شامَ بَرْقَ الشَّامِ هَاجَتْ لوعةٌ ومن دونهاطَامي الغَوارب كالشُّهْبِ
رمتْهُ النَّوى وسط الجزيرة والهَوَى إلى منزل بالشام في الجانب الغربي
هي الدَّارلا الجَرْعاءُ من جانب الحمى ولا أثلاث القاع من أيْمُنِ الشِّعْبِ
سَقاها وحَياها الإله معاهداً عِهَادَ دَنُوٍّ العهد موصولة السُّحْبِ
وخَصَّ بها دار الأمير وما حوتْ مَعَالِمُها من ذي لَمَى خَصِرٍ عَذْبِ[١]
أميرُ المعالي المنجكيُّ الذي له حَيَاتِي ونُصْحِي في البعاد وفي القُرْبِ
أحبَّتَنــا بالشَّامِ والدارُ غُرْبَةٌ وصَرْفُ النَّوى لا يُتَّقى منه بالعَضْبِ
أقمتَمْ وسِرنــا والفؤادُ لديكم وما حَالُ جسم في الهوى سَارَ عن قَلْبِ

لقاؤه في طرابلس بالشيخ عبد النافع الحموي

ولما أن عبرت بنا الجواري المُنْشآت في البحر كالأعلام، وألثمتْنا من ثغور تلك السواحل ثغر طرابلس الشام، ألقينا مرائر[٢] الفلك بمرساها، وتلونا عليها بسم الله مَجْرَاهَا ومُرْسَاهاء ألفيتُ بها شيخ العلوم، وإمام المنثور والمنظوم، وقُرَّة عين أصحاب أبي حنيفة، والرَّاقي من مذهبه الذروة المنيفة، الذي بلغ الغاية فيه وهو يافع، مولانا الشيخ عبد النافع، الحموي[٣] بلداً، والأنصاري محتداً، متع الله به قُطْره، كما أحيا به

(١) اللمى: الشجر تكاثف ظله، والخصر: البارد.
(٢) المرائر جمع مرير، وهو ما لطف وطال واشتد فتله من الحبال.
(٣) هو الشيخ عبد النافع بن عمر الحموي، الحنفي، نزيل طرابلس، كان في غاية الذكاء والفطنة، وقد نشأ بحماه، وخدم القاضي محمد بن الأعوج بإقراء أولاده القرآن، فعينه كاتباً =

ذكره، فلم يُخْلنا مدة الإقامة من بدائع فَرَائِده، وروائع فوائده، فمما أنشدنا من حِفْظه للإمام الشافعيِّ رضي الله عنه، وقد جَرَتْ مناسبات جَرَتْ إلى ذلك أوائل ذي الحجة بالحرام عام تسع بعد الألف:

إنّ الذي رُزِق اليَسَار ولم يُصِبْ ... حَمْداً ولا أجْراً لَغَيْرُ مُوَفَّقِ
الجَدُّ يُدْني كلَّ أمرٍ شَاسِعٍ ... والجَدُّ يفتح كلَّ بَاب مُغْلَقِ
وإذا سَمِعتَ بأن محروماً أتى ... مَاءً لِيَشْربه ففاضَ فَصَدِّقِ
وإذا سمعتَ بأن مَجْدوداً حوى ... عُوداً فأَزْوَق في يديه فَحَقِّقِ
لو كان بالحِيَلِ الغِنَى لوجَدْتَني ... بنجوم آفاق السماء تَعَلُّقِي
لكنَّ من رُزِقَ الحِجَى حُرِمَ الغنى ... ضِدَّانِ مُفْترقان أيَّ تَفرُّقِ
وأحقُّ خلق الله بالهَمِّ امرؤ ... ذُو هِمَّةٍ يُبْلَى برزقٍ ضَيِّق
ومن الدَّلِيلِ على القضاءِ وكَوْنُهُ ... بُؤْسُ اللبيب وطِيب عيشِ الأحمقِ

ومما أنشدنيه من محفوظه جواب رقعة كتبها بعض الأدباء، وهي من أبدع ما سمعتُه في هذا الباب:

أَهْدَيتَ لي من روضِ فَضْلِك قِطعةً ... من زَهْرها مَاءُ البَلَاغَةِ يُقْطَرُ
فالطِّرْسُ كافورٌ وحِبْرُكَ فوقه ... مِسْكٌ ودُرُّ النَّثر فيه جَوْهَرُ
وحمائمُ الأسْجاع بين سُطورها ... ببيانها تَسْبِي العُقُولَ وتَسْحَرُ

= بحكمة المدينة المذكورة. ثم ترقى إلى أن أفتى على مذهب الإمام أبي حنيفة، وانفرد بالفتوى من حمص إلى معرة النعمان.

ولكنه كان مولعاً بالهجاء وبذاءة اللسان، حتى أنه هجا بني الأعوج وشيخهم ولي نعمته. توفى سنة ١٠١٦ هـ.

انظر في ذلك خلاصة الأثر ٩٠/٣، تراجم الأعيان ٣٣٤/٢ وفيه يكيل البوريني له السب والذم كيلاً، وانظر ريحانة الألبا ٤٥/٢.

بعثت معانيها إلَى أرْوَاحنا رَاحاً تمرُّ على العُقُولِ فَتُسكرُ
فَنَشَرْتُها وطويتُها كَلَفاً بها والشَّوْقُ يطويني إليك ويَنْشُرُ

ومما أنشدنيه من حفظه في آل البيت، وعَزَاه للإمام الشَّافعي رضي الله عنه وأرضاه، قوله:

يا آلَ بيتِ رسُول الله حُبُّكُمُ فَرْضٌ من الله في القرآن أَنْزَلَهُ
يكفيكُمُ من عظيم الفَخْر أنكُمُ من لا يُصَلِّ عليكم لا صَلَاةَ لَهُ

الطالوي في القسطنطينية - بينه وبين مفتي الخلافة

ثم أخذت الفُلْكُ تمخُرُ في طامي العُباب، فودّعته وبقية الأصحاب، ولم تزل تطوي بها الأيام والليال، وهي تجري بنا في موج كالجبال، حتى أشرفنا على أعلام قسطنطينية، دار الخلافة السنية، رابع عيد الأضحى، وقد بلغت الآمال منا نُجْحا، فأخذت النفس في تهيئة أسباب الثَّوى، وألقت عصاها واستقر بها النَّوى، ورئيس العلماء الأعلام، بها يومئذ شيخ الإسلام المؤيد بألطاف الإلّه، المولى مفتي الفرق الإسلامية صُنْع الله[1]، وقد ملك زمام الأمور، وفوض إليه الجمهور، حتى أطاعه الدولة إطاعة المأمور لآمره، والمملوك لمالكه، بحيث ألقت إليه كبراء الدولة بالمقاليد وعولت على آرائه المنيرة بحسن التقليد فكتبت لرفيع جنابه ومنيع سُدَّة

---

(١) هو صنع الله بن جعفر، شيخ الإسلام ومفتي الخلافة في عهد السلطان محمد وولده السلطان أحمد، وقد ولي الإفتاء بعد وفاة المولى سعد الدين بن حسن جان، سنة عشر بعد الألف، توفي نحو سنة ١٠٢١ هـ.
انظر خلاصة الأثر ٢/٢٥٦ - ٢٥٩.

أعتابه، بهذه القصيدة البديعة، والخريدة المنيعة، فقلت مخاطباً ذلك المقام حسب ما هو متعارف، ومشاهد لدى الأنام:

بِكَ المُلْكُ صُنْعَ الله يُزهَى ويَزْدَهي ... برأيــك مِنْــه مِنْبَرٌ وسَرِيرُ
فمـا هو إلاّ غـادةٌ أنـتَ حَلْيُها ... يُضيءُ عــلى لَبَّــاتِهــا ويُنير
وإلّا فبيـتُ المجـد أنتَ دعامُهُ ... ومن رأيك الأَسْنَى عليه سُتُورُ
أخذتِ بأطرافِ الفَخارِ فأصْبَحتْ ... إليــك المَعَــالي بالبَنَــانِ تُشيرُ
ومـا زلتَ تَرْقى في عُلَا دون نَيْلها ... طوالُ العَوالي والمقــامُ خَطيرُ
إلى أن رفعتَ المجدَ أرفَعَ هَضْبَةٍ ... تَقَاعَسَ عنهــا يَذْبُــلٌ وثبـيرُ
وخلّفتَ هذا الخلق بعضاً ببعضهم ... يموجُ فمنهم جــازعٌ وصَبُورُ
وكاشفتَ من أسرارهم كُلَّ ما خَفِي ... فقـد كان لا يَخفَى عليك ضَميرُ
فيـا عالِمَ العَصْرِ الذي ما رأتْ لَهُ ... نظـيراً عُصُورٌ قد مضت ودهورُ
لـك العِزُّ مِلْءَ الخافقين سَرَتْ بها ... إلى كُــلِّ قُطْرٍ شَمْــأَلٌ ودَبُورُ
فتــاوى تَسُرُّ الناظرين سَوَافِراً ... إلى حُسْنِها كُلُّ النواظِرِ صُورُ
عـلى صفحاتِ الدَّهرِ تَبْقى كأنها ... بيـاضُ طُرُوسٍ هُنّ فيه سُطُورُ
ويا قطبَ مصرٍ أنت واحِدُه الذي ... عليــه مَـدَارُ الكائنـات يَدُورُ
شهدت لقد أعطاك مولاك رُتْبَةً ... يَردُّ سَناها الطَّرفَ وهو حَسِيرُ
تقاصَرَ عن إدراكها القومُ فانتهتْ ... إليـك ولم يُسْنَـدْ إليـك قُصُورُ
فلو أن سَعـداً وابن بُسْتَان شَاهَدَا ... أوامِرَ صُنْـعِ اللهِ كيــف تَسيرُ
لأصبـح كُــلٌّ مَعْ جَلالـةِ قَدْرِه ... وفيــه البَهَــا أنَّــةٌ وزَفِـيرُ
أفـادك عِزُّ النَّفْس مولاي والتُّقَى ... مَقَــامَ غِنًــى كُــلٌّ إليـه فَقِيرُ
وبالبـابِ دَرْوِيشٌ وشافِعُ مِثْلـه ... إليـك نَدًى في راحتيكِ غَزِيرُ

لبابـك من عُلْيَا دمشقَ رَمَتْ به ... سَوَابِحُ شُهْـب في الظلام تَغُورُ
وتُصبـح في لُجِّ الـسَّرَابِ طَوَالعاً ... شُمُوسُ ضحى تَـسْري بهنَّ بُدُورُ
لها من هلال الأفْقِ نَعْلٌ مفضَّضٌ ... ومن نَجْمـه عِقْـد حَوَتْـه نُحُورُ
من الشَّام يَنْحُو بحر جُودِك ظَامِئاً ... وكم طُويَـتْ من دُونِهنَّ سُجُورُ
بهنَّ الجوارِي المنشآتُ مَوَاخِراً ... بمُلْتطم طَـاوي العُبَـاب يَمُورُ
تعانِـقُ فيه الريحُ أعطافَ مَوْجَةٍ ... فيطْفُو عـلى تَيَّـاره ويَفُورُ
كفيضـك صُنْعَ الله والفَرْق ظاهِرٌ ... ومـا يَسْتَوي مِلْحٌ جرى ونَمِيرُ
ولا الطَّلْحُ في جَرْعاء يَبْرينَ ذَاوِياً ... وشَجْرَاءُ فيهـا روضـةٌ وغَدِيرُ
وما القصدُ إلاّ منصبُ الدرسَ عاجلاً ... تُقَلِّـدُهُ مَنّـا وأنـت قَديرُ
لِتُحْيِـي دُروسَ العِلْم بعد مَمَاتِها ... بَعَصْرِكَ إذْ بعـد المماتِ نشورُ

ومما أنشده بين يدي المولى محمد بن سعد الدين

ولما غدا جيدُ الفَتوى عاطلاً من المولى، وازدان بها صَدْرُ عَلاّمة الموالي، وبدر سمائهم المشرق المتلالي، فخرِ علماء الإسلام والمسلمين، حضرة المولى محمد أفندي ابن سَعْد الدين[1]، كتبتُ لسامي أعتابه الرَّفيعةِ

---

(١) هو محمد الملقب بأسعد بن سعد الدين بن حسن جان التبريزي الأصل، القسطنطيني المولد والوفاة، ولد سنة ٩٧٨ هـ، وكان عالماً محققاً متبحراً، اتفق أهل عصره على أنه لم يكن له نظير في الفضل والاتقان، وقد اشتغل بالتدريس في أرقى المدارس كالسليمانية، ثم تولى قضاء أدرنة وقضاء الروم، وحج وعاد فتولى منصب الإفتاء بعد أبيه وظل فيه حتى توفي سنة ١٠٣٤ هـ. انظر خلاصة الأثر ١/٣٩٦ - ٣٩٨.

المقام، وعالي جنابه مقصد الخاص والعام، بهذه القصيدة التي هي في حُسّان القريض كالغَادة اللّميا، وجَلَوْتُها عليه بمنصب الإنشاد في مَعْرض الفُتْيا:

ما قولُ شيخِ الوَرَى عَلّامة الأمَمِ — مُفْتي الفَرِيقيْن من عُرْب ومن عَجَمِ
فَخْرُ الزمان إمامُ العصر أفضلُ مَنْ — أمّت حِماهُ مطايا العَزْم من أُمَمِ
والباهرِ الفضل والآراء والنّعَمِ — والطّاهر الأصْل والآبَاءِ والشِّيَمِ
والقائلِ الفَصْلِ لو شاءتْ رَوِيّتُه — نَظْمَ النجومِ الدَّرَاري موضع الكَلِمِ
والمُرْشِد الخلق سُبلَ الحَقِّ حيثُ غدا — إمام حقّ لهم فافْطِنْ إلى كَلِمِي
فهو الإمام الذي نَرْجُوه منتظرٌ — لقَتْلِ دَجّالِ جَهْلٍ قد أباح دَمِي
مُحمد الاسْمِ مَوْلَى قد تخيَّرَهُ — من دَوحة السَّعْدِ بَارئُ النَّسَمِ
سَعْد البرايا سَقَى الرَّحمنُ مَضْجَعَهُ — سُحْبَ الحَيَا بَيْن مُنْهَلٍّ ومُنْسَجِم
حتى يرى رَوْضةً غنّاء مشرقةً — أنوارها بشقيق الورد والعَنَمِ
وتُنبتُ الرَّوْحَ والرَّيحانَ حولَها — سَحَابُ عَفْو سَرَتْ وكَافّةُ الدِّيَمِ
فيمن غدا طالباً بالرُّوم مدرسةً — يُحيي معالم منها صِرْن كالرِّمم
مُجدِّداً من زواياها التي دَرَسَتْ — وفي الزوايا خبايا العِلْمِ والحِكَمِ
هل يستوي وجَهُولٌ بالدراسة لا — تَراهُ يَفْرقُ بين البُهْم والبُهَمِ [1]

= وليلاحظ قول محقق ريحانة الألبا ٢٨٣/٢ أنه تولى الإفتاء بعد أخيه محمد، والواقع أن ذلك سهو ولم يكن لأسعد أخ اسمه محمد بل هو نفسه الذي اسمه محمد وقد تولى بعد أبيه محمد وليس بعد أخيه.

(١) البهم بضم الباء وسكون الهاء جمع أبهم، وهو المصمت أو الأعجم. أو جمع بهيم وهو الأسود، وليل بهيم، لا ضوء فيه إلى الصباح، ومن الألوان ما كان لوناً واحداً لا شية فيه يتميز =

لا والذي حَاط هذا الدِّين منك لنا — بأسْمَرٍ عَامـلٍ كالأبيـض الخَذِمِ

يَمُـجُّ سُمَّ الأفاعي تـارةً ويُرَى — طَوْراً بِرِيقَتِـه يَشْفِي من الألَمِ

مولاي أنـت الذي دَانَ الأنامُ له — والكلُّ راضٍ بما ترضاه فاحْتكِمِ

لكنَّ شأنـك يا مولاي أرفعُ مِن — أن ينتمي نحوه من للسَّوام نُمِي

مالي أرى مَنْصِب التدريس يُمْنَحهُ — ذُو الجهل يَرْفُلُ في أثواب محتشِمِ

وفي يديـك زِمَامُ الفضل قائدهُ — رأيٌ يُفرِّقُ بـين النُّورِ والظُّـلمِ

فاكشف برأيـك عنَّا ظلمةً سَتَرَتْ — وُجُوهَ آمالِنَـا لازلـتَ في نِعَمِ

واحكُمْ كحكم فتاة الحَيِّ إذ نظرتْ — أو ابْنِ دَاودَ بين الحَرْثِ والغَنَمِ

والفَقْرُ في العِلْم داءٌ لا دَوَاءَ لـــه — فاسمعْ فديتُـك فَصْلَ القول من حِكَمِ

فقرُ الجهولِ بـــلا عـلم لمدرسةٍ — فَقْرُ الدَّوابَ بلا رأسٍ إلى اللَّحمِ

وهـذه نفثةُ المَصْدور قد صَدَرَتْ — من صَدْر عبدٍ لصَدْرِ الناس كُلِّهِمِ

درويشُ سُدَّتِـكَ العُلْيـا فإنّ له — بأهْلِهـا نسبـةً مَوْصُولَـة الرَّحِمِ

هـذا ونسبةُ عَبْد القوم مُلْحِقَةٌ — لـه وإن هُمْ عَلَوْا يا سَيِّدي بِهِمِ

وشَاهِـدِي قولُ خير الخلق كلِّهِمِ — سَلْمانُ مِنَّـا لهذا سَادَ في الخَدَمِ

فَجُدْ له جَاد مَغْنَاك السَّحاب حَيا — بمنصِب الدرس واغنم شكر مُغْتَنِمِ

أبقـاك رَبُّ العُلا حَلاَّلَ مُشْكلةٍ — كَشَّافَ مُعْضِلَــةٍ عَلاَّمــة الأمَمِ

محمـد الفضلِ محروسُ الجناب إلى — حِماك تُزْجَى مطايا العَزْم والهِمَمِ

= بها، ومن الأصوات: المتاثل: لا ترجيع فيه أما البهم بفتح الباء والهاء فجمع بهمة ويطلق على الصغير من ولد الضأن ذكراً كان أو أنثى.

يطلب فتوى الشام

ولما طالت ملازمتي لشريف أعتابه، ومنيف أبوابه، وهو يتكرَّم بوعدِ المنصب والدهر لا يفي، وأنا ألْحظ خَلْف الزمان بمن أوعد من طَرْفٍ خَفِي، كتبتُ إليه مُعرّضاً بفتوى دمشق الشام، وأنا الذي بها الآن في حكم سَوَامٌ الْعَوام، وعَوَامٌ السَّوام، أقول:

أنـا من حَادَثٍ عَرَى في أمَانِ ... ومَـلاذي جَنَـابُ مُفْتِي الزَّمَـانِ
حُجَّـةُ العالـمين غَيْثُ البرايا ... نُصْرةُ العالمــين غَوْثُ الأَوَانِ
الإمـامُ الجليـلُ حَـلَّ مَحَـلاًّ ... لن يُدَانِيــهِ في الأنَـام مُدَانِي
مُشْرِفُ الرأي والرَّوِيَّــة فَيَّـا ... ضُ أكــفٍّ العَطـاء بالإحسان
مُعْلِنُ الحَــقّ والرِّمـاح شِراعٌ ... والمَوَاضي يَضْرِبنَ كُـلَّ بَنَـان
بِسَنَـا مَنْطِـقٍ فَصَاحَـةِ قَسٍّ ... عِنْــده باقـلٌ لَـدَى سَحْبَـانِ
وفَتَـاوَى أبكارُها الغُرُّ تُجْلَى ... من سَنَـا رأيه عـلى الأذهـان
غَايـةٌ في البيـان والإتقان قد ... رُوِي حُسْنُهـــا عن الإتقـــان
ضَمَّنتْهـا أقوالــهُ بروايــاتٍ ... عن الصَّاحِبَيْن عن نُعْمانِ
مَـلأ الخافِقَيْن صيـت عُلاَهـا ... وسَرَى ذكرُهـا مـع الرُّكْبَـانِ
جئـتُ أعتابَهُ الشريفـةَ أشكُو ... من زمـاني ومـا بـه قد رَمَاني
من مُمِضَّـات غُرْبَـةٍ وشَتَـاتٍ ... وتمادي عَزْلٍ بطُول زَمَاني
نَاهَزَ العَشْر من سنينٍ تَقَضَّتْ ... سَالِفَـاتٍ كالطَّيـف من وَسْنَان
فأغِثْـه بمنصب الـدَّرْسَ وأغنم ... شُكْرَه والدُّعــاءَ في كـلِّ آنِ
فهو عَبْـدٌ لآلِ سَعْـدٍ وشَيْـخٌ ... لعلومٍ وليس مثـــل جُوَانِي
شيـخٌ مالَــهُ مِثَـالٌ وشكـلٌ ... مُضْحِـكٌ فيه سَلْوَةُ الأحزانِ

قـــلّـدُوه فتوى الشّام ودَرْساً دَرَسَتْ منـــه آيـــةُ العِرْفـــانِ
فرسُومُ العُلوم منهــــا طُلُولٌ قـد دَهَاها من شَجْوِها ما دَهَانِي
درسَ العـــلم فالمـدارسُ تبكي من ذَوِي جَهْلِهـا بِدَمْعٍ قـانِ
ويح فَتْوى دِمَشْق بعـد رِجَالٍ كيـف أفْضَتْ حتى إلى النّسْوانِ
كيـف بعد البُزاةِ تُصْبح مأوَى بُومَـــةٍ رأسُهـــا بـــلا آذانِ
فاستمِـعْ قِصَّةَ الشكايـة منهـا وانْتَقِذْهــا من جاهِـل مُتَوَانِي
وأغِثْهـــا بفاضِـــل يَنْشُرُ العِلْـ ـمَ ويَدْعُو لـــكم بكـــلِّ لسانِ
دُمْتَ رُكنَ الهوى رفيـعَ مقامٍ قـد سَمَـا قدرُه عـلى كيوانِ
شَامِـخَ المجـد والعُـلاَ والمَعَالي بَاهِرَ الفضــل سَاطِع السُّلْطانِ
بشفيـعِ الأنـــام خَيْرِ البَرَايــا مُنْقِـذِ الخَلْقِ من لظى النّيرَانِ

كتاب للقاضي إبن أخي زادة وتقريظ المؤلف له

حضرتُ يوماً مجلس المولى علامة الروم ، أوحدُها المبرَّز في فنون العلوم ، بدر سماء المكارم ، صَدْر العُلماء الأعاظم ، القاضي يومئذ بعساكر روم أيلي المنصورة ، لازالتْ بعدله مَعْمُورة ، وبفضله مَغْمُورة ، المُتَّصف بصفاتِ الكمال وكرم الخيم ، مولانا وسيِّدُنا العلامةُ عبد الحليم ، الشهير نسبة الخطير بإبن أخي ، لابرح في بلهنيَّةٍ من العيش وبالٍ رَخي ، فأقبل عليَّ بمؤانسته ، وقرَّبني منه في مجالسته ، ولم يزل ينثرُ على سمعي من لآلىء فِقَرِه ، ويجلُو عليَّ من أبكار فِكْرِه ، ما يَحارُ اللبيبُ في وصفه ، ويغارُ الأديبُ من نَسَقِهِ ووصْفِه ، فمن جُملة ما شَنَّف به سمعي ، وجعلتهُ سميرَ ضمير جمعي ، ما قرَّظ به كتاب بعض الكُتّاب ، من حُسْن سجع تَغَار منه

ألحانُ السَّواجع، ويودُّ البادِي لو كان فيه المُرَاجع، إلى زواهر فِقَرٍ تُخْجل دُرَّ الأسْلاك، وتُزْري بدُرِّيِّ الأفلاك، لو رآها صاحبُ اليتيمة[١]، اتخذها لكتابه تميمة، أو العماد الكاتب[٢]، تسلى عن خريدته الكاعب، أدام اللهُ البقاءَ لمنشِىء سُطوره، ومُوشي ديباجه وحبيره، وها أنا أُورد ذلك، وأُقَرِّظ بقصيدة بعد ذلك، وهي:

نظرتُ في هذا الكتاب، المنطوي على بدائع صنائع الكُتَّاب، المحتوي على لطائف الإيجاز والإطناب، الخَوَالي عن معايب الإخلال والإسْهَاب، المَسبُوك على قالَبِ بديع تميل إليه القلوب، المنسوج على أحسن منوال وأبهى أُسْلُوب، فوجدته بحراً زاخراً متلاطم الأمواج، ودُرًّا زاهراً سَلَبَ الشمس عن رُتبة الابتهاج، فياله من كتاب طَوى منشُور الخطباء بإيجازه، وكوى صُدُور البلغاء بمحاسن حقيقته ومجازه، حقيق لأن تسير بذكره الركبان، وخليقٌ لأن يُرسل هدية إلى فصحاء قَحْطان، إذ وقف فرسان البلاغة عن الجَرْي في مضماره، ووقف شُجعان البَرَاعة على أنه لا يُصطلى بناره، تضمَّنَ دُرَر عباراتٍ ما اسْتُودعتْ أصْدافَ الآذانِ إلى الآن، أمثال تلك اللآلي، في الأزمنة الخوالي، وما طَلَعَ في أفْقِ سَوَادِ العَيْن مُذْ أمَدَّت بالنور مثل ذلكَ هلال، واحْتَوى جوهرُ ألفاظ، أخلَبَ للقلوب من غَمَزَات الألحاظ، وأسْحَر للعقول من فتراتِ مراضِ الأجْفان، مع مَعانٍ هي أحسنُ من أيَّامِ مُحْسِنٍ مَعان، وأبهج من

---

(١) هو أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ من أئمة اللغة والأدب، وكتابه اليتيمة ويسمى يتيمة الدهر هو في تراجم شعراء عصره، وقد طبع أكثر من مرة.

(٢) يعني به عماد الدين الكاتب (محمد بن محمد بن نفيس الدين) المتوفى سنة ٥٩٧ هـ مؤرخ، عالم بالأدب من أكابر الكتاب، وكتابه خريدة القصر على نمط اليتيمة إذ هو في ذكر شعراء عصره في مصر والشام والعراق. وقد طبع معظمه الآن.

نَيْل أمان، في ظِلِّ صِحَّةٍ وأمان، ولَعَمْري أن هذا الكتاب أضْحَى لما فيه من الفَضَائِل، مِصْدَاقَ قول القائل:

وخَرِيدةٍ بَرزَتْ لنا من خِدْرِهَا كالبَدْرِ يَبْدُو من رَقِيق غَمَامِ
عَرَضَتْ على كلِّ الأنامِ جَمَالَها كَيْ تَسْتَميل قُلُوبَهُم بتمامِ
تَسْبي من العَرَب العُقُولَ بأسْرِها وتُطِيرَ لُبَّ الرومِ والأعْجَامِ

فلِلَّهِ دَرُّ الأديب الأريب، المُتَعَاطِي لهذا الجَمْع والتَّرتيب، الآتي بهذا الإنشاد والاختراع، الذي لا يمكن الخروج من عُهْدة مَدْحِهِ وإطْرَائِهِ اللِّسانَ واليَرَاع، بَلَّغَهُ اللهُ تعالى وَطرَه، وجَزَاه الحُسْنَى وزِيَادة بما سَطَّره، حيثُ أدْرَج فيه لَطَائِفَ تَتَجلَّى لِخُطَّابها كالعَرُوس، وأدمج نَفَائِسَ تَتَبادرُ إليها الأرْواح والنُّفُوس، وضع فيه مآدب تَغْذُو الروح، وأشار إلى نِكَاتٍ سَرِيَّةٍ كالوَرْدِ الطَرِيِّ يَفُوح، فأتى بما لم يَسْتَطِعْه الأوائل، وعَجَزَ عن الإتْيَانِ به سَحْبَانُ وَائِل، حَرَّرَهُ محمدُ عبد الحليم القاضي بالعساكر المنصورة، بولاية رُومِ إيلِّي المَعْمورة.

والقَصِيدةُ الموعُودة بها هي هذه الفَرِيدة:

في عام عَشْرٍ بعد الألف في صَفَر رأيتُ بالرُّومِ مَرْأى رَاقَ للنَّظَرِ
كاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ إلاَّ أنَّه فِقَرٌ غَيْرُ الأديب إليها غَيْرُ مُفْتَقِرِ
بياضُ طِرْسٍ جرى ذوب النُّضَار عَلَى لُجَيْنِه بلآل حَيَّرتْ فِكَري
مثل الغواني توشَّحتْ الصَّبَا حُلَلاً والخَدُّ ضَرَّجنه من وردة الخَفَرِ
تَعَلَّم السِّحْر هَارُوتاً وبَابِلَهُ أَلْحَاظُها ليس حُسْنُ الدَّلِ والحَوَرِ
بدائعٌ تَنْفُثُ السِّحْر الحلالَ فَمِنْ سُلاَفِها سَكْرَةُ الألباب والفِكَرِ

في نُطقِها العَذْبِ من سِرٍّ البلاغة ما قد يُخرِس اللُّسْنَ من قحطانَ أو مُضَرِ
للّـهِ ما فِقَرٌ في الطِّرْسِ تَحْسَبُها وسْط البياضِ سوادُ العينِ والبَصَرِ
أو الريـاضُ كَسَتْها السُّحْبُ سَارِيةً مطارفَ الوَشْيِ أو مَوشِية الحِبَرِ
فيالها من لآلٍ كالنُّجُومِ غَدَتْ سَيَّـارةً فيه حيثُ النَّجْمُ لم يَسرِ
مثـلُ الكواكـبِ ليـلاً قـد طَلَعْنَ على نَهْرِ المَجرّةِ أو كالرَّوْضِ ذي الزَّهَرِ
تودُّ لو حَلَّتَـا الجَوْزَاءُ من شَغَفٍ فيه النِطَاقُ ولو أمْسَتْ على خطَرِ
كـأنَّ دُرَّ يواقيـتِ الجِسَانِ بهـا قد رُصِّعَتْ في الحواشي موضع الفِقَرِ
أستغفرُ اللهَ لا مـا عِقْدُ غانية يُزْهَى بها الجِيدُ مثلُ الأنجُمِ الزُّهُرِ
لِمْ لاَ ومُنْشِئُه رَبُّ الفضل مَنْ خَضَعَتْ لَهُ بلاَغَةُ أهل البدو والحَضَرِ
العالِمُ العَامِلُ الفَرْدُ الذي جُمِعَتْ فيـه فضَائِلُ ما جُمِّعْنَ في بَشَرِ
علاّمـةُ الرُّومِ قاضي العسكرَيْن بهـا مَنْ حُكْمُهُ في القضايا تَابعُ القَدَرِ
عبدُ الحليم أخِي زَادَة الذي تُلِيَتْ فينـا مَدَائِحُـهُ كـالآيِ والسُّوَرِ
القائِـلُ الفَصْلَ لم تُخطِىءْ رَوِيَّتُهُ والبَاهِرُ الفَضلَ والحامِيهِ من غِيَرِ
عَزْمٌ يَقُـدُّ المَوَاضِي البيضَ مُرْهفةً والبيـضُ خَطِّيَّةٌ في يوم مُعْتَكَرِ
من أصبَحَـتْ للورى أعْتَابُ سُدَّتِهِ مَلْجَا العُفَاةِ ومَنْجَا الخائِفِ الحَذَرِ
مُحَمَّـد الإسْمِ مَيمون النَّقِيبَةِ في أسِرَّةِ الوَجْـهِ منـه طلعة القَمَرِ
يلقـاك طَلْقَ المُحيَّا وهو مُبْتَسِمٌ بمنطـقٍ وِرْدُه أحْلى من الصَّدَرِ
مُفَوَّهٌ لو وَعَـى سَحْبَـانُ مَنْطِقَهُ لراح يَسْحَبُ ذَيْل العِيِّ والحَصَرِ
لـه سجايا كنَشْرِ الرَّوْضِ عَاطِرَةً صَفَتْ لنا منه صَفْوَ الماء من كَدَرِ
مولاي سَمْعاً لَحَاشَا أن أُضَاعَ وَلِي حَقُّ الجوارِ على مَا صَحَّ في الخَبَرِ
وقـد رَمَتْ بِيَ مِن عَلْيَا دِمَشْقَ إلى حِمَـاك سَيَّـارَة الآصَالِ والبُكَرِ

رَكائبٌ ليس تَرْضَى بالجُذَيْل أباً لكنَّها من بَنَاتِ الماءِ والشَّجَرِ
من الجواري الحِسَان المُنْشآتِ بِها وُشُحْن كالرَّيْط مَجْدُولا من المِرَرِ
شُمُّ العَرَانين دُهْمٌ ما بها وَضَحٌ إلاّ نُجُومُ الدَّيَاجي موضع الغُرَرِ
تَجْرِي مع الرِّيح في طَامِي العُبَاب بِنَا من فَوْقِ مُضْطَحَبِ الآذِيِّ من ذَفَرِ[1]
يَنْشُرنَ فيه لطير الماءِ أَجْنِحَةً منها كواسِرُ طَيْر البَرِّ في حَذَرِ
لها قَوَادِمُ من أطرافها شُعَلٌ تَرمي غَوَارِبَ مَوْج المَاءِ بالشَّرَرِ
إذا هَوَتْ من هِضَابِ المَوْج تَحسَبُها كواسِرَ الفُتْخِ[2] أو سَيْلا بِمُنْحَدِرِ
مازلتُ أقذفُ طوفان الخطوب بها واتَّقي حادث الأيام والضَّرَرِ
حتى استوتْ بي على جُودِيِّ جَوْفِ نَدَى عَبْدِ الحليمِ أَخِي زَادَه أبي الظَّفَرِ
فراحَ يَغبِطُنِي كُلُّ الأنام عَلَى جَوَارِ بَحْرٍ حَبَاني منه بالدُّرَرِ
مولاي أرْجُوك والإحسانُ منك إذا ما شِئتَ واللهِ أَدْنَاني إلى وَطَرِي
توجيهَ مدرسةٍ أُخَيي الدروسَ بها بعد المماتِ فَعَنْها قَلَّ مُصْطَبَري
وتلك منك يَدٌ عندي سأشكُرها ما دمتُ حَيًّا إلى أن يَنْقضي عُمُري
فجُدْ بها عاجلاً فالدَّهْرُ في عَجَلٍ وفُرْصَة الوقتِ مثلُ الصَّارِمِ الذكرِ
خُذْها فَدَتْها نفوسُ الشِّعر قاطبةً فقد عَلَتْه بمدحٍ فيك مُبْتَكَرِ
طائِيَّةَ الأَصْل إلاّ أنَّها نَشَأَتْ بِرَبْوةِ الشَّام في رَوْضٍ على نَهَرِ
لو شَامَ بَرْق ثناياها الشريفُ سَلاَ عن ظَبْيَةِ البان عن ظَبْية الخَمَرِ
ودُمْ لنا رُكْنَ مجدٍ ما وَشَى قَلَمٌ رياضَ طِرْسٍ بمدح فيك كالزَّهَرِ
يَسْقِي رُبوعَكَ سُحْبَ الفضلِ هاميةً نَوْءُ السِّماك بمنهلٍّ ومُنْهَمِرِ

---

(١) الآذي: الموج الشديد، والذفر: ما اشتدت رائحته خبيثة كانت أو طيبة.

(٢) الفتخ: جمع أفتخ، والمؤنث فتخاء وهي العقاب اللينة الجناحين.

وكتب إليه وقد أبلّ من مرض في أذنه
يطلب منصب التدريس

ومما كتبتُ أيضاً إليه، ضاعف الله نعمه عليه، وهو بالقضاء المَزْبُور، دام له البهجة والسُّرور، عام عشرة بعد الألف، أوائل ذي القعدة الحرام، وقد أبَلّ من مرضٍ أوجب انقطاعه عن الحركة بعض أيام، وشكاةِ أذنٍ تَخَرّص عنها الحديثَ بعضُ اللئام، قولي:

بحمدِ اللهِ قد زال السِّقَامْ	وجاءت صِحَّةٌ فيها دَوَامْ
تَبُثُّ بجسْمكَ المُضْنَى حياةً	لها بدفاع آلام لِمَامِ
وما كانت شَكاةُ الأذْنِ إلاّ	حديثاً قد تَخَرَّصَهُ طِغَامِ
مَقَالَةُ زُخْرف وحديثُ زُورٍ	تَقَوَّلَهُ حواسِدُكَ اللِّئَامْ
فصان اللهُ سَمْعَك عنه حتّى	مَضَى وانْجَاب عن سَمْعِ المَلاَمْ
وأرْدَف ذلك القبضَ انبساطٌ	وعاودَ ذلك الثَّغْرَ ابتسامْ
وأشْرَق نُورُ وَجهٍ عن مُحَيّا	يَغَارُ لحسنه بَدْرُ التَّمَامْ
وإن يَكُ حَلَّ بعض الجسم ضَنْكٌ	فلا بِدْعٌ فقد يَصْدَا الحُسَامْ
ويَعْرُو البَدْرَ في مَسْرَاهُ خَسْفٌ	ويَعْرَى ثم يَعْقُبُهُ تَمَامْ
وبعدُ فأنت مَوْلَى الفَضْلِ حَقّاً	وأنت هو المُقَدَّمُ والإمامْ
وفَضْلُكَ شاع في الأقطار حَتّى	رَوَتْ أخبارُه سَامٌ وحَامْ
ورأيُكَ كالنجوم الزُّهْر يُهدَى	بها السَّارِي إذا اعتكرَ الظلامْ
فما لي في جوارك ضَلَّ سَعْيِ	ولي منك المَوَدَّةِ والذِّمَامْ
أَبِيتُ وفي الحَشَا نيرانُ وَقْدٍ	وَدَمْعُ العَيْن في خَدِّي سِجَامْ

لمن أشكُو الزمانَ فلستُ أشكو | فـإنّ القومَ أكثَرُهُمْ نِيامْ
كأن مَناصِبَ التَّدريسِ حَلّتْ | لغيري وهي لي أبداً حَرَامْ
فَتُمْنَعُها الأفاضلُ والأهَالي | وتُمْنَحُها الأسَافِلُ والعَوَامْ
وما بالرُّوم أشْقَى من أديبٍ | له فضلٌ رفيعٌ لا يُرَامْ
تلاحظُه عيونُ القوم شَزْراً | كما نظرتْ لبازيها الحمامْ
وما أنا مِنْهُمُ بالعيش فيهمْ | ولكِنْ مَعْدِنُ الذَّهبِ الرِّغَامْ[1]
عسى قاضِي العساكر وهو مَوْلىً | لَهُ كَرَمٌ إذا نَبَتَتِ الكِرام
وخُلُقٌ زانَه حُسْنُ السَّجَايَا | كزَهرِ الرَّوْضِ باكرَهُ الغَمَامْ
يَمُنُّ بمنصِبِ التَّدْرِيس يوماً | فيَحيى منه أعْظُمَهُ الرِّمَامْ
وأنتَ ملاَكُ هذا الأمْرِ حَقّاً[2] | فلا تَبْخَلْ وفي يدك الزِّمَامْ
فلا زالتْ مطايا العَزْم تَنْحُو | جنابك كَعْبَةً فيها مَقَامْ
فما لي مَنْ أُرَجِّيهِ لِدَرْسٍ | سوى مَوْعُودِ لُطْفِكَ والسَّلاَمْ

ومما اقتضته الحرفة الأدبية

ومما كتبتُ إلى جنابه الأسْمى، وبعثتُ بها إلى أعْتَابه العُلْيا، وقد اقتضتْ ذلك الحِرْفةُ الأدبيّة، ودَعَتْ إليه الصِّناعة الشِّعْرية:

قُلْ لقَاضِي العَسَاكِر المَنْصُورهْ | في جميع المَمَالِك المَعْمُوره

---

(١) هذا البيت فيه تضمين لبيت المتنبي الشهير:
وما أنا فيهم بالعيش فيهم | ولكن معدن الذهب الرغام
ديوانه ٨٣.

(٢) ملاك الأمر: بفتح الميم وكسرها: قوامه وخلاصته وعنصره الجوهري.

أوْحَـدِيُّ العُلوم فَيَّـاضُ جُودٍ في القضايـا أحكامُـهُ مَشْهورَهْ

ذُو السجايا كالرَّوْضِ غبَّ سَماءٍ باسِمَـاتٍ أزهـارُه مَمْطُورَهْ

وأيَـاد تُرْوَى عن إبن عَطَـاءٍ فأحاديـثُ بِرِّهَـا مَأْثُورَهْ

رَشْحُها في الأنامِ رَشْحُ المَبَادِي فالبَرَايـا من بِرِّهـا مَغْمُورَهْ

يَتَفَضَّلْ مِن ثُلْثِ مَالِ الوصايا لفقـيرٍ قـد ألجأتْـهُ الضَّرُورَهْ

ويبـاحُ الحَرَام في نَـصٍّ إلاّ مـا اضْطُرِرْتُمْ إليه فاغْنَمْ أُجُورَهْ

وابْق لا تُغْيِبِ السَّحَائِب دَاراً بـك مولاي لم تَزَلْ مَعْمُورَهْ

في بَنِينٍ إنْ غاب في الأُفْق بَدْرٌ أو عَرَاه الكُسُوف كَانُوا بُدُورَهْ

عود للكتابة إلى المفتي الأكبر في طلب التدريس

ومما كتبتُ به من القصائدِ المُلَمَّعة، والفرائدِ الحسان المنمعة، عام عشرة بعد الألف، أواخر شهر رمضان المعظم، لشيخ الإسلام المولى الأعظم، مفتي الفرق الإسلاميَّة، بدار الخلافة السنيَّة، خواجه زاده محمد أفندي بن المولى سَعد المِلّة والدِّين، أسبغ اللهُ تعالى ظلالهَ على كَافّة المسلمين، مستميلاً فيها طبعه الشريفَ النّفيس، في حُصُول المرام من منصب التدريس، قولي:

برأيٍ منـيرٍ كَشُهْـبٍ ثَوَاقِـبْ وسُمْرِ يَرَاعٍ كبيـضٍ قَوَاضِبْ

وبالحزْمِ والعَزْم لا بالهُوَيْنَـى كما قـد رُوِينَا تُنَـالُ المَرَاتِـبْ

ومـا نـال منهـا وكم جَدَّ فيها من الناسِ سَاعٍ وقد حَارَ خَائِبْ

سِوَى آل سَعْدٍ نُجُوم الدَّراري بُـدُورُ الدَّيَاجِي كِرَامُ المَنَاسِبْ

فُرُوعٌ نماهـا إلى السَّعْد مَجْدٌ سَمَوْا في عُـلاَه الذُّرَا والغَوَارِبْ

ولاسيَّما شَمْسُ أفْـقِ المعـالي طرازُ الموالي سِرَاجُ المَذَاهِـبْ
إمـــامٌ تَقيٌّ نَقيٌّ تَرَاهُ لمولاه سِرًّا وجَهْراً مُرَاقِـبْ
يُرَجّي رِضَـاهُ ويَخْشَى سَطَـاهُ وفي ذَيْن للمرء حُسْن العَوَاقِـبْ
هو الباهرُ الفَضْـلِ أخْفَى سَنَاهُ شموسَ المشارق بـدورَ المَغـاربْ
هو المُشرقُ الرأي تَلْقـى لَدَيْـه عُلُومَ المَبَـادِي كأجْلَى المَطَالِـبْ
بـه آلُ سَعْـدٍ سَمَـتْ في البرايا وبالمصطفـى الفخر في آل طَالِبْ
كريمُ السَّجايـا عظـيمُ المزايـا له العِلمُ والفضلُ خِدْنٌ وصَاحبْ
لــه همــةٌ في سَماء المعــالي سَمَـتْ رتبةً فوق هام الكواكبْ
بها يُحْفـظُ الدِّينُ والمُلْكُ مِمّن نَوَى فيها السُّوء من كـلِّ جَانبْ
أمـا .قد حَمَى المُلْك منه بسُمْر وبيـضٍ يَقُدَّان بيضَ القَوَاضِبْ
وأعـلى مَنَـار الهُدَى فاستنارتْ بـه جُنح ليل كصُدْغِ الكَوَاعِبْ
فَمَــا المجـدُ إلاَّ يَراعٌ وطِرْسٌ وشَّاهُ كوشي الرَّوْض السَّحائِـبْ
بزَهْر كزُهْر الـدَّرَارِي جَلاَهـا علينــا بأُفْـقِ ظَـلاَمِ الغَيَاهِـبْ
فتـاوَى سَرَتْ تقطعُ البيد أرْضاً فأرضـاً مسير الصَّبَـا والجَنَائِـبْ
فلو أنَّ نعمانَ يَومـــاً رآهـــا فَدَاها بعين كذاك إبنُ حَاجِبْ[1]
فيـا شيخَ الاسْلاَم يا مَنْ لديه تُشَدُّ المطايا وتُنْضَـى الركائـبْ

---

(١) يعني بالنعمان الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان صاحب المذهب المعروف، وبابن الحاجب عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين بن الحاجب، وهو فقيه مالكي ومن كبار العلماء بالعربية، من كتبه الشهيرة في الفقه المختصر وقد طبع وشرح مراراً، وجامع الأمهات، وقد طبع أيضاً، هذا غير كتابيه الشهيرين في العربية وهما الكافية والشافية، وقد ولد بمصر وتوفى بها عام ٦٤٦ هـ.
انظر غاية النهاية ٥٠٨/١، وفيات الأعيان ٣١٤/١.

ويا كعبةَ الفضل مازال حَجِّي ... لبطحائِهـا فَوقٌ مَتْن النَّجائِب
من الشَّام تَـسْري سُرَى البَـدْر ليلاً ... تجوبُ الفَيَـافي وتطوي السَّبَاسِب
إلى أن رَمَتْــني بأعتَـاب مولىً ... بحارُ العطايا لديه مَذَانِبْ[1]
لقد جئتُ مولايَ أشكُوكَ دهراً ... رَمَاني بسَهْمٍ من البَيْن صَائِب
فسَمْعاً لعبد على باب مَوْلىً ... له دَمْعُ عين على الخَدِّ سَاكِبْ
رأى نَظْمَ سَلْمَان فاختارَ منه ... وفي النظم قَوْلٌ بحال مُنَاسِبْ
وقد قيل سَلْمَان مِنّا لهذا ... أتَيْنَا به في قَواف تُناسِبْ
وما زال حَالي مع الدَّهر هَذَا ... وفي كلِّ سِلْمٍ أراهُ مُحَارِبْ
إلى أن هَدَتْنِي المقاديرُ يَوْماً ... لأعتابِ مَوْلىً له الرَّأيُ صَائِبْ
تلَفَّتْ لدرويش مولاك حَقّاً ... أما رَعْيُ مولىً مواليه وَاجِبْ
أتى العَبْد والناسُ فيهم سرورٌ ... وكلٌّ له فَرْحَةٌ بالمناصِب
ولي حُزْنُ يعقوب في كَسْرِ بَيْتٍ ... هو الخِدنُ لي فيه وَهُوْ المُصَاحِبْ
فيا شَيْخ الاسلام يا مَنْ لديه ... تُنَال المَطالِب وتُقْضى المآرِبْ
أتَرْضى وحاشاك أن سُرَّ غيري ... بعيدٍ وفيه دُمُوعِي سَوَاكِبْ
وعَبْد المَوَالي إذا كان عِيدٌ ... أفَاضُوا عليه سَنِيّ المَوَاهِبْ
وهذا زَمَانٌ تَرَجَّى العَطَايا ... به منك فامْنُنْ أيا خيرَ وَاهِبْ
وقلِّد رجائي حُلَى الدَّرس مَنّاً ... لِيَبْقى لك الذكر فالكُلُّ ذاهِبْ
ودُمْ مُشْرِقَ الرأي فياضَ جُودٍ ... جَميلَ المواهبِ جَليلَ المَنَاقِبْ
مَدَى الدَّهرِ ما عَادَ عِيدٌ وعِيدٌ ... وما ذَرَّ شارقٌ ومالاح غَارِبْ

---

(١) المذانب جمع مذنب، وهو مسيل الماء إلى الأرض.

قصيدة للمفتي وقد برأ من الحمى

ومما كتبتُ به في التاريخ المزبُور لجنابه، وقد أبلَّ من عارضِ الحُمّى، وأنشدتُها في مجلسه الرفيع العالي، وناديه المنيع المحفوف بالمعالي، بحضور بعض الموالي، قولي:

دعوتُ تَضَرُّعاً ومَعِي الأَنَامْ ... وأَمَّنَتِ الملائكةُ الكِرَامْ

وسُكَّان الأثيرِ وهُمْ ذَوَاتٌ ... مُقَدَّسَةٌ وأرواحٌ كِرَامْ

ونجمُ الأُفقِ والشُّهبُ الدَّرارِي ... لها شُعَلٌ إذا اعتكر الظَّلاَمْ

ومَنْ في الأرض حتى كاد تَدْعُو ... مَعِي الأَحْجَارُ والبيتُ الحَرَامْ

ومَكَّةُ والحَجُونُ وهضب رضوى ... كذا الرّكْنُ المُعَظَّمُ والمُقَامْ

ونُعْمانُ الأرَاكِ ورُكْنُ سَلْمى ... كذا أَجَا سَقَى أَجأً غَمَامْ

ورَنْدُ مَتَالِع وذُرَى أبانٍ ... وسَفْحُ ثَبير فيهِ زَكِيُّ البَشَامْ

وأضْوَاحُ الأجَارعِ من أَلاَلٍ ... وخيفِ مِنىً وهاتيك الرِّجَامْ

وأخنَاءُ الثَّنِيَّةِ من كَدَاءٍ ... وأعلامُ المُحَصَّبِ والآكَامْ

إلهُ العَرْشِ سَامِعُ مَنْ دَعَاهُ ... ونَاجَاه وقد هَجَعَ النِّيَامْ

إزالةُ عارضٍ عن ذاتِ مَوْلَى ... بُحَمَّى جِسْمِه حُمَّ الأنامْ

وما زارتْه حُمَّى اليوم قَصْداً ... لتُؤْلِمهُ كما زَعَمَ اللِّئَامْ

ولكن كي تُريكَ عَدُوَّ قَوْمٍ ... يُريكَ صَداقةً وهوِ الحِمَامْ

عَرَتْهُ فاعْتَرى الإسْلاَم وَهْنٌ ... وحاشاه وقد يَصْدَا الحُسَامْ

ويَعْرُو البَدْرَ في مَسْرَاهُ خَسْفٌ ... ويَعْرَى ثم يَعْقُبُهُ التَّمَامْ

فحمداً ثم حَمْداً ثم حَمْداً ... على نِعَم دقائقها جِسَامْ

إعـــادةُ صِحَّـــةٍ وزَوال سُقمٍ وَعَوْدُ نَقَاهـــــة فيهـــا دَوَامْ

فسَمْعـــاً أيُّهـــا المَوْلَـى لِعَبْـــدٍ لـــه في.بـــاب كعبتـــكم مَقَـــامْ

لشكرانِ السَّلَامَـــة إنْ يَرُمْـــهُ فقـــيرُ زكـــاةِ جَاهـــك لا يُـلَامْ

فكيـــف بِمَنْ لـــه في آلِ سَعْـــدٍ شُمُوسِ العصر إلٌّ[1] أو ذِمَـــامْ

فمُنَّ بمنصِـــب التَّدْريسِ يَا مَنْ يُبَـــارى جُودَ راحتـــه الغَمَـــامْ

عـلى درويشٍ بَابـك دَامَ مَلْجَا بـــه للـــدِّين عزٌّ واحْتِشامْ

وأنـتَ مَـلَاكُ هـذا الأمْر حَقّاً فـلا تَبْخَـل وفي يـدِك الزِّمَـامْ

وطَوِّقْ جيـــد آمـــالي بأيْـــدٍ هي الأطْواقُ والنَّـــاسُ الحَمَـــامْ

فمالي شافـــــعٌ فـــيما أُرَجِّي سِوى إنجـــازِ وَعْـــدِكَ والسَّلَامْ

وإشادة به حينما فَرّق شغباً

ومما كتبتُ به أيضاً لذلك المقام، لا برحتْ أعتابه ملاذ الأنام، في التاريخ المزبور، وقد تحرك من طائفة الجند جمهور، فأسرفوا في التعدِّي، والوزير يومئذ لا يُعيد ولا يُبدي، فجمع عليهم العُلماء فتفرقوا لذلك الجمع أيادي سَبَا، وخرجوا من دار السَّلْطنة وجواد عَزْمهم قد كَبَا، فقلتُ مشيراً لتفريق جَمْعهم وتمزيق شملهم مخاطباً إياه، دَام عُلَاه، قولي:

يراعُك أمْضَى من شِفَارِ الصَّوَارِم ورأيُك أجْلَى من بُرُوق البَوَاسِمِ

وأنـت الإمامُ الحَقُّ والقائمُ الّذي يُرَجّى لدفـع الظُّلْم من كُلِّ ظَالِمِ

---

(١) الإل: العهد أو الحرمة.

مَضـاءٌ يَقُدُّ المُرْهَفَات وعَزْمَـةٌ	لها في ضِرَام الخَطْبِ فِعْل الضَّراغِمِ
حميتَ بها الإسلامَ والمُلْكَ فاغْتَدَى	وكـلٌّ رفيعُ القدر عَالِي الدَّعائِمِ
ومن دُون مَرْماهُ ضَرَبتَ سُرَادِقاً	مُخَيَّمــهُ فوق السُّهَـا والنَّعَائِمِ
وقُمْت لـدين الله بالحَقِّ نَاصِراً	وقد كَثُرَتْ في الخَلْق طُرْقَ المظالِمِ
وكنـتَ لـه سَدًّا ليأجوج فِتْنَـةٍ	تَراءَتْ لنـا كالعَارضِ المتراكِمِ
ثنيـتَ لها عِطْف اليَرَاعة فانثنتْ	ووَلَّتْ على أدْبارها فِعْل وَاجِمِ
وكانـت لَعَمْري مثل طامٍ عُبَابُه	يكـظُّ[1] عـلى تيـاره المتلاَطِمِ
وشَتَّـتَ شَمْـلَ المُلْحدين فَفُرِّقَتْ	جُمُوعُهم أيْـدي سَبا في العَوالِمِ
ولما رَأوا ألاّ نَجَـاة ولاَ وَقَـى	ولا وَزَرٌ يوم الفرار بعَاصِمِ
أنَابُوا فكانـت توبة قبل أخْذِهِمْ	وكنـتَ لهم بالعفو أعْدَلَ حاكِمِ
وصُنْـتَ حمى مُلْكِ الخليفة شاهراً	ظُبَـاة سُيُوف اللهِ من كُلِّ عَالِمِ
فقيـهٌ لـه طبـع الأديب لَطَافَةً	وفي اللهِ لم تَأخُـذْه لومـةَ لاَئِمِ
إذا قـال لم يتْرك مقالاً لقائل	وإن صَـال لم يَتْرك مجالاً لحَائِمِ
فقرَّتْ بـه عَيْنُ الخليفةِ مثل ما	به سَخُنَتْ عينُ العَدُوِّ المُخَاصِمِ[2]
وكنـتَ وكانوا هَالَةً أنت بَدْرُها	أَضَـاءَ سَنَاهُ في العُلاَ والمكارمِ
فبـالله بالسَّعْـد الـذي بضريحِـهِ	نُغَاثُ ونُسْقَى لا بغُرِّ الغَمَائِمِ[3]
سَقـاه إلهُ العَرْشِ صَيِّبَ عَفْوه	وغُفْرانُـه ما بين هَامٍ وسَاجِمِ
وأسكنـه الفِرْدَوْسَ دَارَ مُقَامـة	مـع الملأ الأعلى جوار الأكَارِمِ

(١) يكظ: يملؤه حتى يضيق به.

(٢) سخنت به: حزنت وغضبت، وسخنة العين ضد قرتها.

(٣) يعني بالسعد الشيخ سعد الدين بن حسن جان التبريزي شيخ الإسلام ومفتي التخت السلطاني، وكان من أعلام الرجال في الدولة، وهو والد الممدوح.

تَعطَّفْ على درويش عبدك راحماً ‏ بمنصِب دَرْس العلم يا خَيْر رَاحِمِ

فما اجتـابَ قُطْرَ الرُّوم إلاّ لنَشْرِه ‏ مَدِيحك فيها مِثْلَ نَشْر اللَّطائِمِ

بسَيَّـارةٍ مـثـلَ النُّجوم طوَالـع ‏ قواف لَعَمْري أفحمتْ كُلَّ ناظِمِ

تَسَاقطَ في الأسماع لُؤْلؤ لفظها ‏ تَسَاقُطَ طَلٍّ فوق زَهْر الكمائِمِ

فَدُونَك من وَصّافِ مَدْحِك ما أتى ‏ به عن إمام الوقت لا وهْمَ واهِمِ

وقَرَّ بها عَيْناً وطبْ فيه مُهْجَةً ‏ فقد عُقد الإجماع من كُلِّ عَالِمِ

بأنك من يأتي على الألْف قائماً ‏ يُجَدِّدُ هذا الدِّينَ يا خَيْر قائِمِ

بقيتَ لهذا المُلْكِ تحمي ذِمَارَهُ ‏ بسَم يراع الخَطِّ لا بالصَّوارِمِ

جَنَابُك مَحْرُوسٌ وبابك كعبةٌ ‏ لبطحائها حَجِّي وفيها مَوَاسِمِي

وقصيدة إليه في شرح حال المدارس ومدرسيها

ومما كتبتُ به أيضاً أواخر جمادى الآخرة عام عشرة بعد الألف لأفضل العلماء العظام، وأسعد الفضلاء الفخام، ابن المولى سعد الملة والدين، أعلى الله تعالى درجاته في عِلِّيِّين، وهو قاضي العساكر المنصورة، بولاية أَنَاضُولي المعمورة، مشيراً فيها لسِلْسلة في المَدَارس حصلت، ولم يكن في أفرادها ذو فضلٍ عليه اشْتَمَلَت، قولي:

حِمَاك يا كَعْبَة الآمَالِ لِي حَرَمٌ ‏ ورُكْنُه كَحطِيم الرُّكن مُلْتَزَمُ

وفي ذُرَاه مَقَامٌ كالمقام غَدَتْ ‏ بحُجْرتيه وُفُود النَّاسِ تَزْدَحِمُ

كأنَّ ساحتَها البَطْحاءُ حَلَّ بها ‏ وقد أناخ ووفْدٌ راح يَسْتَلِمُ

هي المُنَى لذوي الحاجاتِ تَحملُها ‏ إلى مواقِفِه الوَخّادَةُ الرُّسُمُ

بها تُقَسَّم أرزاقُ العِبَاد فما ‏ أرَى بها غيرَ مَرْزُوق لَهُ قِسَمُ

وليس يُحْرم منها غير ذِي أدَبٍ ... ومن لـه قَدَمٌ في الفَضْل بل قدمُ
سَحابُ فضلٍ سَقَى الأقْوَامَ بَارِقُهُ ... وبات منه الحَشَا والقَلْب مُضْطَرِمُ
عجبتُ كيف تخطَّاني أيَحْسَبُني ... تَجاهُلاً انَّني بالفضلِ أُتَّهَمُ
مالي أرى مَنْصِبَ التدريس يُمْنَحُه ... غَيْري وأُمْنَعُه هل حلَّ ذا لَهُمُ
إن كان من شَرْطه جَهْلٌ وكَوْذَنَةٌ[1] ... فإنني فيها العَلَّامَةُ العَلَمُ
إذنْ فتقديم غيري كالمُحرَّم لا ... يَجُوزُ قطعاً لما قَالُوه والتَزَمُوا
وإن يكنْ غير هذا فالمَعَادُ غَدَاً ... بين العِبَاد وعند الله يَخْتَصِمُ
والحمد لله لا بؤسٌ ولا نِعَمٌ ... تَدُوم ما دامتْ الأيَّام تَنْصرمُ
لكنّ لي حُسْن ظَنٍّ كاليقين سَمَا ... بأسْعَد الفُضَلا مَنْ شَأنُهُ الكَرَمُ
قاضي العساكر فَيَّاضُ الأكفِّ نَدىً ... عَلَّامة العَصْر من تسْمُو به الهِمَمُ
فَخْر الزَّمَان إمامُ العِلْمِ من سَعِدَتْ ... بـه الفضائلُ والآدابُ والحِكَمُ
زاهِي الجبين إذا ما جئتَ تسْألُهُ ... يَلْقاك طَلْقَ المُحَيَّا وهو مُبْتَسِمُ
بمنطق لوْ وَعَى قُسٌّ فصاحته ... عَرَاه وسْط عُكَاظٍ خَاطِباً بَكَمُ
مَوْلاي عَطْفاً على عَبْدٍ سَما بكم ... بَيْن الأنام وكُلُّ الناس قد عَلِمُوا
وكيف يخفى ولاءُ الطَّالَوِيِّ لكم ... والعُرْبُ تعرف منه ذاك والعَجَمُ
من عهد سَعْد البَرايا جادَ مَرْقَدُه ... سَحابُ عَفْو غَفُوق البَرْقِ مُنْسَجِمُ[2]
حتى يُرَى رَوْضة غَنَّاء يَنْبتُ في ... أرْجَائها الوَرْدُ والجَوْذَانُ طِلَّسَمُ
هذا ونسبَتُه للقوم مُلْحقَةٌ ... لَهُ بِهِمْ وهُمْ في المكْرُمَاتِ هُمُ
وشَاهِدِي قَوْلُ خَيْر الخلق سَيِّدنا ... سَلْمَانُ مِنَّا ومنه سَادَتِ الخَدَمُ

---

(١) الكوذنة: طول الجسم وضخامته.

(٢) الغفوق: الذي يهجم فجأة مرة بعد أخرى.

فكيف من قد غدَا حسَّانُ مَدْحكمُ ... يا آلَ سَعْد وفيكم قد سَرَى الكَرَمُ
لِي فيكُمْ كَدرَارِي الأُفْق سَارِيَةً ... هي اللآلِيءُ إلا أنَّها كَلِمُ
سارتْ مَسِير الصَّبَا في الخافقين فقد ... أسْمَعْت في كلِّ حَيٍّ من به صَمَمُ
من كلِّ شامخةِ العِرْنين تَحْسَبُها ... في الشِّعْر لَيْثاً لَهُ من نَفْسِهِ أجَمُ[1]
أو غادةً حُسْنُها قَيْدُ النَّواظر في الْـ ... ألحَاظِ سُقْمٌ وفي عِرْنِينها شَمَمُ
تَبْقَى على صَفَحاتِ الدَّهْر خَالِدَةً ... كَالأَنْجُم عِقْداً ليس يَنْفَصِمُ
أَبْقَاكَ رَبُّ العُلا حَلَّالَ مشكلةٍ ... كَشَّافُ مُعْضِلَةٍ في وَجْهها غَمَمُ
سامِي الجناب رفيعُ القَدْرِ تَخْدُمُهُ ... كواكبُ السَّعْدِ والأنوار والظُّلَمُ

قصيدة بالفارسية في مدحه[2]

وكتبت بعيد ذلك لجنابه الرفيع، وبابه السامي المنيع، بهذه القصيدة الغراء الملمعة، والخريدة العذراء المنعة، سيما في مثل هذه القوافي والروي المعجز كل شاعر، ولو أنه الوأواء الدمشقي[3]:

أي براه خدايكان خوش رو ... وي بفضل وكمال جون خسرو[5]

---

(١) الأجم: الشجر الكثيف الملتف، وما يتخذه الأسد عريناً له منه.

(٢) ترجم لنا هذه القصيدة وكل ما جاء بالفارسية بعدها، الأستاذ محمد عمر فائق الذي يعد رسالة للدكتوراه في كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر.

(٣) هو محمد بن أحمد الغساني الدمشقي، أبو الفرج، المعروف بالوأواء، شاعر مطبوع، حلو الألفاظ، في معانيه رقة، وله ديوان شعر مطبوع، توفي نحو سنة ٣٨٥ هـ.
انظر يتيمة الدهر ١/ ٢٠٥.

بيشواي همـه أفاضـل روم فخرهم در علوم أو بـيرو[1]

يعـني قاضِي عساكر إسلام مقتـدَى أنـامَ ركن الـدَّو لـه

مَفْخَرُ سعـدِ أسعـدُ فُضَـلاَ يـا وَقَى اللهُ ذَاتَـهُ من سَوْ

إن خديوي كـه نور عقل نخست بيئَ رايـن جو لمعه اندرضو[2]

وانجـه درلوح بستـه كلك قضا همه درخاطـرش جوابجدوهوزو[3]

وان حكيمي كه حكمت الاشراف أز فروغ ضياش يـك برتو[4]

انكـه درجنـت خرمن كرمش خر من ماكهكشار يـك جو[5]

أفضـلُ خَانْـدَان سَعْدُ الـدين وارثُ كَشْف سِرّ صَاحِـبْ لَوْ

جـادَ مثواه صوبُ ساريـةٍ كَرْكَرَتْهـا الصَّبـا بأعـلى الجو

فَهَمَـتْ تَرَّةً عـلى جَـدَثٍ فيـه سارٍ سقـى ثَراه النّو

أي سبهر عطـا كرم فرمـا قصـه مـا حراي من بشنو[6]

جوز جنـب مشام يعـني شام كرده ام قصـد روم باتك وبو[7]

أزميـان همـه رفيـق وطريـق اسبكى داشتم بسى خوش رو[8]

---

(١) أيها الإنسان الذي ينهج سوياً، وفضلك وكمالك بفوق خصال الملوك.

(٢) والرائد لكل فضلاء الروم، وفخرهم في العلوم والسلوك والأخلاق الفاضلة.

(٣) ذلك الملك الذي يكون العقل الأول، تجاه عقله مثل الشمس أمام نور.

(٤) ما سجلته في اللوح يد القضاء جميعه مسجل على خاطره وذهنه.

(٥) هو ذلك الحكيم الذي تعد حكمة الإشراق بريقاً من ضوء نوره الفياض.

(٦) وذلك الذي كرم المجرة إلى جنب كرمه لا يعد شيئاً.

(٧) أيها الكريم العالي اسمح لي، لكي أقص ما حدث لي لكي تسمع.

(٨) من جنة الدنيا (أعني الشام) قصدت السفر إلى الروم مسرعاً.

(٩) ومن بين جميع الأصحاب والطريق كنت أملك حصاناً جيلاً جداً.

اسمان جنس وسيـــاده روش	جو جوان عرب أصيل وبدو[١]
همجو بـــاد صباكــه رفتـــار	خوش‌رو وخوش‌خرام وزم‌جلو[٢]
درجنـبيء ضيا جو بدر منير	أشهب صبح أزوستاند ضو[٣]
أشك داس هـــلال همـه لس	غـــيرت توسن سهـــبر بــدو[٤]
لو يجاري الريــاح لانتبـذت	عنــه حسرى سواقــط بالــدو
أينجـذين أسب كي روابا شد	همجو كلكت شود زحسرت جو[٥]
لا غرو زرد دوميـــان باريـك	قـد خميـده بزدر جومـه نو[٦]
نـــه درم دارم ازبراي جوش	نـه متاعى كه تادهم بگيرو[٧]
جزا ميـــدولاي ولا قـــدر[٨]	أسعــد العصر ملجـأٌ من جَوْر
جَوْرُ دَهرٍ لم يُبْـــقِ لي نسبـاً	غـــيرَ شِعْرٍ لو كـــان يَنْفَـقُ لَوْ
لنظمــــــــتُ النجومَ زاهرةً	فيــه عِقداً على نطاقِ الجَوْ زاء
بقوافٍ كالزُّهْرِ مُخْجِلَـــــــةٍ	في سَماءِ القريـض شُهبـاً لجَوْ
لو تراءتْ لمُسْلِمٍ[٩] لَسَلَا	عن غوانيـــه مُخْجِـلاَت الجَوْر
أو رأى حُسْنَهَا الوليدُ رَمَى[١٠]	حُسْنَ ديبــــاجِ شِعْره بالسُّوْ

---

(١) وكان لونه أزرق في لون السماء، وكان سريعاً مثل شاب عربي بدوي أصيل.
(٢) وكان في سرعته مثل ريح الصباح، وكان سيره مريحاً ومرضياً وسهل القياد.
(٣) وفي جوانبه الضياء ينبعث مثل البدر المنير، وشفق الفجر يستمد منه النور.
(٤) ولكن الذي في عينه الدموع يشبه الهلال بالمنجل.
(٥) ومثل هذا الحصان لا يجوز أن يتعذب وتنهك قواه فعليك أن تهتم به اهتماماً كبيراً.
(٦) هزيل وأصفر الوجه، ورقيق الوسط، وقصير القامة، ولكنه مع ذلك يتلألأ مثل القمر.
(٧) لا أمتلك درهماً لأشتري له شعيراً، وليس لي متاع لأرهنه من أجل شراء الشعير له.
(٨) والرجاء كل الرجاء معقود إليك يا سيدي.
(٩) هو مسلم بن الوليد الملقب بصريع الغواني الشاعر العباسي المعروف.
(١٠) يعني به الوليد بن عبادة الطائي المعروف بالبحتري وهو أشهر من أن يعرف به.

داورا سيدا خدا وندا   أزبراي خدا نعيم شو[1]

آتسن فقر بافلاكت عن لم   زده برجانم آتشين علو[2]

درزمان عوالت توكه ديد   أي بعدلت جهان يان بيرو[3]

اسبى تازى زو درس جو محروم   كله خير بدرس شكر كو[4]

أي جوان بخت بردرت بيري   الفاتت أزو دريغ شو[5]

يا ردوسال مدت عزلش   واي برعم كشته باين طو[6]

فرصت وقت راغنيمة دان   إنما العمر بعض يوم أو[7]

وهو عصر الصبا سقى غدقا   عهده الطرف لا أريد النو

جون وليل شباب صبح مشيب   بدورمان زندان وبشرتو[8]

جوشه شوى داس أجل   متعطف ميشو دكه وقت درو[9]

تاجهان وجهان هستند   تاد رافواه هست كفت رشنه[10]

باد درسايه توفضل ومن   جوجهان زبرسايه خسرو[11]

---

(١) أيها العادل أيها السيد أيها المدبر، أسبغ علي فضائلك على الدوام.

(٢) نار الفقر أنهكتني، وأحرقت جسدي.

(٣) وعم عدلك جميع أرجاء العالم، ذلك العدل الذي لم تر الدنيا نظيره.

(٤) الحصان قفز وحرم نفسه من الشعير، وتطيع الحمر انتفع وأظهر الشكر.

(٥) أيها الشاب جاء إليك شيخ عجوز عليك أن تلبي حاجته.

(٦) وانعزل الصديق مدة عشر سنين، وانقضي عمره بهذا الشكل بعيداً مني.

(٧) وعليك أن تنتهز فرصة العمر...

(٨) إن الشاب بحيويته وإن الشيخ بعجزه وضعفه أمام قدر الله سيان.

(٩) لأنه إذا اقترب الأجل لا يمكن أن يهرب منه أي فرد.

(١٠) إلى أن يدوم العالم ويبقى الناس، وإلى أن تتفوه الألسنة.

(١١) يتمتع العالم بفضلك ويستظل بظلك.

وكتب يتشفع ببعض الوزراء

ولما كثُر من الجناب المولى شيخ الإسلام، محمد أفندي نجل المولى سعد الأنام، وعن الكريم بمنصب الدرّس والطّالع لا يَسْمَح بالوفَا ، والأيّامُ لا تَزدَاد إلّا قسوة وجَفَا ، أشار عَلَيَّ بعض الكُبَرا ، أن أتَشَفَّعَ عنده ببعض الوُزَرَا ، ممن يُظَنّ أنه مُطاع ، لما بينهما من أُلْفَةِ الاجْتِماع ، فكتبتُ إليه بهذه القصيدة المُلَمَّعة ، والأبيات المُتَمَنِّعَة ، وهي قولي:

بُشْرَاك ثَغر العُلاَ تَبَسَّمْ ... وعَرْفُ رَوْض المُنَى تَنَسَّمْ

ورَقَّ وَجْهُ الزمانِ حُسْناً ... ونورُه اجتاب ظُلْمَة الهَمّ

وراق في الجِيد مِنه عِقْدٌ ... جَوهره الفَرْدُ لم يُقَسَّمْ

وطائر السَّعْد فوق بانٍ ... بصوتِ ألْحَانِه ترَنَّمْ

جَاوَبَتْه الوُرْق في غُصُونٍ ... بَاتَتْ بنوء السِّمَاك تُرْهِمْ

من كُلِّ خطْباءَ قد كساها ... دعاء نُوح لما طَغَى اليَمّ

طوقاً يَغَارُ النُّضَارُ منه ... فوق بياض اللُّجين أسْحَمْ

يُريك قَوْسَ السماء فيه ... إذ صاغَهُ قَادِرٌ وأحْكَمْ

فيهنّ ورقاءُ ذاتُ شجْوٍ ... تجعلُ قَلْبَ الخَلِيِّ مُغْرَمْ

في لَحظِها والجُفُون سَقْط ... رَمَتْه بين الحَشا وأضْرَمْ

غَنّت على عُودِها بلَحْنٍ ... منه الغِنَا مَعْبَدٌ تَعَلَّمْ

طَارَحَها الشَّجْو عَنْدَليبٌ ... في عَسْجَدِيٍّ الطِّرازِ مُعْلَمْ

كَسَتْه كَفّا الرياض وَشْياً ... حاكى به وَشْيُها المُنَمْنَمْ

قام خطيباً على أرَاكٍ ... في مِنْبَر الدَّوْح إذْ تَكَلَّمْ

بحُسْن سَجْعٍ كَدُرِّ عِقْدٍ ... في جيد حَسْناءَ قد تَنَظَّمْ

كأنَّـــــه وهو ذُو بَهَـــــاءٍ مَـدْح وزير خَـلاً عن الـذَّمْ
إن نور جشم شير ولايـــت[1] عــلى أمــير بطحــاء وزمزم
حسن خصـــال در يا نوالى[2] وكن معـــالي صـــدر مكرمْ
دستور منظور شهريـــــاري بنــاه ملــت نظــام عــالمْ[3]
نصير ملـك وظهير ملكت[4] بـــــه أمور البـــلاد تنظمْ
وزير كشور كشــاكــه عـــالم از عـدل ودادش بهشتي خرم[5]
غوث البرايــا غيــث الرعايــا ليــث السرايــا والحرب تضرمْ
روش ضمـيري كتاب خورشيد درجنـب رايش يك براتوكم[6]
صــافي السـجايا وافي المزايــا ضـــافي العطايــا لمن لـــه أمْ
بحر عطايش كرموج خــــيزو غرق آب ميكر دصد كونه جانم[7]
استغفر الله صـــــد بحر قلزم نسبـت بجودش يك قطره يم[8]
أي شهسواري كـــه ش جرخ درزير يايـت أسبـي معـلم[9]
وزمهر وماهـش ركـــاب زرين وز عقد بروين بوكر دنـش خم[10]

---

(١) هو ضياء البصر وباسل شجاع...

(٢) خصاله ممتازة لا تضاهيها خصال أخرى...

(٣) أمره مطاع ونافذ، ملجأ الأمة ومرجع العالم.

(٤) نصير الملك وظهير الشعب...

(٥) الوزير المنتصر الذي ينتفع العالم بعدله، ويصير بفضله جنة.

(٦) هو صاحب الضمير الوضاء الذي تخجل الشمس بجانبه لشدة نوره.

(٧) إذا فاض عطاء من بحر جوده، اختفى مائة حاتم إزاء هذا الجود والكرم

(٨) أستغفر الله بل مائة بحر قلزم بجانب جوده تعد قطرة ماء.

(٩) أيها الملك الذي سخر الفلك له، وعلمت الأفلاك السلوك العادل كالحصان المدرب.

(١٠) وزينت الركاب منه بلون ذهبي، وزين اللجام بعقد اللؤلؤ.

ستارهـــا فلـــك بيـــاده | در خدمت جون قضاي مبرم[١]
أي باركـــاه جـلال وقـدرش | براوج أفـــلاك زده مخـــيم[٢]
درازميانــــــه جون شاه أنجم | برجـار طارم بيش جون جم[٣]
بر راي عـــالي خفني نمانـد | جون خاص شاهان شوند ملهم[٤]
أربـاب عرفان از عزل كريان | وز نصب ذونان شادان خرم[٥]
واين طرفـه حـال جشم زمانه | هركز نديـــده فـيما تقـدم[٦]
حجلـة أفاضل أز درس محروم | جملـة أراذل بـادرس محرم[٧]
اين فرقـة تاكي معزول مانـد | درويش شامي دركوشه غم[٨]
أو عندليــب بـاغ كي يعـني | نغمــة سراي مـدح توهردم[٩]
نـه سال وشش ماه جند وايام | أزمان عزلـش أي صدر اكرم[١٠]
فاشفـع لـــه عاجـلاً بـدرس | من لطــف مفـتي الأنـام واسلمْ
ودم نظامــــاً للملــــك حـــتى | عقـد الثريـا في الأفـق يفصمْ
في عصـير ملـك الملوك أعـني | محمــــــــد الفاتـــــح المعظمْ

---

(١) كواكب الفلك تمشي في خدمتك، بقضاء مبرم أو حاسم.
(٢) وعظم قدره وجلاله، وخيم على الأفلاك.
(٣) وفي وسط تلك الكواكب جلست، مثل ملك النجم وهي تغرك وتجلك على الدوام.
(٤) وهو لا يخفى عليه أي شيء، لأنه ملهم وذو بصيرة نفاذة.
(٥) أرباب المعرفة مقربون إليه، لأنهم يجدون عنده ما يرفع شأنهم.
(٦) ولم تر عين الزمان مثله فيما تقدم من العصور.
(٧) كل أفاضل العلماء محرومون من وظيفة الدروس، وجميع الأراذل يقتربون من مكانها.
(٨) ومن هنا ينعزل الفقير الشامي مهموماً في زاوية من الزوايا.
(٩) والبلبل في الحديقة يصدح يذكرني صادحاً لك كل لحظة.
(١٠) وأنا من عشرة سنين أعاني من العزل أيها الصدر المكرم.

من آل عـــثمان من تـــلاه نصر من الله حيـــــث يمْ

تاطـــاق كردون بود مقرنس تاعقـــد بروين باشد منظمْ[1]

در ظـل عدلـت آسوده بـادا أربـــاب دانش والله أعـلم[2]

كتبتُ للجناب المولويّ علّامة الزمان، فهّامة العصر والأوان، صَدْر عُلماء الروم علماً وحلماً، وبدر سمائهم نعمى، صاحبُ الكَرَم العميم، والفضلُ الجسيم، قاضي العساكر المولى عبد الحليم، الشهير نسبه الخطير بأخي زاده، أجْزل اللهُ من التُّقى والعلم زَادَه، وقد انفصل عن قضاء روم ايلي، وأنشدتُها له في مجلسه العَلِي، قولي:

الغَيْر يرفعُ من عُلاه المنصبُ وسواك يرفعه الزمان وينْصِبُ

ولغير مجدك في الحوادث رَوْعَةٌ ممـــا عرا وتَزَلْزُلٌ وتَغلُّـــبُ

ولغير قَدْرِك خَافِضٌ وسواك مَنْ يجني عليه الدهرُ فيما يَجْلبُ

إذ كنتَ للإسلام طوداً ربده أمنٌ لنـا مما نَخافُ ونَرْهَبُ

فَحِمَاكَ من غِيَرِ الليالي مَعْقِلٌ وإليه من نُوَبِ الزَّمَانِ المَهْرَبُ

مولاي أنت المُجْتَبى من فِتْيَةٍ مـــا فِيهمُ واللهِ إلاّ مُنْجِـــبُ

بيتٌ سُرَادق مَجْده فوق السُّهَا وقبابُـه حيـث المَجَرَّة تُضْرَبُ

ولأنـــت أفضـــلُ عَالِمٍ آرَاؤُه كالشُّهْـــب إلاَّ أنهـــا لا تَغْرُبُ

بـك أشرقتْ شمسُ المعالي وانجلى عن وجهها من نُورِ رأيك غَيْهَبُ

لـك هضبةُ العِلْم التي لو زَاحَمَتْ أركـانَ رَضْوَى زال منه المنكَبُ

ولـك الشواردُ في البـلاد بمثلها مَوْلاي يعتـذرُ الزَّمـان المُذْنِـبُ

---

(١) وصل أثر عدلك إلى آفاق الأفلاك، حتى انتفعت به الكواكب في السماء.

(٢) وفي ظل عدلك يعيش ذوو العلم مرتاحين والله أعلم.

فِقَرٌ فَقـيرُ كُـلِّ رَبِّ بَلاَغَـةٍ   يومـاً لها لو أنّ ذلك يُعْرِبُ

لو مازجتْ خُلُقَ الزمان الصَّعْبَ لم   يَخْنِفْ عَلَيَّ ولان منه الأَصْعَبُ

فُقْتَ الأُلَى فبلغت غايات العُلاَ   وتركتَ غيرك في الحضيض يُؤَنَّبُ

لو أدرك النعمان عَصْرك أو رأى   أحكامَ فَضْلِك والقضايا مُصعَبُ

وبلغتَ في عِلم الشرائع رتبةً   مـا زال كلٌّ دونها يَتَذَبْذَبُ

لأقام عُذْر الصَّاحِبَيْن لديك في   مَا أَصَّلاَهُ وقال هذا المَذْهَبُ

أو لو رآك الفَخْرُ في أيّامـه   وهو الإمام أفَدْتَهُ ما يَطْلُبُ

أَسَرَتْ لك الأفواهَ أخلاقٌ زكتْ   نطقتْ بمدحك والجميلُ مُحَبَّبُ

لما سلكْتَ بهم طريقاً لم يكُنْ   لسِوَاك من طُرُق المَكارم تُنْسَبُ

تُعطي ولا منٌّ كأنك آخِذٌ   وتجودُ معتذراً كأنكِ مُذْنبُ

مولاي إنّي في ولائك صَادِقٌ   واللهُ يَشْهَدُ أنني لا أكذبُ

فاسْمَع مقالاً صادقاً من صَادِقٍ   والحَقُّ لا يُقلَى ولا يُتَجَنَّبُ

مـا كان مَنصِبُك الذي بك فخرهُ   يَهْوَى مفارقةَ الحَيَاةِ ويَحْسَبُ

لكنّـه لمـا توهّم أنّ في   جسم العُلَا من حَمْله ما يُنْصِبُ

أَلقَى على جَسَد شَواشِر ثُقْلِهِ   ليخفَّ عن مَولاه يوماً مِنكَبُ

ويعود مَسْروراً إلى أعتابِـهِ   مأوى العُفَاةِ سَقَى ثراها الصَيِّبُ

إيهٍ فدتكَ نفوسُ قومٍ برْقُهُمْ   في المكرُمَاتِ وفي المَعَالي خُلَّبُ

ظَنُّوا عُلاَك بمنصب فتشبَّهُوا   هَيهات يُخلِفُ عن ذُكاءٍ كوكبُ

أو تُخلِفُ الظلماتُ أنوارَ الهُدى   أو يَستوي ليلٌ وصُبْحٌ أشهبُ

أو يستوي البحران هذا مَاؤُهُ   مِلحٌ وذا عَذبٌ فُراتٌ طَيِّبُ

لو كان باستحقاقِ ذاتِ مَنْصِبٌ   ما فات قَدْرُكَ في البَرِيَّةِ مَنْصِبُ

لكنهـا الأقـدارُ تجري هكـذا   طَوْراً تُجيـبُ وتـارةً تتجَنّـبُ
مولاي إني في المعـالي رَاغِـبٌ   شَغَفـاً ومثلـي في المعالي يَرْغَبُ
وهي المدائحُ فيك فلينطقْ بها   عَنّي الرُّواةُ مُشَرِّقٌ ومُغَرِّبُ
أنـا في مديحـك سَيِّـدي حَسَّانُهُ   فاعطف على حَسَّانِ مَدْحك يَنْجُبُ
لا زالـت الأقدار وهي جليلةٌ   تجري بمـا تختـارُ أو تتحبَّـبُ
في أنْعُمٍ دوريَّــةٍ لا تَنْقضي   فيهـا عـلى طَول المـدى تَتَقَلَّبُ
وبنوك أقمارُ المنـازل والـذي   يحويه مجلسُك الفَسِيحُ الأرْحَبُ
مـا إنْ رَقَتْ خَطْبَاءُ مِنبَر أيكةٍ   رَأْدَ الضُّحَى تُثْنِي عليك وتَخْطُبُ
فتهيـجُ مِنّي لَوْعَـةٌ وصبَابَـةٌ   نحو الدِّيَار سَقَى حماها صَيِّبُ

بينه وبين المولى فيض الله

كتبتُ في أواخر جمادى الأولى عام عشرة بعد الألف، للمولى فيض الله[1]،حرس جنابه الإله، مداعباً في ليلة شاتِيِة، أثَّر بردُها في بعض الحاشية:

قـل لفيـض اللهِ مَوْلانـا   أدَام   الله   أُنْسَهْ

---

(١) هو فيض الله بن أحمد المعروف بابن القاف الرومي، فاضل من القضاة، أصله من الترك، وكان فصيحاً بالعربية عارفاً بأدبها، وله نظم.
ولي قضاء حلب، ثم قضاء الشام، فقضاء غلطة ثم استامبول.
ولد سنة ٩٥٠ وتوفي سنة ١٠٢٠ هـ.
انظر ترجمته في خلاصة الأثر ٣/ ٢٨٨ - ٢٩٢، وقد أورد مؤلفها كل ما ذكره المؤلف هاهنا مما بينه وبين القاضي فيض الله.

إنَّ نوع البرد هذا ... ما رأينا قطُّ جنسَهْ
هَجَم الدار وفيها ... عَقل الظالم عَنْسَهْ
وَجد المنزلَ خالٍ ... قد أجاد العبدُ كَنْسَهْ
فثوى بين ضُلُوعٍ ... لقيتْ ما لستُ أنْسَهْ
سمعتْ بالروم منه ... أنَّني أهل بَلَنْسَهْ
فاغِثْني يا غِيَاثِي ... من يَدَيْه بِوَلَنْسَهْ

وكنت أغشى زمان عَزْله، في كلِّ وقتٍ داره وحماه، وأجعلُ سَمِيري في ليل ذلك العَزْل قَمَر مُحَيّاه، وهو يَعِدُ ويُمَنّي بحُصُول بعض المطالب والمآرب، إذا ولي مَنْصِباً من بعض المناصب، فلما وَلي قضاء الغَلْطَة، صارت تلك المواعيد كأنها مُغْلَطة، وأما توليتُهُ قضاءَ إسْلَام بُول، فقد خاب الأملُ وخُيِّب المأمول، فكتبتُ إليه ولم أُعوِّل عليه، وذلك أوائل رجب عام أثني عشر بعد الألف:

لي صَاحبٌ في العَزْل يبصرُ دائماً ... ما لَيس في الأجْسَام يُدْرك بالبَصَرْ
فيكاد يحكُمُ عند رؤيته عَلَى ... طَوْقِ الحَمَامَةِ ثَمَّ ألوان أُخَرْ
ولرُبَّما نَظر النجومَ لَوامِعاً ... وقتَ الضُّحى ورأى السُّها قبْل القمَرْ
بَصَرٌ حديدٌ في الحديد نُفُوذُه ... كنفوذ أضْواءِ الأشِعَّة في الأكَرْ
فكأنّ زَرْقاءَ اليمامةِ كَحّلَتْ ... جَفْنيه من كحل لديها مُدَّخَرْ
ما زلتُ أنْهِلُهُ مياه مَوَدَّتِي ... وأعَلُّ منه الصّفْو خالٍ من كَدَرْ
لا صبر لي عَنْه نهاراً كاملاً ... وكذاك عني ليس فيه مُصْطَبَرْ
وإذا جَرى ذكرٌ له في مَجْلسٍ ... جَادَلْتُ عنه بالخُصومة من حَضَرْ
أما الصَّداقة والعلاقة بيننا ... فحديثُها بين الأنام قد اشْتَهَرْ

حتى إذا وَلِيَ القضاءَ رأيتَه أعْمَى البصيرة فيه مكفوفَ البَصرْ
لا يهتـدي سُبُـلَ الرَّشاد لِقائـدٍ كَمْ حَـذَّرُوه منه لو نَفَع الحَذَرْ
لو شام بـــارقَ دِرهم لِجَهَنَّمٍ أهْوَى ليأخـذَه ولو كانت سَقَرْ
فغـدوتُ منه مثلَ هَمْزَة واصلٍ أورًا واصِلٍ حين لفظتُها هجرْ
لكن أقمتُ على التَّبَاعد عُذره والدَّهْرُ فيــه عِبْرَةٌ لمن اعْتَبَر
ورأيـتُ أحسن ما يُقال لمثلـه يوماً « إذا جاء القَضَا عَمِيَ البَصَرْ »

تعرفه بالشهاب الخفاجي

ولما أن رست بنا جواري الفُلْك، بمرسى الخلافة العظمى ودار الملك، وأزلت عني وَعْثاء السَّفَر، شَرَّفني بالحُضُور فيمن حضر، الشَّابُّ الفاضل، اللوذعيُّ الكامل، أديب عصره، وأريب مِصْره، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري[1]، فسألتُه عن مولده ومنشأه، وقد أتحفَني بشيءٍ مما حَبَّره ووشاه فقال: أمّا المولد فالقاهرة المعزِّية، وأما

---

(١) أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري، قاضي القضاة وصاحب التصانيف في اللغة والأدب، ولد سنة ٩٧٧ هـ ونشأ بمصر ورحل إلى بلاد الروم، واتصل بالسلطان مراد العثماني فولاه قضاء سلانيك ثم قضاء مصر، ثم عزل عنها فرحل إلى الشام وحلب وعاد إلى بلاد الروم، فنفي إلى مصر وولوه قضاء يعيش منه فاستقر فيه إلى أن توفى سنة ١٠٦٩ هـ، من أشهر كتبه: « ريحانة الألبا » ترجم به معاصريه على نسق كتاب اليتيمة للثعالبي، و « شفاء الغليل فيا في كلام العرب من الدخيل »، وطراز المجالس وشرح درة الغواص للحريري، ونسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض وكلها طبعت، وله غير ذلك من الكتب التي تنتظر النشر.

انظر خلاصة الأثر ١/ ٣٣١، ومقدمة كتابة الريحانة.

المنشأ فالأكثر بالدِّيار الحجازية، ولم يزل يُشَنِّفَ الآذان، ما لم نسمع بمثله إلى الآن، من رائق شعره، وفائق نظمه، ونثره، بما يهزَأُ من الرَّوْضِ بخميلته الرَّيَّا، ويُزْرِي بعُقُود نظام الثُّرَيا، فمن ذلك ما كتب به إلي بهذه القصيدة السِّينيّة، المُخجلة الأشعار بطلعتها السَّنِيَّة، قوله[1]:

قَبَّلْتُ مُصْطَبِحاً شِفَاهَ الأكْؤُسِ ... والصُّبْحُ يَبْسَمُ لي بثَغْرِ ألْعَسِ

حتّى بدا أثر الغزَالة[2] واختَفَى ... مِسكُ الدجى عند الجواري الكُنَّسِ

والنهرُ سيفٌ من لُجَيْنٍ ذائبٍ[3] ... وله حَمَائِلُ من خَمَائِلِ سُنْدُسِ

أو صَدْرُ أغْيَدَ فاتِحٌ أطْوَاقَهُ ... وله من الأزْهار حُلَّة أطْلَسِ[4]

والطيرُ تَشْدُو والغُصون رَوَاقِصٌ ... طَرَباً بثَوْبٍ من نَباتِ سُنْدُسِ[5]

وسَنا الكُئُوسِ حُلِيُّ راحَاتِي وَقَدْ ... أمْسَت طرازاً في ثياب الحِندسِ[6]

وعلى الخَلاعةِ لِيْس جيدي عَاطِلاً ... من حِلْيَةِ الفَضْلِ العَزيز الأنْفَسِ[7]

وإذا بَدا هَيَفُ القُدُودِ فإنَّني ... وَقْفٌ على شَجَنِي المُذيب الأنْفُسِ

---

(١) أورد الخفاجي القصيدة التالية في كتابه الريحانة ١/ ٥٥، مقدماً لها بقوله: فمما كتبته إليه لأستمطر سحائب طبعه الغر، وأستجدي كرماً من رقيق خلقه الحر، وأستمري منها ماء الحياة على غلة، قطرات لو وقعت في بحور الأشعار لم يكن بها علة، قولي: وكذلك أورد المحبي في خلاصة الأثر ٢/ ١٥٣ مفتح هذه القصيدة ومفتتح قصيدة الطالوي التي أجاب بها.

(٢) في الريحانة: حتى غدت منه الغزالة

(٣) في الريحانة: والنهر سيف والنسيم فرنده.

(٤) في الريحانة:

أو صدر خود فتحت أطواقها ... أو شققت للوجد...

(٥) في الريحانة: في وشي ديباج الربيع السندسي.

(٦) لم يرد هذا البيت في الريحانة:

(٧) وكذلك هذا.

ولواحظٌ مَرْضَى بها اعْتَلّ الصَّبَا   والصَّبُّ بالسُّقْمِ المُبَرِّح مُكْتَسِي
فتنتْ بأنفسها ففيها عِلَّةٌ   من وَجْدِها وفُتورُ مَهجور نُسِي
ولكُمْ قطفتُ ثمارَ لَهْو أيْنَعَتْ   وغَفَلْتُ عما قد جَنَى الزَّمَنُ المُسِي
وطَرَدْتُ آمالي براحة عِفَّتِي   إن التَّمَنِّي رأسُ مَال المُفْلِسِ
شَانَ التَّلَمُّسُ وَجْهَ[1] شِعْرِي بُرْهَةً   فطرحْتُه كصَحِيفة المُتَلَمِّسِ
وكحلتُ طَرْفِي بالسُّهَادِ صَبَابَةً   ووهبْتُ نَومي للعُيُون النُّعَّسِ
ونظرتُ خَدَّ الوَرْد لما احْمَرَّ من   خَجَل وقد بُهِتَتْ عُيُونُ النَّرْجِس
وأظنُّ خَجْلَتَه لخدِّ الطِّرْس إذْ   أمْسَى بوَشْيِ غِدار شعرك يَكْتَسِي
يا عقدَ جيد الدَّهْرِ غُرَّةَ مَجْده[2]   وطراز ما زان[3] العُلَى من مَلْبَس
بل كعبةٌ حَجَّتْ لها آمالُنا   فدَنَتْ إلى حَرَم الكَمَالِ الأقْدَسِ
من آل طَالُو والألى[4] طالوا لورَى   بذُرَى أشَمَّ من المعالي أقْعَسِ
بمناقب تُلِيَتْ لنا آياتها   عنها يكادُ يَبِينُ نُطْقُ الأخْرَسِ
ورياضِ طبع بالفضائل أثمرتْ   وغَدَتْ تحدثنا بطيب المغرسِ
أسْكَرْتَنَا بسُلَافِ شعر لفظُهُ   كاسٌ لها سمعي وفكري يَحْتَسِي[5]
وسَرَت له نَسَمات سِحْر رقَّصَتْ   طرباً لها عَقْلَ اللبيب الأكْيَسِ
فاعجبْ لها من أكْؤُس ما أبْرزتْ   إلّا رآها اليَوْمَ نقلُ المَجْلِس[6]

---

(١) في الريحانة: رام التلمس بذل...
(٢) في الريحانة: فجره... ما حال.
(٣) في الريحانة: فتية.
(٤) في الريحانة: كاس له فكري بسمعي محتس.
(٥) في الريحانة: الذوق بدل اليوم، والنقل: ما يتنقل به على الشراب من فواكه وكوامخ وغيرها.

وسِهام أقلام له تُضحِي العِدَا … وتظـلُّ بـين مُسَدَّد ومُقَرْطَسِ
نَاجَيْتُـهُ وشهابُ فِكْرِيَ قد دَجَا … وصَبَاحُ صَفْوِي عنه لم يَتَنَفَّسِ
فجـلا السُّرورُ لـه بثغرٍ باسِمٍ … طَلْق الجَبين بوجه يوم مُشْمِسِ
فإليكَها مِنّي قَوَافِ رَوْضُها[1] … زَاه بغير يَد النُّهى لم تُمْسَسِ
بكراً إلى كُفـئٍ تُزَفُّ ومَهْرُها … نَقْـدُ الجواب براحة المُتَأَنِسِ
لا زلـتَ في حُللِ المَسَرَّة رافِلًا … مـا حَدَّقَـتْ ليلًا عُيُونُ الخُنَّسِ

ولما أبت أنوار ذلك الشهاب، إلا استدعاء رفع الحجاب، عن وجه الجواب، على حين خط المشيب، وتزوّى رداء الشباب القشيب، لم أجد من الإجابةُ بُدًّا، فنظمت بهذه اللآلىء عقداً:

خَـدٌّ تَوَرَّدَ من لهيـب تَنَفُّسي … أم قَـدُّ مَعْسُولِ المَرَاشِفِ ألْعَسِ
من ريم وَجْرَةَ أو جـآذرِ حَاسِمٍ … لَبس الشَّبَابَ الرَّوقُ أحْسَن مَلْبَس
متوشِّحـاً خَطِّيَّ قَامَتِـهِ فـإنْ … ماسَتْ فيا خَجَلَ الغُصُونِ المُيَّسِ
وإذا رنـا فاللّحْظُ منـه بَابـلٌ … هـاروتُ فيـه نُطْقَهُ كالأخرسِ
أم عِقْـدُ غانية الحسان زَهَتْ به … تِيهاً على زُهرِ الجَواري الكُنَّسِ
أم لؤلؤٌ رطـبُ تؤامٌ زانـه … حُسْنُ النظام بجيد ظَبْيَة مَكنس
أم رَوْضَـة غنـاءُ غَنَّت في ذُرا … أغصانهـا وُرْقٌ بلحن مُؤْنِسِ
حاكـت لها أيْدي الجَنُوب مطارفاً … وكستْ معاطفها غَلَائل سُنْدُس
مـا بين أصفرَ فاقعٍ أو أحمرٍ … قـانٍ وأبيـض ناصع ومُورَسِ
أم غـادةٌ هيفاءُ أذكَرَتِ الصِّبا … صَبًّا تناسَى العَهْـدَ منه وما نَسِي

(١) في الريحانة: فإليكها مني قوافي دوحها.

وأتتْ وأفراسُ الصّبا قد عُرِّيتْ ‏ والقلبُ أقْصَر عن هواه وما أُسِي[١]

وافتْ وفيَّ بقيةٌ أَلْهُو بها ‏ من شَرْخِيَ الماضي تَعِلَّةَ مُفْلِسِ

من ماجدٍ وشهاب فضْل ثَاقِب ‏ حُلْوُ الشمائِلِ بالفَضائِلِ مُكْتَسِي

فظننتُ ريعانَ الشباب أُعيدَ لي ‏ حتى الوِصَالُ من الحبيب المُؤْيِسِ[٢]

فطفقتُ أهْصِرُ بانةً من قَدِّها ‏ والقَلْبُ بين تَوَجُّسٍ وتَهَجُّسِ

حتى اطمأنَّتْ فاجتليتُ بوجهها ‏ قَمَرَ السَّماءِ بليل شَعْر حِنْدِسِي[٣]

لَمّا بدا خفيتْ له شمسُ الضحى ‏ في ثَوب غَيْم ترتديه وتكتسِي

نطقتْ مناطقُها فأخْرِسَ دونَها ‏ نُطقُ الفصيح وحارَ فكر الكَيِّسِ

لِمْ لاَ وناظِمُها الشهابُ من اعتَلى ‏ شُهُبَ العلا بكمال فَضْل أقعَسِ

فرعٌ نماه إلى خَفَاجَةَ مَحْتِدٌ ‏ والفَرْع ينبيءُ عنه طيبُ المَغْرَسِ

وأنت لنا منه حَديقةُ روضةٍ ‏ فجلتْ لبهجتها عيونُ النَّرْجِس

طِرسٌ به .زُهْر النجوم كأنَّه ‏ صُبْح وَهُنّ بقايا حِندس

لثمتْ شِفاهُ الغيد قِدْماً نِقْسَهُ ‏ فَغَدا لَمًى فيه شِفاء الأنفس[٤]

إني لأعجبُ من شهاب قد سَمَا ‏ مُتَبوِّىءَ العَلْياءِ أرفعَ مَجْلسِ

والشُّهْبُ تطلُعُ في السماء وَخِدْرِها[٥] ‏ فَلَكُ الثوابت وهو فوق الأطْلَسِ

لا زال في حُلل الفضائل رافلا ‏ متوشّحاً بُرْدَ الشَّباب الأنْفَسِ

---

(١) وما أسي: أي ما عولج من مرضه.

(٢) في الريحانة: المؤنس.

(٣) الحندسي: نسبة إلى الحندس وهو شدة الظلام ويعني به السواد.

(٤) النقس بكسر النون: المداد، واللمى: سواد محبب في الشفة، وفي الريحانة: فغدا له فيه حياة الأنفس.

(٥) في الريحانة: وحدها.

خُذْها وإن كانت مُقصِّرة فَمِن شأن الكرام قَبُولُ عُذْرٍ مِنْ مُسِي
شامِيَّةً يعنو لباهر حُسْنِها وجهُ الغزالة والغزال الألْعَسِ
وانعَمْ بها لا زلتَ تُرْشِفُ سمعنــا من راح نَظْمك مُترعاتِ الأكْؤُسِ

وبما نظمتُه بأواسط جمادى الآخرة، وأنا بدار الخلافة السنية قسطنطينية المحرّمة، لسُلْطانِ المغرب مولاي أحمد المنصور، مُفتتحاً فيها بذكر رسوله الشيخ الفقيه عبد العزيز بن الثعالبي(١)، فسَّح الله في مُدَّته، قولي(٢):

لعبدِ العزيز الأوْحدِّي الثَّعَالبي بدائعُ فاقتْ مُبْدِعاتِ الثَّعَالبِي
فما بَعْدها في الدهر تُلْفَى يتيمةٌ ولا قبلها وَشَّتْهُ أقلامُ كاتبِ
سَوادُ سُطور في بَياضِ مَهارِقٍ وشَامٌ عَلى خَدٍّ لحسناءَ كاعبِ
وإلاَّ لَمَى وَسْطَ الشِّفاهِ يُعَلُّ من جَنَى النحلِ مَمْزُوجاً بماء المَذَانبِ(٣)
وإلاَّ رياضٌ قد كسَتْها يدُ الصَّبا طرائفَ وَشْيٍ من نسيج السَّحائِبِ
كأنَّ عليها عَبْقَرِيَّ مَطَارِفٍ ومن حُلَلِ الدِّيباج وَشْيَ عَصَائِبِ
فكيف ترى عينٌ يتيمةَ دهرها وأمُّ سَجَايَاه ولودُ الغَرَائِبِ
فلّلهِ مَوْلًى قد شَهِدْنا بما وَشَى مكاتبةَ الصَّادَيْنِ صَابٍ وصَاحِبِ(٤)

---

(١) هو عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الفشتالي، أبو فارس، وزير السلطان المنصور، وقد تقدمت ترجمته.

(٢) أورد البوريني في تراجم الأعيان ٢/ ٢٠٨، ٢٠٩ بعض أبيات القصيدة التالية.

(٣) المذانب: جمع مذنب بكسر الميم وهو مسيل الماء إلى الأرض.

(٤) يقصد بها الكاتبين الشهيرين أبا إسحاق الصابىء نابغة كتاب جيله والذي كان رئيساً لدواوين الرسائل والمظالم والمعاون في أيام المطيع لله العباسي، ثم لمعز الدولة البويهي وابنه عز الدولة، وقد توفى عام ٣٨٤ هـ. =

حَوَى المجدَ طِفلًا والسِّيادة يافِعاً ... وحازَ المعالي في كِرامِ المناسِبِ
وأحْرزَ فَضْلَ السَّبْقِ في حَلْبَة العُلَا ... جَوَاداً كريماً يا لها من مَنَاقِبِ
وطال سَماءَ الفضل فاقْتَعَد السُّهَا ... وحَلَّ من الجُوْزَا نِطَاقَ الكواكبِ
وحكّم في نظم القَريض خَواطِراً ... أبَتْ غير نظم النَّيِّرات الثَّوَاقِبِ
فما يَشْكُرِيُّ القوم[1] يوماً وإن شدا ... بنظم القوافي عنده غَيْرُ ناعبِ
فكم بنتُ فكر قد جَلَاها بَيَانُه ... علينا وما غيرُ الأديب بَخَاطِبِ
عرائسُ تُجْلَى في منصة منطقٍ ... هو السِّحْر إلَّا أنه غير كاذبِ
شُمُوسٌ تبدّت في مطالع مَغْرب ... جلا ضَوؤُها عنا ظلام الغَيَاهِبِ
عَجِبْنا لها من مطلع الغرب أشْرَقَتْ ... ولم نر شمساً أشرقت من مغارب
أضياء سَنَاها الخافقَيْن وقد سَرَتْ ... شَوَارِدُها مَسْرى الصَّبا والجنائبِ[2]

= أما الصاحب فهو إسماعيل بن عباد المعروف بالصاحب، وكان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وتدبيراً، وقد استوزره مؤيد الدولة به بويه الديلمي ثم أخوه فخر الدولة، ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة من صباه فكان يدعوه بذلك، وكان صديقاً للصابىءكثير المودة له على البعد، وقد اختلف في التفضيل بين الرجلين أيهما أحسن كتابة وإنشاء. توفى سنة ٣٨٥ هـ.

(١) يشكري القوم: يعني به المنخل بن مسعود بن عامر اليشكري، شاعر جاهلي غزل، كان ينادم النعمان بن المنذر، ومن أشهر شعر المنخل رائيته التي مطلعها:

إن كنت عاذلتي فسيري ... نحو العراق فلا تحوري

قالها في هند بنت عمرو بن هند، وكان من أجمل الناس صورة حتى ليقال إن زوجة الملك النعمان عمدت ذات مرة إلى قيد فجعلت رجلها في إحدى حلقتيه ورجل المنخل في الأخرى شغفاً به، وجاء النعمان فرآهما على حالها فأمر بالمنخل فقتل، ويقال إن عمرو بن هند هو الذي قتله لتشبيبه بابنته، وعلى كل فقد ضربت به العرب المثل في الغائب الذي لا يرجى إيابه، يقولون: لا أفعله حتى يؤوب المنخل.

انظر الأغاني ٩/ ١٥٨، ١٨/ ١٥٢، والشعر والشعراء ١٥٠.

(٢) الجنائب: جمع جنوب وهي ريح لينة تهب من الجنوب، ويقال: ريحهما جنوب، إذا كانا متصافيين.

وفي ثَني بُردِها ثنــاءٌ تَبثُّــه لَطَائِمُ مَدْحٍ فاق عِطر الكَواعِبِ
كأنَّ صَبَا دارين فَضَّتْ عشيَّةً على عِطفها المَيّاسِ مِسْكَ الحقائب
ومرَّتْ[1] بوادي الشِّحْرِ مجتــازةَ اللِّوَى
لِوَى الرَّمل فيه البان مُرْخَى الذَّوَائِبِ
تجاذَبُ من نجدٍ شَمِيم عَرَارِه فيرنُو لها الجُوذَان عن لَحْظِ غاضِبِ
ووافتْ حِمَى الزَّوْرَاء لَيْلاً فسَاجَلَتْ على الكَرْخِ داراً بالدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ
وطافَتْ[2] رياضَ الحائِرِيَة وانثنتْ تُبَاري الصَّبَا والليل في مِسْحِ رَاهِبِ
وللمغرب الأقْصى ثَنَت من عِنَانها تَؤُمُّ حِمَى البيضاءِ عَزَّتْ لِطَالِبِ
بحيثُ ترى البيتَ الامامِيَّ مُعْقَلاَ تُطِيفُ به الأملاكُ من كُلِّ جانبِ
مَجرُّ العَوالي السَّمْهَرِيَّةِ والقَنَا ومَجْرى الجياد المُقْرَبَاتِ لِسَلاَهِبِ[3]
عليهــا أُسُودٌ أنَّسٌ يوم سِلْمِهــا وفي الحرب تُلْفَى داميات المخالب
توشَّحت الغُدْرانُ تحت جداول إذا انْتُضِيتْ فالهَامُ غمدٌ لِضَارِبِ
بهــا يكلأُ الله الكنانةَ في حِمَى مليكٍ قَصِيِّ العَزْم دَانِي المَوَاهِبِ
حِمَى الملك المنصور مولاي أحمد إمام الهدى رَامي العِدا بالمقانِبِ
أسود عـلى متن السَّراجين غابها من الأسَلِ لخَطِّيِّ دامي الثَّعالِبِ[4]

---

(١) من هنا وحتى سبعة عشر بيتاً تالية هي ما ورد في تراجم الأعيان.

(٢) ي تراجم الأعيان: وطابت.

(٣) المقربات جمع مقربة بضم الميم وفتح الراء: الفرس أو الناقة القريبة المعدة للركوب. والفرس تكرم فيقرب مربطها ومعلفها، والسلاهب جمع سلهب وهو الطويلة من الناس والخيل.

(٤) الثعالب جمع ثعلب وهو طرف الرمح في أسفل السنان، وفي تراجم الأعيان دامي المخالب بدل الثعالب.

تُلَوِّى بأيـدي الدَّارعـين كأنَّهـا صِلَال نَقـاً مَذعُورة عن مَسَارِبِ

ترى السَّرْدَ نَهبـاً والقَتير حُبَابُه فتكرَعُ في حَوْضٍ من الدم رَاعِـبِ

مؤيـد شَرْع اللهِ مُشْتَجر القَنَـا ومُعْـترك الهَيْجَا بماضِي المَضَارِبِ

سليلُ القضا إن يُنْتَضى يوم مَعْرَكٍ وفيـه المنايا مزقت في الكتائبِ

ومجري الجواري المنشآت إلى العِـدا بموج من الأبطال طامي الغواربِ

من الجانب الغَرْبي ناداه ذو العلى وفي لقـب المنصور نُصْرة غالِبِ

سميٌّ رسول اللهِ وابنُ وصِيِّـه ووالـدِ سِبْطيـه علِيٌّ المناقِبِ

ومن رُدَّت الشَّمس احتراماً لَهُ كما ليُوشع رُدَّتْ غـير أنْ لم يُحَارِبِ

بلى كان رأسُ المُصْطفى وَسْطَ حِجْره وجبريلُ مُلَقِي الوَحْيَ في زِيّ صاحبِ

وفي خيـبرٍ إعطاؤه الرايةَ التي تَطَـاوَلَ كـلٌّ نحوها بالمناكِبِ

فكـان بها أولى وكانَتْ به حَرَى كما كـان منه الفَتْحُ ضَرْبَةَ لاَزِبِ

وإياك أن تَنْسى الغَديرَ وقد جَرَى لمن كـان مولاه وَدَعْ قولَ ناصِبِ

فيـا رتبةً قد أرغمتْ دون نيلها مَعَاطِسَ قَوْم وهي شُمُّ الأرَانِـبِ

وقـد أتبعوها نظرةً مثل وَامِقٍ لـه نظرٌ اثْرَ النُجُوم الغَوَارِبِ

فيا ابن الأُلى هَذِي مَنَاقِبُ فَخْرهم وهل بَعْدَ هذا الفَخْر شَأْوٌ لطالبِ

لَعِنْـدِي على نَأْيِ الدِّيار وبُعْدها قلائـدُ نَظْمٍ كالنُّجُوم الثَّوَاقِـبِ

ولكنْ قوافي الشِّعر كيـف أُجِيدُها وفيكم أتى التَّنْزيلُ يا آلَ طَالِبِ

وإنّي وإن شَطَّ المَزَار لَراجِـعٌ إلى وُدِّ ذي القُرْبى مَوَدَّة رَاغِبِ

ولولا عجوزٌ في دمشق وصِبْيَـةٌ كزُغْب القَطَا يَرْقُبْن من وُدٍّ قَارِبِ

لزُرْتُ حِمَى البَيْضاء يَسْطَعُ نُورها بهَدي إمامَ العَصْرِ من سَدِّ مَأرِبِ

ولو أنَّ عُمْرَ المَرْءِ وافٍ بهِمَّـةٍ شَقَقْنا إليك البَحْر فوق نَجَائبِ

أبَتْ آنفاً تُعزَى لِشَدْقَمَ أو تَرَى بمهرة من شكل لها أو مُناسب[٣]

ولكنّها الأعْمار تجري لِغَايَـــةٍ ومَعْرِفَـةُ الغايـاتِ بعد المَذَاهِبِ

وإنّي لأهْوَى أن أكونَ مع الصَّبَا رَسُولاً إلى البيضا لتُقْضَى المآرِبِ

لـدى مَلِـكٍ دَانِي النَّوالِ وكَفُّه لِرَاجِيهِ أنْدَى من عُيُونِ سَوَاكِبِ

عـلى كل خَطٌّ من أسِرَّة وَجْهه دليـلٌ على أن الرَّجا غيرُ خَائِبِ

لِسُدَّتِـهِ مـأوى العُفَـاةِ بعثتُهـا قوافٍ عسى عَنّي تقوم بواجِـبِ

عليهـا من المَدْح الإمامِيِّ جوهرٌ تَرَقْرَق مـاءً من مُتُونِ العَوَاقِبِ

عـلى صَفَحَات الدهر بَاقٍ فِرِنْدُه بَقَاء سَنَا الإشْراق ليس بذاهِبِ

نظامـاً بَديعـاً طَالَوِيًّا نِـجَارُهُ نَشَا في رياض الشام مَغْنى الحَبايِـبِ

بربوتهـا ذاتِ القرار مَعِينهـا جرى كوثراً ينسابُ لَذّاً لشارِبِ

بـلادٌ بهـا الحصباءُ دُرٌّ وتُرْبُها عَبيرٌ وأنفاسُ الصَّبا نَشْرُ كاعِبِ

سقاها وحَيّاها الإلـهُ مَعَاهِداً سَحـابَ دُنُوٍّ من خَليل وصَاحِبِ

تُقَبِّـلُ عَنّيَ سُدَّة المَلِـكِ التي بهـا قد سَمَا فَخْراً لُؤَيُّ بن غَالِبِ

عليهـا سلامُ الله مـا ذرَّ شَارِقٌ ومـا طلعتْ سَيَّارةٌ إثر غائِبِ

(٣) شدقم كجعفر: فحل للنعمان بن المنذر ومنه الشدقميات من الإبل، ومهرة: قبيلة من قضاعة تنسب إليهم الإبل المهرية، ولهم باليمن مخلاف بينه وبين عمان نحو شهر، وبينه وبين حضرموت كذلك. معجم البلدان ٤/ ٧٠٠.

في مدح مصطفى أفندي صاري كرز المفتي

ومما كتبتُ به من القصائد الملمّعة، والأبيات المتمنّعة، وأنا بالروم أوائل جمادى الأولى عام اثني عشر وألف، إلى الجناب الأحمى، والمحل الأسمى خير الأنام مصطفى أفندي[1] شيخ الإسلام مُفتي الفرق الإسلامية بالديار الرومية، علّامة العلماء الأمجد الأغر، الشهير نسبه الكريم بصاري كرز، قولي:

لَمنزلٌ بِرُبَى الشَّامِ معهدِ الأحْبَاب
مُراد ليست جوبنياد مكرمات خراب[2]

تبيت تخفق بالروم من تذكره
بسان ماهي برسنك تفته در طبطاب[3]

غريب طرز لسان وليس له | سوى الحنين إلى الشام مطعم وشراب
موكل بسري النجم طرفة أبداً | وإن ينم فلمسري خيالها المنتاب

---

(١) أشهر متأخري العلماء بالروم وأغزرهم مادة في المنطوق والمفهوم، اشتغل بالتدريس في مدارس كثيرة حتى وصل إلى السليمانية؛ ثم ولي قضاء الشام ثم قضاء بروسة فأدرنة ثم قضاء دمشق، وفي دمشق مدحه شعراؤها بقصائد كثيرة، ثم كان في آخر الأمر قاضياً لقسطنطينية والعسكرين.

له مؤلفات منها: حاشية على الدرر والغرر، في الفقه الحنفي، وحاشية على إبن مالك، توفى نحو سنة ١٠٤٠ هـ وقيل ١٠٣٠.

انظر خلاصة الأثر ٤ - ٣٩٠ - ٣٩٢، نفحة الريحانة ٣/ ١٠٥، الأعلام ٨/ ١٤٣.

(٢) أي: ولي قلب مكسور قد مر من الهموم والكروب.

(٣) مثل السمك على الحجر الساخن يضطرب.

ولي رميــــده جـــه كفتم ولي جـــه كويـــة دلي[1]

مروع بعتـــــاب مهـــــــدد بعقـــــاب

ولي ياقت منتهاي شرح أسير[2] وليس بـين مقيم وراحل منـاب

دلي نـه نيست نـه ست نـه هوشيـارونـه مست[3]

يظـــل يصـــدف حـــيران مـــالـــه أصحـــاب

ثوى بحظـــــــه روم حليـــــــف أهويـــــــة

نـــه منزجر رعـــاب ونـــه مستحـــق ثواب[4]

لـه إذا ذكر الشام عبرة وضنى جو جشم پا جور حسار مردم لي آب[5]

سقى الله الإله ثراها وجاد معلمهـــا كمدمع ورعى من بها من الأحباب

فبعدهـــا لي حـــالان مضطربـــان هما

كهى زنالة رباب وكهي زانك شراب[6]

وهكـذا أنا بالروم أو تلاحظني عنايـة لإمـام العلوم والآداب

سمي صاحب لولاك مصطفاه ومن سري بـه لسماه وخصـه بخطاب

مـــلاذ شرع مبـــين دنيـــاه ملـــت ودين

كـــه بـــاد دركـــه عـــاليش منتهي الطـــلاب[7]

---

(١) لا أدري ماذا قلت ولا ماذا يدور في خلدي.

(٢) قلب يكون أسيراً بحبه في النهاية.

(٣) قلب مضطرب دائماً وليست له وجهة محددة.

(٤) ليس منزجراً بالعقاب ولا مستحقاً للثواب.

(٥) مثل العين أو مثل خد الناس لي أب.

(٦) حيناً من نغمة رباب، وتارة من دمعة الشراب.

(٧) ملاذ الشراع المبين، ومرشد الملة والدين، وبلاطه العالي مرجع للطلاب.

شده براي همه بأس طاف زرش
جوركن كعبة بيت الحرام فيه مثاب[1]

إمام علم وعمل مقتداي دين ودول[2]
برأيه ظُلَمُ الظّلم عنها تنجاب

إمام وقت وليكن بجشم أهل حجاب بصدر مسند فتوى نتشه درسباب[3]

جهانيان همه درزير سايه اش كشته
كه أوست مصدر أفعال كوهر نايات[4]

إمام وقت كه كفتم جراته كويم غوث
جوشده بيرون محيط دوائر ناب[5]

بكوش هوش اكر صفاكني بكويم باز
حديث غوث زمانه أذو راي حجاب[6]

هو الإمام وقد نص في فتوحات على إمامته الشيخ آخر الأبواب
وقال فيه: ولله في خليقته بكل عصر بشير ومنذر أواب
هو السراج سناه الظهور مؤتلقاً ونوره نظر العين يبهر الألباب
هو الشخيص بأنفاسه تدور رحى الدهور فاضغ إلى الحق لا تكن مرتاب
وكن فديتك من عارفي زمانك في إمام عصرك حتى تفوز يوم حساب

---

(١) يلتجيء إليه جميع الناس، كما يلتجئون إلى ركن الكعبة.
(٢) إمام العلم والعمل رائد الدين والدول.
(٣) فريد عصره ولكن الجاهلين لا يرونه وهو فوق كرسي الفتوى.
(٤) العالم كله مستظل بظله، لأنه منبع الأفعال النافعة كالجوهر النادر.
(٥) وصفته بإمام الزمان، لماذا لا أقول إنه غوث لأنه يعتلي الدرجات العلا ويختص بخطاه الأقطاب.
(٦) إذا أصغيت بجد وحزم، أقول لك مرة أخرى حديث غوث الزمان المتواري بالحجاب.

كـي نـدانـد ومـيرد إمـام عصر خودش
بجهل مير دوان جهل وذو حسب وعذاب[1]

وثَمَّ غامِـضُ سِرٍّ في كَشْفِـهِ حَرَجٌ
وفي الإشارة معنًى وفي السكوت جواب

كذاك كنتُ فلما عَرَفْتُ قَرَّبَني
من حضرةٍ لي زُلْفَى وحُسْن مآب

في سُدَّةٍ أنا فيها وَصَّافُ حضرتها
وماءُ شعري رِيٌّ وما سواه سراب

أدامها لي رب العباد وارفة
ظلالها وسقاها ختم الرحيق مذاب

وزاد بهجتها من شهود وحدته
فإن من شهد العين عن سواها غاب

وما كتبت به أيضاً وأنا بالروم لجناب الوزير الأعظم، والدستور الأكرم الأفخم، علي باشا - يسَّر الله له ما يَشَا - وقد ورد من الديار المصرية، ومنازل القاهرة المعزية، بعد أن ساق منها من العدل ما شاع وذاع، وملأ الآذان الأسماع، وقد حصل عند قدومه جلوس السلطان أحمد بن السلطان محمد، ثامن رجب الفرد، عام إثني عشر بعد الألف، اللهم خلّد سلطنته إلى آخر الزمان، وأيِّد مُلكه إلى منتهى الدَّوَران، مُلَمِّحاً فيها لما ذكره الشيخ الأكبر[2] في حَلِّ جَفْره، خلال نظمه ونَثْره، وأنشدتُها له في مَجْلِس حُكْمه، مُشيراً في آخرها بطلب فتوى الشام، قولي:

(١) إذا لم يعرف أحد إمام عصره ومات جاهلاً به، سيلقى عذاباً شديداً.

(٢)

(٣) يعني به الشيخ محيى الدين بن عربي إمام المتصوفة القائلين بوحدة الوجود، وكان المؤلف من المعجبين به القارئين لكتبه.

بُشْراك ثَغرُ العُلَا تَبَسَّمْ وَعُرْفُ رَوْض المُنـــى تَنَسَّمْ
وغُرَّة الدَّهرِ قــد أضَـاءَتْ بشمس عَـدْلٍ جَلَت دُجَى الهَمّ
وأنجم العِزِّ مُشْرقَــــاتٌ طوالـــعُ سَعْدِهـــا مُحَكَّمْ
في بُرج سَعْــد لـــه ثبـاتٌ والضــد في العكس منه خَيَّمْ
ورَقّ وجْــهُ الزمـــان حُسْنـاً فهو بمـــاء النَّعـــيم يُزْهَم
وطائرُ السَّعــد فوق بَـــانٍ بصوتِ ألحانــــــــه ترنَّمْ
والدَّهر رَقّــتْ لــه حَوَاسٍ طرازهـــا بالشَّبـــاب مُعْلَمْ
وعــــاود الرُّومَ من سُرُورٍ ومن حُبُور مـــا أذهــب الغَمّ
ما ذاك إلاّ من أجل بُشْرى بمقــدم الآصِــفِ المُقَــدَّمِ
فلــك معـــالي شهير رفعـــت بلندهمــــــت وزير أعظم[1]
عـــلي سمي شه ولايـــت أمـــير بطحـــا خديو زمزم[2]
دستور منظم شهريــــــاري بنـــاه ملـــت نظـــام عـــالم[3]
فخرُ السلاطـين خـــير ملكٍ قائـــــده النصر حيـــث يمم
أحمدُ ظِــلُّ الإلـــه فِينَـــا سَبَّـــاقُ غايـــاتِ مَنْ تَقَـــدَّمْ
من آل عـــثمان في صَمِـــيم صَمْصَامُـــهُ في العِـــدَا مُحَكَّمْ
أحمدٌ خـــيرُ الأنـــام طُرًّا أحَمَدُهـــــــا سيرةً وأحْكَمْ
جُلُوسُه كــــــان في قِران وطالـــعُ السَّعْــدِ قـــد تحكّم
لـــه الوزيرُ الـــذي عليـــه نَـــصُّ إمـــام العُلُوم فاعْلَمْ

---

(١) أي عالي الهمة الوزير الأعظم.

(٢) الملك العالي الكعبة أمير البطحاء، سادن أو راعي زمزم.

(٣) أمره متبع وملكه متسع في العالم.

إذ قـــال فيـــه عَلَا عـــليٌّ   فـإن تكن قـد عَرَفْتَ فالْزَمْ
وانظرْ إليـــه إذْ قـــام يَبْـني   من جانـب المُلْـكِ مـا تَهدَّمْ
بحسن رأي لـــــه منـــــير   أضـاء منـه مـا كـان أظلم
روشن ضمير كه تاب خورشيد   در جنـب رايش بك برتوكم[١]
شده جهـــات جهانيـــان هم   أزعـدل وداوش بهشت خرم[٢]
ألا ترى مصر كيـــف كانـت   من قبـــل والجور أهلهـــا عم
فـاق فيهـــا مساق عـــدل   عم البرايـــا وقطرهـــا طم
حـــتى لعمري لقـــد شهدنـــا   ذيـب فلاها يرعى مع البهم
لمـــا انتهـــى عدلـــه بمصر   عـــاد إلى الروم وهو ملهم
ليصلـــــح الروم وهو فرد   والجوهر الفرد لا يقسم
آزجوهر قدسي ذات باكش   يرى نقصـان در صمت دم[٣]
أي آصـــف وهو ملـك برور   أي نوريزدان شده بجسم[٤]
أي صـــدر عـــالي كـــه بـــاركـــاهش
برجرح افـــــــلاك زده مخـــــــيم[٥]
جملـــة أهـــالي ورسايـــة أو   باعيش خرم بايـــار همدم[٦]

---

(١) صاحب الضمير الوضاء الذي يخجل الشمس بجانبه لشدة نوره.
(٢) وذاع عدله في جميع أنحاء العالم، فأصبح العالم من عدله مزدهراً.
(٣) بجوهر ذاته الطيبة المقدسة، اختفى الظلام وهرب النقصان.
(٤) وانتشر العدل في ظل ملكه الذي استمد نوره من نور الله.
(٥) وهو الذي صعدت آثار عدله إلى الأفلاك وعمت العالم.
(٦) والناس يعيشون في ظل عدله مرفهين يحصلون على ما تصبو إليه نفوسهم.

درويش شامي زين جملة تاكي ماندر دوزولي كوتنة غم[١]

بالشام أهـل والروم جم والقلب حيث الغرام خيم

لعـل لحـظ الوزير يرنو إليـه يومـاً عطفـاً ويرحم

بداخـل يعـده لفتوى شآم هي القصد وابق واسلم

نظـام ملـك في الدهر حتى عقـد الثريـا في الأفـق يفصم

تـا طاق كردون بود مقدنس تـا عقـد يردين باشد منظم[٢]

در عـدل أسوده بـادا أربـاب دانس والله أعـلم[٣]

---

(١) ذهب بهموم الفقراء كلية وأصبحت حياتهم كريمة عزيزة.

(٢) وصل أثر عدله إلى آفاق الأفلاك حتى انتفعت به الكواكب في السماء.

(٣) في ظل عدلك يعيش ذوو العلم مرتاحين هادئي البال، والله أعلم.